حرف التاء

حرف التاء

التآكل :

التآكل : أن يأكل الشيء بعضه بعضًا . ويقال : تآكل الشيء وتأكّل وائتكل: أكل بعضه بعضًا وفسد . ولم ترد لفظة التآكل فى القرآن الكريم ، وإنما ورد الفعل (أكل) بأزمنته المختلفة وصيغه المتعددة (أكل ، أكلاً ، أكلوا ، تأكل ، تأكلون ، تأكل، يأكل ، يأكلان ، يأكلن ، يأكله ، يأكلهن ، يأكلون ، كلا ، كلوا ، كلى، كلوه) وكذلك لفظة (أكل) و(آكلون) و(مأكول) و(أُكُل) ، وجميعها تشترك مع كلمة (التآكل) فى الجذر اللغوى (أكل) .

والتآكل فى الاصطلاح هو تحلل الصخر وذوبانه وتعريته بفعل العوامل الكيميائية الطبيعية (كالماء والعوامل الذائبة فيه والعالقة به) ويشمل التآكل corrosion عمليات الإذابة والتحلل المائى hydrolysis والأكسدة وتأثيرات حمض الكربونيك وغيرها .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ البلى .　　٢ ـ التحلل .

٣ ـ الصخرة .　　٤ ـ الماء .

التآلف (بين آيات السورة) :

وهذا باب له شأن كبير فى القرآن ، فالتنقل بين آيات السورة الواحدة مرتبط ارتباطًا معنويًا وثيقًا ، فإن استطعنا إدراك بعضه فذلك من فضل وفيض الله علينا، وإن لم نستطع فالعيب فينا نحن ، والقصور فى إمكاناتنا الروحية والذهنية ، وقد ألف فيه العلماء الكثير من الكتب ، وجعلوا باب المناسبات هذا ـ كما يسمى ـ علمًا له شأنه ، وقعَّدوا له القواعد ، ووضعُوا له الأسس .

وقد قال الإمام الرازى : (اعلم أن القرآن كما هو معجز بحسب فصاحة

ألفاظه ، وشرف معانيه ، فهو أيضًا بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك) .

ومن أوجه المناسبات التى لاحظها العلماء :

التنظير: وهو إلحاق النظير بالنظير ، والشبيه بالشبيه ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (١) ﴾ [الأنفال] ، ﴿ **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ** (٥) ﴾ [الأنفال] ، فإن الله تعالى أمر رسوله أن يمضى لأمره فى الغنائم على كُرْهٍ من أصحابه كما مضى لأمره فى خروجه من بيته لطلب العير أو النفير وهم كارهون ، فكرههم لقسمة الغنائم ككرههم للخروج ، وفى كلا الحالين خير علمه الله ، وغابت حكمته عن الكثيرين .

وقد قيل : إن سورة القصص بدأت بالحديث عن موسى ، والوعد برده إلى أمه ، ودعائه ألا يكون ظهيرًا للمجرمين ، وختمت بالحديث عن محمد ووعده بالرجوع إلى مكة : ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** (٨٥) ﴾ [القصص] . وقد عاد إليها منتصرًا ، وقيل له فى آخر السورة : ﴿ **فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ** (٨٦) ﴾ [القصص] . وبذلك تشابه مبدأ السورة ومنتهاها .

ومنها : التضاد : فبين الضدين علاقة من نوع ما ، فبأحدهما يذكر الآخر ، ومثاله قول الله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** (٢) ﴾ [البقرة]، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** (٦) ﴾ [البقرة] . فبما أن الله بدأ السورة بالحديث عن المتقين ناسب أن يتحدث عن الكافرين ، ثم ناسب بعد ذلك أن يلحق الفريقين بفريق ثالث هم المنافقون ، وبعد ذلك تحدث عن أهل الكتاب ، حيث من الفرق الأربعة يتكون المجتمع فى ذلك الوقت ، وذلك ارتباط جد وثيق .

ومن ذلك قول الله : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (٣) **هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ**

وَمَا يَخْـرُجُ مِنْهَا وَمَـا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَـا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَـا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) ﴾ [الحديد] . فالأول يقابله الآخر، والظاهر يقابله الباطن ، والسموات تقابلها الأرض ، والفعل يلج يقابله يخرج ، وينزل يقابله يعرج . . . وهكذا ، فاللفظ يطلب ما يقابله ليرى مكانه من القضية المطروحة .

ومنها: الاستطراد: وهو أن يتناول القرآن موضوعًا ثم يستطرد إلى ما به سبب منه كما تحدث عن إغواء الشيطان لآدم وزوجه فى الجنة ، حتى أكلا من الشجرة، وعصيا الله ، واتبعا الشيطان ، فبدت سوآتُهما ، فأُخْرجا من الجنة ، فاستطردت السورة بعد ذلك وتحدثت عن اللباس ، واللباس الخير : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف] .

ومن أسباب الربط حسن الانتقال، ومما بلغ الحسن فى ذلك، لشدة قربى الجزء للجزء قول الله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) ﴾ [الشعراء] . بدأ إبراهيم حواره مع قومه عن الأصنام ، ثم انتقل منه إلى الحديث عن ربه ونعمه عليه، فكيف انتقل ؟ بالمقارنة بين موقفه من تلك الآلهة وموقفه من ربه ، إنهم أعدائى إلا رب العالمين الذى كذا وكذا مستخدمًا الاستثناء المنقطع .

ومنها : التنقل من حديث إلى آخر بقصد تنشيط الذهن ، وإيقاظ الروح ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ

١/ ٣٨٩/ ت

فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ (٥٤) هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) ﴾ [ص] .

فبعد أن تناول ذكر الأنبياء ، دخل فى ذكر الجنة ، وأهلها ، والنار وأهلها ؛ فإن رسالة الأنبياء الأولى تتمثل فى دعوة الناس إلى ما يقربهم من الجنة وما يبعدهم عن النار ، فلزم أن تتطرق السورة إذا إليهما ، وإلى أهليهما ، ثم تختم الحديث بذكر إبليس عدو الخير والأنبياء وأتباعهم، والداعى إلى النار لنحذره ونتمسك بأهداب الرسالات والرسل.

ثم لكل سورة أهداف وأغراض عامة ، وستجد كل جزئية فيها تخدم ذلك الغرض، ومرتبطة بسابقتها ولاحقتها بسبب من الأسباب ، لتؤدى كل الجزئيات الهدف العام والكلى من السورة ، وعلى سبيل المثال لو أخذنا سورة ما ، وتعرفنا على ما تعالجه من قضايا لوجدناها متصلة متكاملة ، لا تندُّ منها جزئية ؛ ولنأخذ مثلاً سورة النساء : وهى من الطوال ، نجد السورة تعالج قضايا الحقوق والواجبات بين الله وعباده ، وبين العباد بعضهم بعضًا خاصة أعضاء الأسرة .

بدأت السورة فذكرت أن الناس جميعًا ذكرهم وأنثاهم من نفس واحدة ، فالأصل واحد ، والروابط كبيرة ؛ فيجب التعاون والتناصر لا التدابر ، ثم الله رقيب على كل فعل ، ثم تعرضت لأحكام اليتامى لأنهم أضعف عناصر المجتمع والأولى بالرحمة ، ثم أحكام الميراث ، ثم لبعضٍ من أحكام الجرائم الخلقية ، ثم حكم التعدى على المال أو النفس ، ثم القوامة فى الأسرة ، ثم حقوق الله والعباد، ثم الصلاة من الجنب والسكارى ، ثم التعرض لأهل الكتاب ، ثم أحكام القتال ، ثم الحكم فى القضايا والشهادات ، وعود إلى ذكر أهل الكتاب ومن والاهم من المنافقين ، ثم ختمت بقضية الكلالة فى الميراث .

تجد كل الأمور التى تعرضت لها السورة على طولها متصلة ببعضها بسبب ما، إما حقوق الخالق ، وإما حقوق الخلق ، ولكل مجال جزئياته .

وهكذا لا تجد جزءًا فى سورة إلا وقد ارتبط بغيره من أجزاء السورة الأخرى، وتم ذلك توقيفيًا بأمر من الله سبحانه لحكمة يراها ، وخذ مثلاً من سورة مكية إلا

بعض آياتها ، وهى سورة الزمر يقول تعالى فى الجزء المكى: ﴿ أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) ﴾ [الزمر] . تحدث عن الرزق ، وبين أن بعض الناس وُسِّع عليهم فى الرزق ، وقد يدفعهم ذلك إلى ارتكاب المنكرات مستعينين بما لديهم من مال ، وبعضهم قُدِر عليه رزقه ، وقد يدفعه ذلك إلى ارتكاب الجرائم بدافع الحاجة ، فكلا الفريقين إذا معرض لارتكاب المحرمات، فهما فى حاجة إلى من يفتح لهم باب العودة إلى خالقهم ، والتوبة من ذنوبهم ، فكانت آيات مدنية يفى معناها بالمطلوب ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (٥٤) ﴾ [الزمر] إلى آخر الآيات . . . أفرأيت حسن الارتباط وضرورة التعاقب والتواصل بين الآيات ، حتى وإن كان بين نزول الآيات زمن ، إلا أن ربك لا ينسى !

فليس من الضرورى إذًا أن تعالج السورة بطولها قضية واحدة ، بل يمكن أن تتعرض لعدة قضايا يجمعها هدف واحد ، هو إصلاح النفس والأسرة والمجتمع مثلاً ، فتتناول جزئية أو قضية لكل عنصر فتبحثها ، وتعالجها ، وتضع لها قانون السماء العادل، فتدور السورة إذا حول كلية من الكليات بما تشمله من أجزاء متشابهة ؛ لأنها لابد وهى جزء من مأدبة الله فى الأرض أن تتضمن النهى والأمر والنصح والإرشاد والتقعيد والتمثيل والترغيب والترهيب والموعظة والدنيا والآخرة والجنة والنار . . . كل ذلك لنخرج من السورة بوجبة غذائية تحيى موات قلوبنا ، أما الوحدة بمعناها الضيق فيكون ذلك فى النصوص العلمية البحتة ، ضيقة النفع، محدودة المجال ، التى لا تبحث فى النفس الإنسانية وعلاقتها بخالقها ، وعلاقتها بالآخرين ، ثم ما ينفعها وما يضرها وما يعالج قضاياها من كل جانب .

فلا يليق أن نقول هذه سورة فى الميراث ، وهذه سورة فى البيع والشراء ، وهذه سورة فى يوم البعث ودلائله ، وهذه سورة فى العبادات . . . إلخ.

إن السورة القرآنية مأدبة ربانية متكاملة تكاملاً متصلاً ، فتأخذ منها جرعة إيمانية تعالج أمورًا شتى يحتاجها المسلم ، ناهيك عن وضوح الصلات بين أجزاء السور القصيرة .

التأكيد :

وأبرز صوره تأكيد الضمير المتصل بضمير منفصل بقصد المبالغة فى المعنى ، ومنه قول الله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ** (١١٥) ﴾ [الأعراف] ، فأكد الضمير المتصل المستتر بعد الفعل (نلقى) بالضمير المنفصل (نحن)، ومنه قوله تعالى : ﴿ **قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ** (٦٨) ﴾ [طه] ، أكد الضمير المتصل (ك) بالضمير المنفصل (أنت) ، وفيه ما فيه من البيان والتأكيد على علو موسى على كل من يعادى منهج الله .

ومنه قول الله تعالى : ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** (١١٦) ﴾ [المائدة] ، أكد الكاف بقوله (أنت) وفيه تأكيد للمعنى وتأكيد لعلم الله الواسع الذى لا تخفى عليه خافية، فهو علام بصيغة المبالغة ، ويشمل علمه كل الغيوب بجمعها .

ومثله قول الله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ...** (١٢) **... أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ**﴾ [البقرة] . أكد الضمير المتصل بضمير فصل منفصل لدعم المعنى وتقويته .

ومنه قول الحق سبحانه : ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** (١٤) ﴾ [طه] . حيث أكد الضمير المتصل بإن بضمير فصل منفصل بعده هو (أنا) لتقوية معنى الآية الهادفة إلى وحدانية الله وتفرده بأحقية العبادة ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ** ﴾ [يس : ١٢] . حيث أكد المعنى بإن وأكد الضمير المتصل بضمير منفصل . ومن التأكيد ما يكون بإعادة اللفظ نفسه أو مرادفه ، وهو ما يسمى بالتأكيد اللفظى ، ومنه قول الحق سبحانه : ﴿ **كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا** (٢١) ﴾ [الفجر]، ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** (٢٢) ﴾ [الفجر]. أى دكا بعد دك ، وصفا بعد صف . ومنه : ﴿ **هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ** (٣٦) ﴾ [المؤمنون]، ومن تأكيد الجمل بإعادة الجملة نفسها قول الله: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** (٥) **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** (٦) ﴾ [الشرح] .

ومن التأكيد اللفظى بالمرادف قول الله تعالى : ﴿ **وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ** (٢٧) ﴾ [فاطر] . فأكد كلمة غرابيب بكلمة سود وهما مترادفتان.

ومنه قول الله تعالى : ﴿ **وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا** ﴾ [الأنعام : ١٢٥] ، فأكد كلمة ضيقًا بكلمة حرجًا وهما بمعنى. ومن التأكيد المعنوى قول الله تعالى : ﴿ **وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** (٩٣) ﴾ [يوسف] ، فأكد الضمير المتصل بقوله أجمعين ليأتى على كل أفراد الأهل .

ومنه قول الله تعالى : ﴿ **فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ** (٣٠) ﴾ [الحجر] . أكد الملائكة بكلمة كلهم ، ثم أكدها مرة ثانية للمبالغة فى الإحصاء بقوله أجمعون .

ومن التأكيد : تأكيد الجملة بمؤكدات خاصة كأدوات التأكيد المعروفة، من ذلك قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** (٣٠) ﴾ [الزمر] ، فأكد الجملتين بالحرف (إن) المفيد للتأكيد .

وقد تزاد المؤكدات حسب الحاجة إليها ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ **قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ** (١٦) ﴾ [يس] ، فأكد المعنى بالقسم (ربنا يعلم) و(إن) و(اللام المزحلقة) وذلك لأن المقام يستدعى تلك المؤكدات ، فهو رد على إنكارهم الوارد فى قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ** (١٥) ﴾ [يس] ، وهو إنكار مؤكد أيضًا بأسلوب الحصر (النفى والاستثناء) فتطلب المقام الرد مؤكدًا بأكثر من وسيلة .

ومن التأكيد استخدام المفعول المطلق المؤكد لعامله ، ومنه قول الله تعالى : ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا** (١٦٤) ﴾ [النساء] ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا** (٩) **وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا** (١٠) ﴾ [الطور] ، أو المفعول المطلق المبين لنوعه كقوله تعالى : ﴿ **فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا** (٦٣) ﴾ [الإسراء] ، أو المبين لعدده كقوله تعالى : ﴿ **وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً** (١٤) ﴾ [الحاقة] . . . إلى غير ذلك من مؤكدات وجدت فى الجملة القرآنية ، وما لم يدركه الإنسان بدراسته أكثر مما حواه عقله مما يؤكد إعجاز القرآن وقهره لعقول البشر وإمكاناتهم .

تأكيد المدح بما يشبه الذم :

وهو أن ينتظر المخاطب من سياق الكلام ذمًا وقدحًا فإذا به يسمع مدحًا وإطراءً على خلاف ما يتوقع،وفى ذلك تأكيد لمعنى المدح، ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ** ﴾ [المائدة:٥٩].

فأسلوب الاستثناء يقتضى ورود مستثنى يستوجب الذم، ويستدعى النقمة ـ لأن الفعل (تنقم) فيه معنى الذم فهو بمعنى العيب أو الطعن ـ فإذا بالمستثنى يكون: الإيمان بالله وكتبه، أى هل تسخطون علينا إلا بسبب إيماننا بالله وبما أنزله من كتب؟ أو هل تنكرون منا إلا إيماننا بالله وكتبه ؟ وذلك مدح ، وتلك صورة رفيعة من صور التأكيد .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** ﴾ [الحج : ٤٠] . فظاهر الاستثناء يستدعى ذكر ما يوجب إخراجهم من ديارهم ، وطردهم منها ، ولا يكون ذلك إلا خطأ ومنكرًا، فإذا به قولهم: ربنا الله، وذلك أعظم ما يكون من العبد فهو مدح يستأهل النصرة والتمكين لا الإخراج والإبعاد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا (٢٦)** ﴾ [الواقعة] ، حينما نقول : لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا إلا ، ينتظر أن يأتى نوع من أنواع اللغو أو التأثيم بموجب الاستثناء، ولكنه أتى ـ بدلاً منه ـ بالسلام ، وهو قول طيب أكدته الآية بما يوحى بالذم.

التألّف :

التألف اسم مصدر من الفعل (تألّف) بمعنى : جمع ووصل الشيء بعضه ببعض. والمؤلَّف : ما جمع من أجزاء مختلفة . والألفة : الاجتماع والالتئام . وفى التنزيل العزيز: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ** ﴾

[آل عمران: ١٠٣]

والتألّف ـ كمصطلح فى علم الجيولوجيا ـ يقصد به الطريقة التى تتراكب وتتداخل بها الحبيبات أو البلورات المتجاورة داخل الصخر ، أو هو النظام الذى تتخذه الوحدات المكونة للصخر ويتحكم فى مظهر الصخر الخارجى .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التداخل . ٢ ـ الصخرة .

التأويل :

التأويل فى اللغة : مأخوذ من الأول ، وهو الرجوع إلى الأصل ، قال ابن

منظور: الأول: الرجوع. آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً : رجع ، وأول إليه الشيء: رجَعَه . وآلت عن الشيء : ارتدت .

وقال البغوى والكواشى : التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية ، غير مخالف للكتاب والسنة عن طريق الاستنباط. وقيل: أصله من الإيالة، وهى السياسة، فكأن المؤول يسوس الكلام ويضعه فى موضعه.

التأويل فى الاصطلاح : يختلف التأويل عند السلف عن معناه عند الخلف فله عند السلف معنيان :

أحدهما : تفسير الكلام وبيان معناه سواء أوافق ظاهره أو خالفه فيكون التفسير والتأويل على هذا مترادفين ، وهذا هو ما عناه مجاهد من قوله : « إن العلماء يعلمون تأويله » يعنى تفسيره ، وما يعنيه ابن جرير الطبرى بقوله فى تفسيره : « القول فى تأويل قوله تعالى كذا وكذا فإن مراده التفسير » .

ثانيهما : هو نفس المراد بالكلام ، فتأويل الكلام أى ما يؤول إليه الكلام ويرجع والكلام إنما يرجع ويعود إلى حقيقته التى هى عين المقصود ، وهو نوعان: إنشاء وإخبار ، ومن الإنشاء الأمر .

فتأويل الأمر : هو تأويل نفس الفعل المأمور به ، ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى» [البخارى (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤/٢١٧)] يتأول القرآن معنى قوله تعالى: ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** (٣) ﴾ [النصر] .

وتأويل الإخبار : هو تأويل نفس الشيء المخبر به ، كقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** (٥٢) **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ** (٥٣) ﴾

[الأعراف]

فقد أخبر سبحانه وتعالى أنـه فصل الكتاب ، وأنهم لا ينتظرون إلا تأويله ، أى مجـىء ما أخبر القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها، وما جاء فى الآخرة من

١/ ٣٨٩/ ت

الصحف والموازين والجنة والنار وغير ذلك . فحينئذ يقولون : ﴿ **قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**﴾ [الأعراف: ٥٣].

التأويل عند المتأخرين :

هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذى يتكلمون عليه فى أصول الفقه ومسائل الخلاف . فإذا قال أحد منهم : هذا الحديث أو هذا النص مؤول أو محمول على كذا . قال الآخر : هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج إلى دليل ، وعلى هذا فالمتأول مطالب بأمرين :

الأول: أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذى حمله عليه وادعى أنه المراد .

والثانى : أن يبين الدليل الذى أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح وإلا كان تأويلاً فاسدًا ، أو تلاعبًا بالنصوص .

وبهذا يتبين ـ لنا ـ أن هذا الاصطلاح لا يتفق مع ما يراد بلفظ التأويل عند السلف.

التأويلات الصحيحة والباطلة :

هناك معايير أساسية لمعرفة التأويلات الصحيحة من السقيمة :

الأصل الأول : وينقسم إلى ضربين (لفظى ـ معنوى) .

أما اللفظى : فهو اللغة العربية ، وذلك لأن الله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب ولسانها ، وقد تقرر فى العقول أن الله تعالى لا يجوز أن يخاطبنا بخطاب لا نفهمه ولا نعلمه . فإذا تم ذلك فالواجب أولاً عرض التأويلات المختلفة على اللغة العربية وقوانينها فإن كانت غير محتملة لهذه التأويلات من جهة اللغة ـ إن كان الكلام لغويًا ولا من جهة الشرع إن كان الكلام شرعيًا ولا من جهة العرف إن كان الكلام عرفيًا ـ أسقط هذا التأويل ونسى .

أما المعنوى : فهو ما إذا كان اللفظ محتملاً لهذا المعنى وجب حينئذ الرجوع من معرفة صحته وفساده إلى الأصول من جهة المعنى فإن حكمت تلك الأصول بفساده أو بعضه سقط وما حكمت بصحته ثبت واستقر وهذه الأصول أربعة : (الكتاب ـ السنة ـ الإجماع ـ العقل) .

الأصل الثانى : إن مأخذ تفسير القرآن وبيان معانيه من جهة اللغة العربية دون غيرها . . وهناك فرق من أهل الزيغ والضلال يزعمون وينكرون تفسير القرآن من جهة اللغة ، ولا مجال فيه لاستعمال النظر والاستدلال . . وكيف تصح دعواهم ولا يوجد أحد من علماء الأمة يشكل عليه شيء فى ألفاظ القرآن إلا طلبه فى اللغة العربية ، ولهذا قال ابن عباس : « إذا رأى أحدكم شيئًا من القرآن لا يدرى تفسيره فليلتمسه من الشعر فإنه ديوان العرب » .

الأصل الثالث: فى ذكر أسباب التأويلات الباطلة: ومن أسباب ذلك هذه الفرق الضالة فى تأويلاتهم الركيكة أمور ثلاثة هى (النقل ـ التركيب ـ إزالة التركيب) :

١ ـ النقل : هو أن ينقلوا اللفظ من معنى إلى معنى آخر لم يوضع له ولا يحتمل لمعناه وذلك مثل زعم الباطنية أن البحر الذى فلقه موسى عليه السلام هو العلم.

٢ ـ التركيب : أن يلفقوا آيتين أو أكثر ليستنتجوا من مجموعهما معنىً فاسدًا لا تقتضيه الآيتان مؤيدين به مذهبهم ـ وذلك مثل ادعاء الحشوية أن لكل جنس من الحيوانات نبيًا ومنذرًا وشريعة ، ويستشهدون بقوله تعالى : ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم** ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، وقوله : ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)** ﴾ [فاطر] ، فكل أمة منهم نذير .

٣ ـ إزالة التركيب : مثل استشهاد الحشوية على أن جميع الناس يدخلون النار لقوله تعالى : ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١)** ﴾ [مريم] ، وهم توصلوا إلى تأييد قولهم عن طريق إسقاط أول القصة ، وهو قوله تعالى : ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨)** ﴾ [مريم] ، ولو ضموا أولها إلى آخرها لبطل زعمهم .

الأصل الرابع : فى وجه الحكمة من الخطاب بالتشابه ، فإن زعم زاعم أن القرآن إن كان موصوفًا بالبيان والنور فما أوجه الحكمة فى دخول المتشابه فيه فنقول: إن وجه الحكمة فى ذلك أمور خمسة هى :

١ ـ أن ورود المحكم والمتشابه فى القرآن ليكون أبعد عن طريقه التقليد وأقرب إلى طريقة النظر لأنه لو كان جميعه محكمًا لكان أقرب إلى الاتكال على الظاهر.

٢ ـ أنه عند النظر فى المتشابه ربما تعرف العلماء على ما أشكل عليهم ؛ لأن مذاكرتهم تدعو إلى الحق وتكشف عن الصواب .

٣ ـ أن كون القرآن مشتملاً على المحكم والمتشابه يقتضى للناظر فيه والمتدبر له إذا ظهر بما ظاهره التشابه دعاه ذلك إلى أدلة العقول ليميز بين المحكم والمتشابه وربما يدل ذلك على التوحيد .

٤ ـ إن المتشابه إذا كان مقرونًا بالمحكم كان أدعى لسائر المذاهب إلى النظر فى القرآن لأنهم متى ظنوا وجود ما ينتصرون به لمذاهبهم كان نظرهم فيه أقوى فيكون ذلك داعيًا لانشراح صدور أهل الحق ونزول أهل الباطل عن باطلهم .

٥ ـ أنه تعالى علم أن الصلاح لهم فى تردد نظرهم واستعمال عقولهم فى معرفة الحق إتعاب خواطرهم ، ولن يكون الأمر كذلك إلا إذا كان المتشابه .

التباعد :

التباعد فى اللغة : أن يصير الشىء بعيدًا . يقال : تباعد عنه ومنه : تنحى عنه بعيدًا . ولم ترد لفظة التباعد أو فعلها فى القرآن الكريم ، وإنما وردت كلمات أخرى تشترك معها فى الجذر اللغوى ، مثل الفعل (باعد) . قال تعالى: ﴿ **فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا** ﴾ [سبأ : ١٩] ، أى: طلبوا التباعد بين الديار وطول الأسفار.

والتباعد divergence فى علم الجيولوجيا كمصطلح له عدة دلالات . فهو قد يعنى ميل أحد الأنواع (من الأحياء القديمة) إلى الانفصال إلى سلسلتين تطوريتين أو أكثر تزدادان تباعدًا فى أثناء التاريخ الجيولوجى . كما يعنى : تباعد لوحين من ألواح القشرة الأرضية بحيث يتكون بينهما قشرة وغلاف صخرى جديدان . ويسمى النطاق الموجود بين اللوحين فى هذه الحالة باسم : نطاق التباعد divergence zone (كما فى موقع أعراف منتصف المحيط) . ويتصف هذا النطاق بالزلازل الضحلة البؤرة والنشاط البركانى البازلتى .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الألواح .　　٢ ـ الزلزال .

التباين :

التباين : الانفصال والافتراق . يقال : تباين ما بينهما : افترقا وتهاجرا . وتباينا : بعد كل واحد منهما عن الآخر وانفصل . ويقال : بان كذا بينا أى : انفصل وظهر ما كان مستترًا منه . وسمى الكلام بيانًا لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره . وفى التنزيل العزيز : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] .

ولم ترد كلمة (التباين) فى القرآن الكريم ، وإنما وردت ألفاظ أخرى تشترك معها فى الجذر اللغوى (بين) ، مثل الظرف (بين) والكلمات (بينة ، بينات ، مبين ، يبين ، تبين وغيرها) .

والتباين ـ كمصطلح فى علم الجيولوجيا ـ هو نوع من عدم التوافق non conformity بين نوعين من الصخور المختلفين فى التركيب ، فيكون النوع الأول من صخور قديمة (نارية أو متحولة) سبق تعرضها لعوامل التعرية قبل ترسيب الصخور التالية عليها . ويكون النوع الثانى من الصخور الرسوبية . ويشترط للتباين أن يفصل بين الصخرين سطح تعرية واضح .

التبتل :

التبتل : الانقطاع للعبادة انقطاعًا يوافق سنن الإسلام بنية خالصة لله سبحانه، ويقال : بتل عمله لله : أخلصه من الرياء والسمعة . وفى التنزيل قال الله لنبيه : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل] ، أى انقطع إليه انقطاعًا تامًا فى عبادتك وكل شؤونك ، وتفرغ إليه وقت فراغك بنية مخلصة وقلب صاف ، ولا تشرك معه فى ذلك أحدًا .

والتبتل بهذا خلق محمود ، وسلوك طيب ما دام بنية صادقة ، وفعل لا ينافى شرع الله ، وما كان الله ليأمر نبيه بتبتل ينافى شرعه ، أما التبتل عن الزواج بمعنى الانقطاع عنه والبعد منه ، وهو ما عرف فى الأمم السابقة ونفاه الرسول عن أمته، فذلك مسلك ينافى سنن الشريعة الإسلامية ، حيث بين صاحبها ﷺ أن الزواج سنته ومن رغب عنه فقد رغب عن سنته .

نقول: بتله يبتله ويبتله بتلا: قطعه وأبانه من غيره ، وبتل لله : انقطع إليه مخلصًا، وانبتل: انقطع، فالمادة تفيد الانقطاع والانفصال، وتفسر حسب السياق، فالبتول من النساء العذراء التى انقطعت عن الرجال لا أرب لها فيهم ، وبهذا اللقب عرفت مريم أم المسيح عليه السلام ، وكذا لقبت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عز وجل.

التبتيك :

التبتيك مصدر الفعل (بتّك) ـ بالتضعيف ـ بمعنى : قطّع . وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [النساء : ١١٩] . والبتك فى اللغة : هو القطع ، ومنه : سيف باتك ، أى : صارم . وكانوا فى الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرًا قطعوا أذنها أو شقوها شقًا واسعًا ، علامة على أنهم حرموا على أنفسهم الانتفاع بها وجعلوها للطواغيت ، وسموها : البحيرة ، أى : المشقوقة الأذن . ويمكن التوسع حاليًا فى استخدام كلمة (التبتيك) للدلالة على قطع أى عضو من أعضاء الحيوان ، وبخاصة إذا كان هذا القطع بهدف تخريبى أو كعمل عدوانى .

تبدل الأرض :

التبدل فى اللغة هو : التغير. يقال : تبدل الشىء وبه ، أى: اتخذ منه بدلاً، وتبدل الشىء بالشىء ، أى : أخذه بدله . والتبدل فى العلم : استحالة شىء إلى شىء آخر، يختلف عنه بصورة كيميائية أو طبيعية ، كاستحالة سكر القصب إلى سكر العنب. وفى التنزيل العزيز ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] ، ونحن لا ندرى كيف سيتم هذا التبدل ولا طبيعة الأرض الجديدة ولكن آيات القرآن الكريم تشير إلى ارتجاف الأرض والجبال وتفجير البحار وتبعثر ما فى القبور، وخروج أثقال الأرض من باطنها ، إلى غير ذلك من الأحداث التى تقع فى يوم القيامة .

تبدل السموات :

عرّفنا التبدل فى المادة السابقة بالتغير . وعلى هذا فإن تبدل السموات يعنى

تكوين سموات جديدة بعد الانسحاق الكبير الذى سينتاب السموات الحالية فى المستقبل يوم تكور الشمس وتنتثر النجوم وتنكدر أنوارها ، أى أن « هذا الكون سوف يخلق من جديد بطريقة أخرى بعد أن يستنفد الغرض الذى خلق من أجله أول مرة ». قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** (٤٨) ﴾ [إبراهيم] . ويرى علماء الكونيات أن فناء الكون محتمل فى ضوء خلق أزواج المادة . وفى ضوء ما يرى من استنفاد النجوم لوقودها وتحولها إلى عمالقة حمر أو نجوم أقزام بيض أو ثقوب سود . ولا يدرى أحد من علماء الفلك كيف ستبدل السموات جميعًا ، وإن كانت آيات القرآن الكريم تشير إلى طى السموات وإعادة الخلق من جديد .

التبديل :

يأتى النسخ بمعنى التبديل ، وهو رفع الشىء مع وضع غيره مكانه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ** ﴾ [النحل : ١٠١] ، وهو يستلزم إزالة المبدل منه ، وإحلال البدل مكانه.

التبذير :

التبذير : الإسراف فى إنفاق المال فى غير حقه ، أو تجاوز الحد فى النفقة تجاوزا يصل إلى درجة الإفساد . وهو سلوك مذموم حرمه الله ، ونهانا عنه ، فقال سبحانه : ﴿ **وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا** (٢٦) **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** (٢٧) ﴾ [الإسراء] ، جعل الله المبذرين إخوانًا للشياطين ، لأن المبذر يسعى فى الإفساد كالشيطان فيأخذ حكمه .

ومن أنفق القليل من ماله فى حرام عد مبذرًا ، ومن عرض ماله للنفاد فى غير ضرورة عد مبذرًا ، وكل إنفاق فى غير حاجة أو حق تبذير ، ولا يعد الإنفاق فى الخير من التبذير كما قال جمهور العلماء . يقال : بذر المال : فرقه إسرافًا ، وكل ما فرقته وأفسدته فقد بذرته، وتبذر الشىء : انتثر وتفرق، والإسراف والتبذير والإفراط غفلة وجهل بقدر النعمة، وسوء تصرف فيها ، وكل ذلك حرام.

والإسلام دين الوسطية،وقد رسم لنا منهاج الحياة بما فيها الإنفاق فقال سبحانه:

﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء]، ومدح إنفاق عباد الرحمن المرضى عنهم فقال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧) ﴾ [الفرقان] ، وكان إنفاقهم وسطًا بين الإسراف والتقتير ، وهى درجة الاعتدال .

التبشير :

التبشير : الإخبار بخبر سار مفرح ، ونقيضه : الإنذار ، والبشارة والبشرى: الخبر المفرح الذى لا يعلمه المخبر به ، ومنه فى التنزيل عن أولياء الله : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ [يونس : ٦٤] ، ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة : ٢٥] ، أما من جانب الحق وضل عن طريق الله : فتستعمل مادة البشارة له سخرية وتهكمًا وزيادة فى الإهانة والتعذيب،ليجمع الله عليه بين العذاب المادى والعذاب المعنوى، حيث : ﴿ لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان : ٢٢] ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) ﴾[الجاثية] ، ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) ﴾ [النساء] .

وتطلق البشارة أيضًا على ما يعطى لحاملها ، والجمع بشائر ، والبشير : ناقل البشارة إلى صاحبها ، أى المبشر ، وهم بشراء ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [يوسف : ٩٦] ، ويقال : هبت المبشرات : وهى الرياح التى تبشر بالغيث ، والبشر : الطلاقة .

يقال : بشرته وأبشرته وبشرته : نقلت إليه خبرًا سارًا فرح به فرحًا بان على بشرة وجهه فبسطها ابتهاجًا ، قال تعالى عن بشارة الملائكة لخليله إبراهيم : ﴿ قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) ﴾ [الحجر] . أما إذا كانت البشارة بسوء ـ ولا يكون ذلك إلا تجاوزًا ـ فإن الوجه ينقبض ويسود لما فى الخبر من أثر مؤلم على نفسه ويظهر أثره ـ بالطبع ـ على وجهه ، من ذلك قول الله : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) ﴾ [النحل] .

واستبشر وتبشر : فرح وسر ، ومن ذلك استبشار الشهداء بنعمة الله وفضله وتمنيهم الخير الذى لقوه لمن لم يلحق بهم من بعدهم : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) ﴾ [آل عمران] ، ومنه ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ﴾ [التوبة : ١١١] .

وبشر الله الطائعين : فوعدهم بجنته جزاء لهم على ما أدوه من فرائض ونوافل وأنواع الطاعات التى بينها الدين لهم والتزامهم بمنهج الله سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً (٤٧) ﴾ [الأحزاب] ، ونقيضه : أنذر العاصيين بنار جهنم جزاء لما اقترفوا من آثام، وعقابًا لهم على عصيانهم وبعدهم عن منهج الله.

والتبشير من مكارم الأخلاق ، فهو يبعث الأمل فى النفوس ، وقد تفعل البشارة ما لا يفعله الدواء للمريض فيشفى بها لما لها من الأثر النفسى الكبير ، وقد شفى يعقوب ببشارة ابنه يوسف ـ عليهما السلام ، ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً ﴾ [يوسف : ٩٦] ، كما أنها تقوى أواصر المحبة بين الناس ، وتزرع المحبة بينهم ، وقد بشر الله كثيرًا من رسله بأنواع من فضله ؛ فبشر إبراهيم بولديه إسماعيل وإسحاق ، وبشر زكريا بولده يحيى ، وبشر مريم بابنها عيسى ، وبشر المؤمنين برحمته ورضوانه ، وبشر الصابرين بمزيد من الأجر ، وكذلك أنزل القرآن مبشرًا لعباده المتقين ، وستقوم الملائكة بدور البشير فتزف للمؤمنين البشارة الكريمة بدخول الجنة ، ثم البشارة العظمى محمد رسول الخير والهدى والرحمة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً (٤٧) ﴾ [الأحزاب] ، وكذلك كان الرسل مبشرين لأممهم : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢١٣] . . . إلخ .

التتابع :

التتابع فى اللغة : التوالى . يقال : تتابعت الأشياء ، أى : توالت . وفى التنزيل العزيز : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [النساء : ٩٢] .

قال المفسرون: (متتابعين) أى : لم يفصل بين يومين من أيام صومهما إفطار فى نهار .

والتتابع كمصطلح جيولوجى له عدة دلالات. ففى علم الطبقات (الاستراتجرافيا) يقصد بالتتابع Succession : الترتيب الزمنى للوحدات الصخرية . وقد يراد به أيضًا : عدد من الوحدات الصخرية أو تجمع من الطبقات يلى كل منهما الآخر فى ترتيبه الزمنى. ويوصف التتابع الطبقى بأنه متجاوز overlap إذا تراكمت طبقات صخرية حديثة فوق أخرى قديمة بتجاوز مطرد .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التباين . ٢ ـ التطبق .

٣ ـ الصخرة . ٤ ـ الطبقة .

التتميم :

التتميم : هو أن تردف المعنى بما يزيده بيانًا ووضوحًا وتأكيدًا ، فتضيف إليه الكمال بعد الانتهاء من عرضه حتى لا يبقى مجال للشك فى المعنى، أو الجهل به، أو اللبس فيه .

وهو ثلاثة أنواع : تتميم النقص ، وتتميم الاحتياط ، وتتميم المبالغة ، وهى أنواع متكاملة لا متعارضة، وقد وردت أقسامه الثلاثة فى قوله تعالى : ﴿ **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)** ﴾ [البقرة] .

فمن تتميم النقص قوله : ﴿ **مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ بعد ذكر الجنة المحتملة أى نوع من الشجر ؛ مفيدًا كان أو غير مفيد ، فذكر النخيل والأعناب يقطع بأنها جنة ذات شجر مفيد يحزن صاحبها لفقدها أشد الحزن ، وذكره الأنهار تتميم لبيان ديمومة الخصب والنفع، ومن تتميم المبالغة ودفع الإيهام، قوله تعالى : ﴿ **لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ** ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ، ليعلم أنها لم تقتصر على

النخيل والأعناب ، بل مملوءة بكل الثمرات ، ويمكن أن يكون من تميم الاحتياط أيضًا ليتناول ما يطرأ من تنوع المحاصيل مستقبلاً .

ومن تتميم الاحتياط قوله تعالى : ﴿ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ، ليعلم أن فقدها سيحقق ضررًا لا يحتمل والحالة هذه ، وكذا قوله : ﴿ فِيهِ نَارٌ ﴾ ؛ حتى لا يتصور أحد أن الإعصار مر هادئًا لم يحدث حريقًا، ثم قال بعد ذلك: ﴿ فَاحْتَرَقَتْ ﴾، حتى لا يُظن أن اخضرار الشجر منع الاحتراق .

ومن التتميم قول الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾ [النحل] . فمن صدر الآية نعلم أن المقصود هم المؤمنون لأنهم هم الذين يعملون الصالحات ، ولكن الله يزيد المعنى تمامًا وكمالاً بقوله : ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ حتى لا يبقى مجال لشك شاك فى أن الإيمان شرط لقبول العمل الصالح .

ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٤] ، ففى قوله : ﴿ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ تتميم يفيد أنه لا يحرم من الحسنات رجل أو امرأة ؛ لأن ذكر من الموصولية يشملهما فهى تطلق على المذكر والمؤنث وعلى المفرد وغيره ـ وينطبق ذلك على الآية السابقة أيضًا ـ ثم فى قوله : ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ تتميم آخر يبين أنه من شروط قبول العمل الصالح الإيمان بالله ورسوله .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [فصلت : ٣٠] . ففى قوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ تتميم لفكرة أنهم آمنوا ، ليفيد أن الإيمان وحده لا يكفى بل لابد من الاستقامة ؛ التى تعنى كل عمل صالح ، وسلوك قويم ، وخلق طيب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة : ١٩٦] . ففى قوله : ﴿ عَشَرَةٌ ﴾ بيان وتأكيد على العدد المطلوب صيامه ، ولكنه أتى بكلمة ﴿ كَامِلَةٌ ﴾ ليزيل أى لبس أو خفاء فى بيان عدد تلك الأيام .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان]، ففى الإخبار عن إطعامهم الطعام للمسكين واليتيم والأسير دلالة على بذلهم فى سبيل الله، ولكنه أتى بقوله: على حُبِّهِ ليبين أنهم كانوا فى حاجة إلى الطعام، ومع ذلك بذلوه مرضاة لله وإيثارًا، وهنا يزيد فضل الإنفاق، وتتضاعف حسنات المنفق.

ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، والتتميم فى قوله: ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ ليفيد أيضًا أن الباذل يعطى المال على حاجته إليه، وتلك درجة أعلى فى الإنفاق وأسمى.

واستشهد الباقلانى عليه بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان] ؛ لأنه ببيان أن الله يعلم هذه الأمور الخمسة التى لا يدرك البشر من أمرها شيئًا يفيد أن الله عليم خبير، ولكنه سبحانه يتمم فيقول فى تذييل الآية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ . ومنه قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [البقرة] . ففى الآية دليل كاف على ضلالتهم ، ثم أتى التذييل من باب التتميم ليفيد التأكيد على عدم هدايتهم فيزيل أدنى لبس فيه .

ومنه قول الله : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [التوبة] . ففى قوله مع القاعدين دون الاكتفاء بقوله: ﴿ اقْعُدُوا ﴾ تتميم ؛ يفيد بأنهم بقعودهم صاروا من جملة القاعدين ، وانتظموا فى سلك المرضى والنساء وذوى العاهات ، وثبتت لهم هذه الحال .

التثبيت :

التثبيت : جعل الشيء مستقرًا فلا يزول . ويقال : ثبّته ، أى : قوّيته. وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الإسراء] . وقال عز وجل أيضًا: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾ [البقرة : ٢٦٥] .

والتثبيت Stabilization كمصطلح فى علم الجيولوجيا عبارة عن عملية يتم فيها خلط القار بالتربة حتى تصبح مادة لاحمة أو مادة عازلة للمياه، وتستعمل فى الأراضى التى تحتوى على قدر من الرطوبة الطبيعية يقل عن القدر اللازم للتماسك.

التثقيب :

التثقيب فى اللغة : إحداث خرق فى شىء ما . ولم ترد كلمة (التثقيب) فى القرآن الكريم، ولكن وردت كلمة (الثاقب) التى تشترك معها فى نفس الجذر اللغوى. قال تعالى : ﴿ **إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ** ﴿١٠﴾ ﴾ [الصافات] .

والتثقيب drilling فى علم الجيولوجيا كمصطلح يراد به حفر بئر فى الأرض، يغلب أن تكون عميقة ، ولها قطر صغير .

التجارة :

التجارة فى اللغة : بمعنى تقليب المال بالتصرف فيه لغرض الربح وهو عكس التسعير وجاءت كلمة تجارة فى القرآن الكريم فى تسعة مواضع منها قوله تعالى : ﴿ **إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ** ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ** ﴾ [النساء : ٢٩] .

وإذا نظرنا إلى موقف الفكر الإسلامى من التجارة والتسعير نجد أن الشريعة الإسلامية السمحة تقوم على أساس حرية التجارة بمعنى حرية التعامل بالبيع والشراء ، وحماية الملكية الفردية، وحق المالك فى التصرف فى ملكيته حق شرعى وتحريم التعامل بالربا وأكل أموال الناس بالباطل، فلقد أقر الفكر الإسلامى حرية التجارة بشرط التراضى وكيف يتم التراضى إذا كان البائع مرغمًا على البيع بسعر محدد ومجبرًا عليه .

ولذلك فإن تدخل الدولة بالتسعير يعتبر نوعًا من أنواع الحجر على حرية التجارة ، ففيه تتحقق مصلحة طرف على حساب طرف آخر. والسؤال الآن : لماذا تفضل مصلحة المشترى على مصلحة البائع ؟ فذلك البائع ما هو إلا مشترى لسلع أخرى فى مجتمع تكثر فيه البدائل المتاحة من مأكل ومشرب وملبس فنعم الله علينا كثيرة ومتعددة وتحريم مشروعية تدخل الدولة اقتصاديًا فى التسعير إنما هى تطبيق

لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) ﴾ [النساء] .

ولذلك فمن الواجب عدم إلزام البائع بالبيع بسعر محدد وهو غير راض عنه لأن فى ذلك أكلاً لأموال الناس بالباطل ، فأساس التجارة الإسلامية التراضى بين الطرفين أما فى التسعير الجبرى فإن أحد الطرفين يكون مجبرًا للطرف الآخر ، وقد وقع عليه ظلم .

التجربة فى الأسلوب القرآنى :

سجل الأسلوب القرآنى صورًا لتجارب مختلفة ؛ منها ما يعد تجربة ناجحة ، ومنها ما يعد تجربة فاشلة ، وأذكر من التجارب الناجحة تجربة إبراهيم خليل الرحمن ، حينما طلب من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، فأشار عليه ربه بإجراء تجربة من الطير ليرى بنفسه كيف يُحيى الله الموتى، ودار بينهما هذا الحوار: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) ﴾ [البقرة] .

وبالطبع فإن إبراهيم كما قال المفسرون : لم يسأل السؤال عن شك أو ارتياب فى قدرة الله ، ولكنه سأله حبًا فى رؤية ما أخبر به عيانًا ، وما آمن به يقينًا ، ففى ذلك استمتاع بمشاهدة العظمة الإلهية ، كما أنه تطبيق لصورة من صور القدرة المطلقة مصداقًا لقول الرسول : ليس الخبر كالمعاينة ؛ لينتقل إبراهيم بالرؤية من مرحلة الإيمان باليقين والبرهان الموحى إليه ، إلى مرحلة الإيمان بالمشاهدة والعيان، فهى تجربة مؤمن تصور عملاً أكد يقينًا ، وتأمل كيف رسم القرآن جزئيات التجربة ليتم تنفيذها بدقة لتصل بصاحبها إلى النتيجة .

ومن التجارب التى صورها الأسلوب القرآنى لاختبار النفس وما ترنو إليه من ارتقاء تلك التى وقعت مع الملائكة وكان آدم أبو البشر طرفًا فيها . تساءل الملائكة باستغراب عن سر اختيار الله لآدم ليكون خليفة فى الأرض دونهم ، وهو وذريته أقرب للمعاصى منهم ، ومهيأ للإفساد فى الأرض ، وسفك الدماء . . . فعقد الله

للملائكة تجربة يختبر فيها علمهم ليروا من خلالها أن إرادة الله وعلمه فوق كل إرادة ، وأعلى من كل علم ، فسألهم عن أسماء المسميات ، فعجزوا ، وكان قد علمها لآدم ، فسأله أن ينبئهم إياها فأجاب، وهنا عرفت الملائكة معرفة اليقين أن حكمة الله صائبة، وأن علمه واسع، وأن ما يختاره فى كونه هو الأفضل والأعدل، وكل شىء عنده بمقدار،وأنه بكل شىء محيط، قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)** ﴾

[البقرة]

وهناك نموذج آخر من التجارب الإنسانية الأقرب للحنكة السياسية التى تتعرف على طبيعة النفس البشرية ، تلك هى تجربة بلقيس التى أرادت أن تتعرف من خلالها على سليمان الذى يهدد ملكها ؛ أهو ملك جبار ، أم نبى مرسل ، فعرضت على حاشيتها أن يرسلوا إليه هدية تكون اختباراً له ، فإن هو قبلها فهو ملك ، وعليهم أن يتعاملوا معه على أساس الملك البشرى ، وإن هو ردها فهو نبى كريم يتعاملون معه على هذا المستوى النبوى ، قال تعالى مصوراً تلك التجربة ونتيجتها : ﴿ **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧)** ﴾ [النمل] .

وبهذا أدركت بلقيس أن سليمان نبىٌ مرسلٌ فشدت الرحال إليه مستسلمة معلنة إسلامها لله رب العالمين .

التجريد :

وهو أن تظن من ظاهر الكلام أن فى الشىء أمراً ما ورد ذكره فى الأسلوب

وبالتدقيق ترى أن الشيء هو نفسه المراد . ففى قول الله : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ** (١٩٠) ﴾ [آل عمران] ، تظن حسب ظاهر الكلمات أن الآيات المتحدث عنها مظروفة لخلق السموات والأرض ، والحق أن الخلق نفسه هو الآيات ، وليس الخلق ظرفا لها كما تفهم من كلمة ﴿ فِي ﴾ .

ومنه قول الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** (٢١) ﴾ [الأحزاب] . فالأسوة ليست داخل الرسول كما تعنى كلمة فى ، ولكن الرسول نفسه هو الأسوة . ومنه قوله سبحانه : ﴿ **ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** (٢٨) ﴾ [فصلت] ، فدار الخلد ليست فى الجنة ، ولكن الجنة نفسها هى دار الخلد .

تجزئة المصحف :

كان المسلمون فى عهد النبى ﷺ يجعلون للقرآن نصيبًا من يومهم يقرؤونه فيه فكانوا يختلون بأنفسهم يقرؤون ما تيسر لهم من القرآن ، يخص كل واحد نفسه بجزء معين أو قدر معين من القرآن ليقرأه .

عن المغيرة بن شعبة أنه قال : استأذن رجل على رسول الله ﷺ وهو بين مكة والمدينة ، فقال : إنه قد فاتنى الليلة جزئى من القرآن ، فإنى لا أوثر عليه شيئًا ، فكان المسلمون الأوائل يجعلون لأنفسهم قدرًا معينًا من القرآن كل يوم ليسهل عليهم قراءته . ولما جاء من بعدهم حرصوا على تجزئة القرآن وتقسيمه تسهيلاً على القراء والحفاظ .

ذكر أبو بكر بن داود : جمع الحجاج بن يوسف الثقفى الحفاظ والقراء . فقال: أخبرونى عن القرآن كله ، كم هو من حرف ؟ قالوا : فجعلنا نحسب حتى أجمعوا أن القرآن ثلاثمائة ألف حرف وأربعون وسبعمائة ونيف وأربعون حرفًا . فقال الحجاج : فأخبرونى إلى أى حرف ينتهى نصف القرآن ؟

وهكذا سأل الحجاج عن نصف القرآن ، ثم ثلثه ، ثم ربعه ، ثم سبعه . وكان هذا من التقسيم والتجزئة للقرآن ، وكان فعل الحجاج هذا من أجل التيسير على قراء القرآن وحفاظه .

واستمر التقسيم من بعد الحجاج إلى أن وصل إلى التقسيم الحالى ثلاثين جزءًا، فى كل جزء حزبان فى كل حزب أربعة أرباع ، وكتب العلماء مكية السورة أو مدنيتها فى أول كل سورة ، داخل ديباجة خاصة بذلك، وقاموا بوضع علامات الوقف والوصل ، والسجدات .

التجسس :

التجسس على الأفراد من أبناء المجتمع رذيلة ؛ لأنه يعنى البحث عن المستور من عورات المسلمين ، والمكتوم من عيوبهم، ومحاولة كشفها وفضحها ، إشباعًا لشهوات النفس فى التعرف على غوامض الآخرين من باب التطفل البغيض ، لذا نهانا الله عن هذا التصرف الكريه فقال ناهيا : ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا** ﴾ [الحجرات : ١٢]، أى لا تبحثوا عن عورات الناس ومعايبهم ، لتستكشفوا عما ستروه .

وقد أخذ الفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كاللمس ، فإن من يطلب الشىء يجسه ويتلمسه ، وقد عده العلماء من الكبائر شديدة التحريم ، وتأكد التحريم بقول الرسول يخطب الناس : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين فضحه الله تعالى فى قعر بيته » [أحمد ٤/ ٤٢٠ ، ٤٢١] ، وسواء تم التجسس بالعين المجردة أو بالوسائل الحديثة فهو حرام لأن الهدف واحد ، والأثر الناجم عن العمل واحد، وقد أفاضت السنة فى الوعيد لمن يسلك تلك المسالك .

وأصل التَّجَسُّسِ من : جَسَّهُ بيده جَسّا يَجُسُّه إذا مسَّه ولمسهُ ليتعرَّفَهُ ، جسَّ الأرضَ جسّا : وطِئَها ، وجسَّ يد المريض : مسَّها ليتعرف حاله ، والمجَسَّةُ : الموضع الذى تقع عليه يده إذا جسَّه، والمِجَسُّ والمِجَسَّةُ : ما يجُسُّ به، فالتَّجَسُّس: التفتيش عن بواطن الأمور .

تجلى النهار :

التجلى مصدر من الفعل (تجلّى) بمعنى كشف. وفى التنزيل العزيز: ﴿ **وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ** (٢) ﴾ [الليل] ، أى : انكشف عن ظلام الليل بضيائه ، أو إذا أضاء الأرض بنوره .

٣/ ٤١١/ ت

ومن الناحية العلمية فإن الجزء الذى يتجلى فيه النهار على الأرض محدود فى طوله وعرضه بنصف مساحة الكرة الأرضية المواجه للشمس ، ومحدود فى سمكه بمائتى كيلو متر فوق مستوى سطح البحر. وهذا الجزء فى حركة دائمة؛ لأنه يرتبط بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس. ولما كانت المسافة بين الأرض والشمس فى حدود ١٥٠ مليون كيلو متر، وكان نصف قطر الجزء المدرك من الكون (حتى الآن) يقدر بثمانية عشر بليون سنة ضوئية (أى ما يساوى ١٧١ × ١٠^{٢١} كيلو متر) اتضحت لنا ضآلة سمك الطبقة التى يعمها ضوء النهار وعدم استقرارها لانتقالها باستمرار من نقطة لأخرى على سطح الأرض مع دوران الأرض حول محورها ، واتضح لنا أن تلك الطبقة الرقيقة تحجب عنا ظلام الكون خارج حدود أرضنا ونحن فى وضح النهار ، فإذا جن الليل انسلخ منه النهار واتصلت ظلمة الكون ، وتحركت تلك الطبقة الرقيقة من الضوء الأبيض لتفصل نصف الأرض المقابل عن تلك الظلمة الشاملة التى تعم الكون كله .

وتجلّى النهار على الجزء السفلى من الغلاف الهوائى للأرض (بسمك ٢٠٠ كيلو متر فوق سطح البحر) بهذا اللون الأبيض المبهج نعمة كبرى من نعم الله على العباد . ويفسر ذلك بأن الهواء فى هذا الجزء له كثافة عالية نسبيًا ، وأن كثافته تتناقص بالارتفاع حتى لا تكاد تدرك ، وأنه مشبع ببخار الماء وبهباءات الغبار التى تثيرها الرياح من فوق سطح الأرض فتعلق بالهواء . وتقوم كل من جزيئات الهواء الكثيف نسبيًا ، وجزيئات بخار الماء ، والجسيمات الدقيقة من الغبار بالعديد من عمليات تشتيت ضوء الشمس وعكسه حتى يظهر باللون الأبيض الذى يميز النهار كظاهرة نورانية مقصورة على النطاق الأسفل من الغلاف الجوى للأرض فى نصفها المواجه للشمس .

وبعد تجاوز المائتى كيلو متر فوق سطح البحر يبدأ الهواء فى التخلخل لتضاؤل تركيزه وقلة كثافته باستمرار مع الارتفاع، ولندرة كل من بخار الماء وجسيمات الغبار فيه ـ لأن نسبها تتضاءل بالارتفاع حتى تكاد أن تتلاشى ـ ولذلك تبدو الشمس وغيرها من نجوم السماء بقعا زرقاء باهتة فى بحر غامر من ظلمة الكون لأن أضواءها لا تكاد تجد ما يشتته أو يعكسه فى فسحة الكون .

تجلية الشمس :

التجلية ـ كما فى المعاجم ـ مصدر من الفعل (جلّى) . يقال : جلّى النهار الظلمة أى: كشفها، وجلّى الهم والأمر عنه؛ أى: كشفه ، وجلّى عن نفسه أى: عبر عن ضميره. وفى التنزيل العزيز: ﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا** (١) **وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا** (٢) **وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا** (٣) ﴾ [الشمس] . أى : والنهار إذا جلى الشمس وكشفها وأوضحها ، والمراد : الضوء الصادر عنها ، فتفيد الآية أنه لم يكن مرئيًا قبل طبقة النهار . ومن المعروف أن طبقة النهار محدودة لا يزيد ارتفاعها عن سطح البحر على ٢٠٠ كيلو متر ، وهى تحجب عنا ظلام الفضاء الذى يعم كل بدن السماء . ونحن نرى نور النهار لما يحدث لضوء الشمس من تشتت فى الجزء الأسفل من الغلاف الجوى للأرض . وأنت تستطيع أن تنير حجرتك بفتح النافذة حتى ولو كانت هذه النافذة لا تواجه أشعة الشمس المباشرة. أما على القمر فلا تتجلى الشمس عليه لعدم وجود نهار هناك . ولهذا تظل سماء القمر مظلمة فى نهاره الطويل الذى يبلغ أمده نصف شهر عندنا .

تذليل الأرض :

التذليل : مصدر من الفعل (ذلل) . يقال : ذلل الأرض ، أى : سهلها ومهدها ، وفى التنزيل العزيز: ﴿ **وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً** (١٤) ﴾ [الإنسان] . والذلول: الطريق الممهد. وفى القرآن الكريم: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا** ﴾ [الملك : ١٥]، أى: جعل لكم الأرض سهلة تستقرون عليها .

ومن الناحية العلمية فإن تذليل الأرض يعنى : إعدادها وتهيئتها لساكنها ، حتى أصبحت كالدابة الذلول . فسطح الأرض مستقر لنا ونحن عليه لا نشعر بالدوار نتيجة دوران الأرض حول محورها كل يوم أو دورانها حول الشمس مرة كل عام ، أو دورانها مع المجموعة الشمسية حول المجرة بسرعة تصل إلى نحو ٤٩٧ ألف ميل / ساعة ، بل نبقى عليه آمنين مستريحين ، وغلافها الجوى يمدنا بالهواء المناسب لتنفسنا ويحمينا من أخطار الفضاء الكونى .

التجمع :

تجمع الشيء فى اللغة : انضمام بعضه إلى بعض . ولم ترد لفظة التجمع فى القرآن الكريم وإنما وردت ألفاظ أخرى تشترك معها فى الجذر اللغوى مثل : (جَمَع، يجمع، جُمِع ، أجمعوا ، اجتمعت ، الجمع، مجمع ، مجموع ، مجتمعون ، جميع، وغيرها) .

والتجمع aggregate كمصطلح فى علم الجيولوجيا يعنى : خليط المواد المعدنية أو الصخرية التى يمكن فرزها بالوسائل الميكانيكية .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الركام .

التجهيز :

التجهيز فى اللغة: إعداد ما يحتاج إليه الشيء. وفى التنزيل العزيز : ﴿ **وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ** ﴾ [يوسف : ٥٩] .

والتجهيز preparation كاصطلاح فى علم الجيولوجيا له نفس الدلالة اللغوية السابقة . فتجهيز الفحم coal preparation ـ على سبيل المثال ـ يعنى : عمليات تنظيف الفحم من الشوائب ولا سيما قطع الصخور والمادة الحاملة للرماد والمكونات الحاملة للكبريت .

التجويد :

تعريف علم التجويد فى اللغة : التحسين والإجادة .

وفى الاصطلاح : إخراج كل حرف من مخرجه وإعطاؤه حقه ومستحقه .

وحق الحرف هو : مخرجه ، وصفاته التى لا تفارقه أبدًا ، كالجهر والشدة وغيرها من الصفات .

ومستحق الحرف هو : الصفات العارضة التى تعرض له فى بعض الأحوال ، كالتفخيم والترقيق . وقيل : إن التجويد اصطلاحا هو : العلم الذى يبين الأحكام

والقواعد التى يجب الالتزام بها عند تلاوة القرآن ، طبقًا لما تلقاه المسلمون جيلاً بعد جيل عن النبى ﷺ .

موضوع علم التجويد: الكلمات القرآنية، من حيث النطق بها وإعطاء حروفها حقها ومستحقها من غير تكلف ولا تعسف، والتجويد خاص بالقرآن فقط، وإن كان البعض يرى أنه يدخل فى الحديث الشريف أيضًا. لكن الأول هو رأى الجمهور.

ثمرته وفائدته: صون اللسان من الخطأ واللحن فى ألفاظ كتاب الله حال قراءتها.

نسبته : من العلوم الشرعية المتعلقة بالقرآن الكريم والخاصة به .

فضله : هو من أشرف العلوم وأجلها لتعلقه بكتاب الله عز وجل .

الواضع له : من الناحية العملية هو النبى ﷺ ، لأنه نزل عليه وتلقاه من جبريل عليه السلام مجودًا ، وكذلك تلقته الصحابة من النبى ﷺ ، أما الواضع لقواعده وقضاياه ، ففيه خلاف ، فقيل: أبو الأسود الدؤلى ، وقيل : أبو القاسم عبيد بن سلام ، وقيل: الخليل بن أحمد الفراهيدى ، وقيل غيرهم .

استمداده : من تتبع كيفية قراءة النبى ﷺ ثم قراءة أصحابه من بعده ثم التابعين وأتباعهم بالتواتر حتى وصل إلينا .

حكمه : والتجويد واجب على كل مسلم ومسلمة بلغ حد التكليف وقرأ القرآن ولو شيئًا يسيرًا ، فكل مسلم مطالب بتعلم أحكام التلاوة ومراعاتها عند القراءة ، والتقصير فيه دون عذر مقبول يوقع الإثم على صاحبه .

دليله : وعلم التجويد ثابت بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة .

فدليله من الكتاب : قوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل] ، فهذا أمر من الله عز وجل بترتيل القرآن وهو للوجوب .

والترتيل هو : « تجويد الحروف ومعرفة الوقوف » ، كما أخبر بذلك على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه .

ودليله من السنة : ما رواه موسى بن يزيد الكندى رضي الله عنه قال : كان ابن

مسعود يقرئ رجلاً ، فقرأ الرجل : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ [التوبة : ٦٠] ، مرسلة، فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها النبى ﷺ ، فقال : وكيف أقرأكها ؟ قال : أقرأنيها: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ فمدها . ومعنى كونها مرسلة : أى بدون مد. فهكذا أنكر ابن مسعود على الرجل أن يقرأ بغير القراءة التى أقرأ بها النبى أصحابه، فدل ذلك على وجوب هذه القراءة ولكى يقرأها يجب أن يتعلم قواعدها،وهى علم التجويد .

ودليله من الإجماع : أن علماء الأمة من زمن النبى ﷺ إلى زمننا أجمعوا على وجوب تجويد القرآن الكريم .

التجويف :

التجويف Vug : الفراغ فى داخل الشىء ، من الجوف وهو باطن كل شىء يقبل الشغل والفراغ. وفى التنزيل العزيز : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾

[الأحزاب : ٤]

والتجويف كمصطلح فى علم الجيولوجيا عبارة عن فراغ داخل الصخر أو العرق المعدنى يكون عادة مبطنًا ببلورات من معادن تختلف عن معادن الصخر المضيف .

تحدّب :

الحدب فى اللغة هو : ما ارتفع وغلظ من الأرض كجبل أو أكمة . وفى التنزيل العزيز : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) ﴾

[الأنبياء]

والتحدب من الحدب وهو فى الجيولوجيا له نفس الدلالة اللغوية ، فالتحدب Anticline هو حدوث تقوس فى الطبقات الصخرية السطحية. ويتراوح اتساع الحدبة بين ١٠٠ ، ٣٠٠ كيلو متر فى العادة .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الحدبة . ٢ ـ الطى . ٣ ـ الطية .

التحدى :

نقول : تحديت فلانًا إذا باريته فى فعل ونازعته الغلبة فيه .

فتحدى القرآن العرب: يعنى أنه باراهم ونازعهم فنون القول والبيان وغلبهم عليها، وعجزوا جميعًا عن مباراته فضلاً عن غلبته .

القرآن هو المعجزة العقلية الخالدة لخاتم الرسل ﷺ ؛ ولقد أيد الله نبيه بهذه المعجزة تصديقًا له فى دعوته ، ومنهاجًا له ولأمته فى أمرى الدنيا والدين ، ولا تكون المعجزة معجزة إلا إذا اقترنت بالتحدى ، ويعجز المتحدى . فهى ـ كما مر ـ أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدى ، سالم عن المعارضة . وحيث إن العرب برعوا فى فنون القول كانت معجزة الرسول من جنس ما برعوا فيه فكان القرآن . وقد تحداهم النبى به أكثر من عشرين عامًا، تحداهم أولاً بالإتيان بمثله فقال تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)** ﴾ [الطور]، ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)** ﴾ [الإسراء]، تحداهم ومن يعاونهم من الإنس والجن فعجزوا. . . فكانت المرحلة الثانية من التحدى ، طلب منهم الإتيان بعشر سور مثله ، ولم يشترط فيهن الإحكام والصدق والحكمة ، بل يكفى النسج العام والصياغة الظاهرية، ولو كن مفتريات .

قال تعالى : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٤)** ﴾ [هود] . بالطبع إذا عجزوا فليعلم كل مسلم أو كل ذى بصيرة أنه أنزل من عند الله ، وبعلم الله ، وأنه لا إله إلا الله ، فجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه منه ، ودليلاً على وحدانيته ، فهل تعقلون وتقرون بذلك ؟ أم هى المكابرة والعناد ؟

ثم تدرج التحدى إلى أدنى من ذلك ، فتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة أيا كان حجمها ، دون تحديد ، قال تعالى : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**

كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) ﴾ [يونس] ، وقال : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ [البقرة] . وتحداهم وشهداءهم ومعاونيهم من كل صوب ممن يعبد غير الله .

ومن العجب أنه ـ سبحانه ـ قطع عليهم طريق القدرة على ذلك مبالغة فى التحدى ، فقال لهم : ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ مستخدمًا أداة النفى ﴿ لَن ﴾ التى قال عنها علماء النحو : إنها تنفى معنى الفعل فى الزمن المستقبل . وإمعانًا فى إذلالهم أنذرهم وكل من كفر بهذا القرآن بالنار المعدة لهم ، حيث جعلهم وقودًا لها ، فهل يستطيع أحد الفكاك منها ، أو مواجهة التحدى بالمثل ؟

ولا شك أن القرآن نزل بلغتهم ، وكانوا أقدر الناس على فهمه ، وإدراك إعجازه، ولو استطاعوا مواجهته ما تأخروا، فهو يسفه أحلامهم ، ويعيب آلهتهم، حتى ناصبوه الحرب ، وهلكت فى ذلك النفوس ، وقطعت الأرحام ، وذهبت الأموال،فلو كان فى وسعهم أن يأتوا بمثله ما اختاروا فى مواجهته المركب الخشن، فهل يعقل أن يجدوا فرصة للنيل منه ، ويتركوها ؟ إنهم لفرط معرفتهم بالقرآن والتأكد من غلبته فى مجال التحدى المعلن لهم نصحوا بعضهم بعضًا ألا يستمعوا له حتى لا يغلبوا أمام قوة بيانه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) ﴾ [فصلت] . فهو كما أسكت الكافرين عجزًا ، جذب المؤمنين إلى رحاب الدين الجديد ، وما إسلام عمر إلا لونًا من خضوع العدو واستسلامه أمام حق القرآن وصدقه ، وغلبته على النفوس ، وقدرته الأخاذة بالقلوب ؟ وحديث جبير بن مطعم عندما سمع آيات من سورة الطور، وموقف عتبة من آيات فصلت . . . إلخ . وما إسلام أهل المدينة واحدًا تلو الآخر إلا من هذا اللون. إن الوليد بن المغيرة زعيم قريش وكبيرها أتاه فقال : إن الناس يجتمعون غدًا بالموسم، وقد فشا أمر هذا الرجل فى الناس ، فهم سائلوكم عنه فماذا تردون عليهم ؟

فقالوا : مجنون يخنق ؛ فقال : يأتونه فيكلمونه فيجدونه صحيحًا فصيحًا عادلاً فيكذبونكم ! قالوا : نقول : هو شاعر، قال: هم العرب، وقد رووا الشعر

وفيهم الشعراء، وقوله ليس يشبه الشعر، فيكذبونكم ! قالوا : نقول: هو كاهن ، قال : إنهم لقوا الكهان ، فإذا سمعوا قوله لم يجدوه يشبه الكهنة فيكذبونكم ! ثم انصرف إلى منزله .

فقالوا : صبأ الوليد ـ أسلم ـ ولئن صبأ لا يبقى أحد إلا صبأ ، فقال لهم ابن أخيه أبو جهل بن هشام بن المغيرة : أنا أكفيكموه .

فأتاه محزونًا فقال : مالك يا بن أخ ؟ قال : هذه قريش تجمع لك صدقة يتصدقون بها عليك ، تستعين بها على كبرك وحاجتك ، قال: أو لست أكثر قريش مالاً ؟ قال : بلى ! ولكنهم يزعمون أنك صبأت لتصيب من فضل طعام محمد وأصحابه ، قال : والله ما يشبعون من الطعام فكيف يكون لهم فضول ؟

ثم أتى قريشًا فقال : أتزعمون أنى صبأت ؟ ولعمرى ما صبأت ، إنكم قلتم: محمد مجنون ، وقد ولد بين أظهركم لم يغب عنكم ليلة ولا يومًا ، فهل رأيتموه يخنق قط ؟ فكيف يكون مجنونًا ولم يخنق قط ؟ وقلتم : شاعر ، وأنتم شعراء فهل أحد منكم يقول ما يقول ؟ وقلتم : كاهن ، فهل حدثكم محمد فى شىء يكون فى غد إلا أن يقول : إن شاء الله ؟

وقال عنه فى رواية أخرى : (إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، ما يقول هذا بشر) فى لحظات ما ، يستسلم الإنسان ، ويقر بالعجز ، ويعترف بالحق وإن كان مرًا. قالوا: كيف تقول يا أبا المغيرة ؟ قال : أقول : هو ساحر ، فقالوا : وأى شىء السحر ؟ قال : شىء يكون ببابل ، من حذقه فرق بين الرجل وامرأته والرجل وأخيه . . . إن محمدًا فرق بين فلان وفلانة زوجته، وبين فلان وابنه ، وبين فلان وأخيه وبين فلان ومواليه فلا ينفعهم ولا يلتفت إليهم ولا يأتيهم ؟ قالوا : بلى .

وبهذا أرضى الوليد كفره وعناده ، وهو الذى أدار جزيئات الأمر على عقله ، ورفضه كله؛ لأنه عقله لم يقبله، فكيف غاب الآن عن عقله أن محمدًا لم يجلس إلى معلم، ولم يبرح مكة ليتعلم ، فمن أين أتاه سحر بابل ؟ إنه عناد الضعيف، وغرور العاجز بعد أن يفقد أسباب النصر الحقيقية. فنزل فيه قول الله: ﴿ **إِنَّهُ فَكَّرَ**

وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) ﴾ [المدثر] .

وبهذا شهد الوليد بأن القرآن أكبر من أن يتحداه أحد ، وأنه ليس بشعر ولا كهانة ، إنما هو قول يعجز عنه شعراء العرب وفصحاؤهم ، مع أن فيهم الشعراء والخطباء ، وهم أقدر الأمم وأقدر العصور على فن القول ، ولقد شهد القرآن لهم بذلك ، فقال : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) ﴾ [الزخرف] ، وقال عن القرآن: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (٩٧) ﴾ [مريم] .

فنخلص من هذا أن تحدى القرآن للمعاندين قام فى عصر النبوة ومستمر إلى يوم القيامة ، وأن عجز الناس أمام هذا التحدى أيضًا ثبت من لدن عصر البلاغة الأول إلى يوم القيامة أيضًا ، وحفظ القرآن ونصوصه الدالة على التحدى والعجز معًا ثابتة ومتواترة ومحفوظة برعاية الله لكل آيات القرآن .

وقد أورد القرآن كل شىء حتى سبهم وإيذاءهم للقرآن ولمن أرسل على يديه، ولو أخفى شيئًا لكانت هذه الأمور أحق بالإخفاء، قالوا فى القرآن : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٣١)﴾ [الأنفال]، وقالوا فى الرسول: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) ﴾ [الحجر]، وما تقولاتهم هذه إلا ضرب من العجز يلجأ إليها الضعيف حيث لا يجد سيف حق يضرب به خصمه.

فلو تأتى للنبى أن يخفى شيئًا ، أو للقرآن ألا يتعرض لشىء مما حدث لكانت هذه الحماقات أولى بالكتمان، ولكن الله أمر نبيه بأن يبلغ للناس كل ما ينزل عليه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) ﴾ [المائدة] ، وأنذره إن هو غير أو بدل أو أضاف: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) ﴾ [الحاقة] .

تحرّف :

التحرّف : هو الانحراف والميل . يقال : تحرّف يتحرف فهو متحرف . وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [الأنفال : ١٦] . والتحرف deformation كمصطلح جيولوجى هو تشوه ينتاب الصخور بعد ترسبها . وقد يكون هذا التشوه قبل التصلب محدثًا طيات وصدوعا صغيرة كما فى حالة التحرف المتزامن ، أو يستمر فعله بعد التصلب مثل التحرف المستمر الذى قد ينشأ عنه تهشم الصخور . وهناك نوع من التحرف يعرف باسم التحرف المرن elastic deformation تستعيد فيه الصخور أشكالها الأصلية عند زوال الثقل الواقع عليها .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التصلب . ٢ ـ التهشم . ٣ ـ الصخرة .

التحرى :

التحرى فى الأمور: قصد أفضلها ، وتحرى الشىء قصده وتوخاه واجتهد فى طلب ما هو أجدر ، ودقق فى الوصول إليه ، وكذلك تحرى عنه ، وفى الحديث: أن رجالاً من أصحاب النبى ﷺ أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ : « أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر » [البخارى : (٢٠١٥)] .

الأحرى : الأفضل ، وحرا به حرا : خلق به وجدر فهو حرى به وجدير ومستحق له ، وما أحراه بكذا : ما أجدره به ! وفى الحديث : « إن هذا لحرى إن خطب أن ينكح » [البخارى (٥٠٩١)] . وفى التنزيل العزيز : ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) ﴾ [الجن] . أى توخوا وعمدوا إلى الرشد ، وطلبوا طريق النجاح والفلاح بإسلامهم .

والتحرى من أهم أعمال الجهات الأمنية فى الحكومات للتعرف على ما عساه يكون خطرًا على أمن الوطن وسلامته ، كما أنه لازم عند وقوع الجرائم المجهول مرتكبوها ، فيقوم رجال البحث والتحرى بمجهود مكثف لاكتشاف أسرار تلك

الجرائم حتى يتم التوصل إلى الفاعل الحقيقى ومعاقبته، ومن التحرى التعرف على أسرار أعداء الوطن وقواتهم وأسرارهم العسكرية والأمنية والاقتصادية إلى غير ذلك وتلك مهمات المخابرات وأجهزة البحث على اختلاف أنواعها ومجالاتها.

التحريم :

تحريم الشيء : جعله حرامًا . والحرام : الممنوع من فعله . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٧٣] . وفى القرآن الكريم أيضًا : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ** ﴾ [المائدة : ٣] . وقد اتفق أهل العلم على أنه لا تحريم إلا بنص ، وأن الأصل فى الأشياء الإباحة .

التحصين :

التحصين : هو المنع والوقاية . يقال : حصّن الشيء أى : منعه وصانه . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ** ﴾

[الحشر : ١٤]

وتستخدم كلمة التحصين فى علم الجيولوجيا بنفس دلالتها اللغوية . فالتحصين من الحريق ـ على سبيل المثال ـ يعنى : تغطية سطح مادة ما أو تشبيعها بمادة أخرى تقلل من قابليتها للاحتراق .

التحلل :

التحلل فى اللغة : هو التخلص من الشيء . يقال : تحلل من التبعة : تخلّص منها. ولم ترد كلمة (التحلل) فى القرآن الكريم وإنما وردت ألفاظ أخرى كثيرة تشترك معها فى الجذر اللغوى ، مثل : (تحلة ، حلائل ، حل ، حلال ، أحل ، يحلونه ، يحلل وغيرها) .

وتستخدم كلمة التحلل كمصطلح فى علم الجيولوجيا بمعنى : التفكك والذوبان . فتحلل الصخور decomposition عبارة عن تكسرها كيميائيًا بفعل

عوامل التجوية weathering . والتحلل الهوائى aerobic decay هو تفكك المواد العضوية بفعل الأحياء الدقيقة فى وجود أكسيجين الهواء الجوى .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التحليل .

التحليل :

التحليل فى اللغة : إرجاع الشىء إلى عناصره . وللتحليل دلالات أخرى ، مثل : الإباحة ، والفك . ولم ترد كلمة (التحليل) فى القرآن الكريم وإنما وردت ألفاظ أخرى تشترك معها فى الجذر اللغوى مثل (تحلة) فى قوله تعالى : ﴿ **قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ** ﴾ [التحريم : ٢] . أى : بيّن ما تنحل به عقدة أيمانكم من الكفارة .

والتحليل كمصطلح جيولوجى يعنى : تفكيك الشىء وإرجاعه إلى عناصره (بنفس الدلالة اللغوية التى أوردناها) . كما يعنى جمع الشواهد ودراسة المؤثرات واستخلاص النتائج . فتحليل البيئة القديمة paleoecotogical analysis ـ على سبيل المثال ـ يعنى : جمع شواهد البيئة القديمة التى ترسب فيها صخر ما ، وذلك بدراسة هذا الصخر وما فيه من أحافير وأوضاعها وعلاقتها بعضها ببعض . وتحليل الصخر هو دراسة النتائج التى تسفر عنها الاختبارات والتحاليل الكيميائية والمجهرية للصخور واستقراؤها لاستنتاج الخصائص العامة لها ، وتفهّم الظروف المحيطة بنشأتها .

والتحليل: الإباحة. وفى التنزيل العزيز : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [المائدة :٤] . وفيه أيضًا: ﴿ **أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** (١)﴾ [المائدة]. وقد أحل الله من الأنعام، الضأن والمعز والإبل والبقر. وأضاف الرسول ﷺ : الظباء والبقر الوحشى وكل ذات أربع من حيوان البحر. وهناك حيوانات أخرى أحلها الإسلام. والأصل فى الأشياء الإباحة ، ولا تحريم إلا بنص من القرآن أو السنة النبوية.

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التحلل .　　٢ ـ الصخرة .

التحنن :

لأن القرآن دستور شامل ، ما فرط الله فيه من شيء فقد لمس عواطف الحنان بين الابن وأبيه ، وبين الأب وابنه ، وبين الأخ وأخيه . دعا نوح قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا فآمن به من آمن ، وكفر به من كفر ، وكان ممن كفر ابنه، فعز ذلك عليه، وصعب عليه أن يتفلت ابنه من بين يديه إلى النار ، فأخذ يتودد إليه بحق الأبوة ، ويلاطفه ، ويبين له طريق الهدى والرشاد ، إلا أن الابن الضال لم يصغ إلى أبيه .

صور القرآن ذلك فى أسلوب يقطر عاطفة ، فقال على لسان نوح مناديًا ابنه: ﴿ **يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢)** ﴾ [هود] ، فيرد الابن بقسوة الكفر قائلاً: ﴿ **سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ** ﴾ فيقول الأب فى حنان ومسؤولية وعلم: ﴿ **لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ** ﴾ ، وكانت النتيجة المحتومة على الرغم من ثقلها على قلب الأب ، ﴿ **وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣)** ﴾ [هود]، ولم يترك نوح الأمر، فهو أب يرى ابنه يهلك أمامه ، ولا يستطيع نجاته ، فيتجه إلى ربه بنفس العاطفة والحنان: ﴿ **رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥)** ﴾ [هود]، وتأتيه إجابة السماء العادلة: ﴿ **يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)** ﴾ [هود]، وهنا يتكلم نوح الرسول ، لا نوح الأب واضعًا الأمر فى نصابه: ﴿ **رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧)** ﴾ [هود].

وتأمل صيغة النداء التى توجه بها نوح إلى ابنه (يا بنى) لفظ مصغر إشعارًا بالطفولة التى تمتلئ تحببًا وحنانًا وشفقة للابن ، واستعملها نوح ليدخل على ابنه الكافر من هذا المدخل لعله يستجيب ولو رحمة بالأب الشيخ ، ولكنه لم يفعل، لأنه يحمل قلبًا كافرًا لا يعرف الشفقة. ولتيسير الأمر على الولد، لم يقل له نوح:

أسلم أولاً، ثم اركب معنا، ولكنه اكتفى بطلب الركوب، وليكن بعد ذلك ما يكون، فاستجابته للركوب خطوة لاختياره معسكر الإيمان. وفى قصة يوسف مع أبيه وأخوته لقطات من ذلك الحنان ؛ حنان الأب على ابنه ، وحنان الابن مع أبيه ، وحنان الأخ على أخيه .

بدأ ذلك منذ أن قص يوسف رؤياه على أبيه ، فحذره أبوه من إعلانها خوفًا عليه وشفقة به: ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا** ﴾ [يوسف:٥]. ولكن الأخوة كادوا ليوسف ، ودبروا له المؤامرة ، وعرضوا على أبيهم أن يذهبوا به معهم ، فقال لهم : ﴿ **إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ** (١٣) ﴾ [يوسف] .

وجرى القلم بما أراد الله ، فشكا النبى الكريم إلى ربه ما حدث ، واستعان به على ما وقع ، وتدرع بالصبر : ﴿ **بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** (١٨) ﴾ [يوسف] . وتطورت الأحداث ، وخيم القحط على الشام ، وذهب الأخوة إلى مصر طلبًا للميرة ، وشرط عليهم عزيز مصر أن يأتوا بأخ لهم من أبيهم ، فعرضوا المطلب على الأب الكبير ، فهاجت ذكرى يوسف ، وقال لهم : ﴿ **هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ** ﴾ [يوسف : ٦٤] ، ولما لم يجد بدًا من الإذعان ، نصحهم قائلاً: ﴿ **يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ** ﴾ [يوسف : ٦٧] . ووصلوا إلى مصر بأخيهم الأصغر ، ودخلوا على العزيز ، فهاجت عواطفه ، وتعلق قلبه بأخيه ، ونسى المنصب والسلطان ، واستجاب لسلطان العاطفة وصدق الحنان ، فما كان منه إلا أن: ﴿ **آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ** ﴾ و﴿ **قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ** ﴾ [يوسف : ٦٩] . وحجز الأخ الصغير بمكيدة دبرها الله ليوسف ، وعاد الأبناء بدونه لأبيهم المكلوم ، فزادت جروحه ألمًا ، وتذكر أول الجروح ، فقال : ﴿ **يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** (٨٤) ﴾ [وسف] ، ولم يجد بدا من المحاولة ، والأمل فى الله ، فعسى الله أن يعيد إليه ابنيه، فقال لأبنائه: ﴿ **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ** ﴾ [يوسف : ٨٧] ، ولما عادوا من رحلتهم ، أو أوشكوا على الوصول أحس الأب

بحنان الأبوة وشفافية النبوة بأن فى الغيب فرجًا قريبًا ، فقال فى خوف من اتهامه : ﴿ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) ﴾ [يوسف] .

وتحقق إحساس الأب الكريم ، وجاءت البشارة ، وجاءت لحظة الاعتذار عما بدر ، والندم على ما فات ، والأمل فى الغفران ، فقال الأبناء لأبيهم : ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) ﴾ [يوسف] ، فيقول الأب بلسان الأب وقلبه ، ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) ﴾ [يوسف] . وينتقل الركب إلى مصر ، ويدخل على عزيزها، وكانت اللحظة التى تعجز أقلام البشر عن تصويرها، يصورها القرآن ، فيقول: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [يوسف] .

ونجد دوافع الأبوة وحنانها فى وصية لقمان لابنه وهو يدعوه إلى الإيمان بالله قائلاً له : ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ [لقمان : ١٣] ، ويكرر عليه النصيحة تلو النصيحة لعله يستجيب فينقذ نفسه من عذاب الله ، فيبين له دقة علم الله وإحاطته بكل شىء ، ويدعوه إلى الصلاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والصبر ، والتواضع ، و. . . الآيات ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) ﴾ [لقمان] لحظة قاسية على الأب أن يجد ابنه على شفا حفرة من النار وهو عاجز عن إنقاذه، ويتودد الأب إلى الابن بحنان الأبوة ، وبكل ما تحمل معانى الأبوة من شفقة وعطف دون جدوى .

وانظر ذلك الموقف الكبير بين موسى وأخيه هارون ، عندما ضل بنو إسرائيل فى غيبة موسى عنهم ، وكان معهم هارون إذ ذاك ، ولغيرة موسى على ربه ثار

فى وجه هارون وحمله المسؤولية، ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، فقال له أخوه مستعطفًا ، مثيرًا فيه عواطف الأخوة الرضية : ﴿ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ ﴾ [الأعراف : ١٥٠] ، ﴿ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) ﴾ [طه] ، وانظر بم ناداه ! قال له : ﴿ يَا بْنَؤُمَّ ﴾ ناداه ببنوته لأمه ، وهى منبع الحنان فى الأسرة كما قال العلماء : إن كل قطرة حنان تحس فى الأسرة فإن منبعها الأم، فمن الذى أدرى هارون بذلك التفسير العلمى النفسى الحديث ؟ إنه القرآن الذى جاء على لسانهم ولكن بتصوير رب العالمين الذى علم الإنسان ما لم يعلم .

التحوّل :

التحول فى اللغة هو: التنقل من موضع إلى موضع ، أو من حال إلى حال. وهو مناظر للتحويل . يقال : حوّل الشىء : غيره من حال إلى حال أو نقله من مكان إلى آخر . وفى التنزيل العزيز: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (٥٦) ﴾ [الإسراء] . والتحوّل كمصطلح فى علم الجيولوجيا يعنى : التغير المعدنى أو الكيميائى أو التركيبى الذى يحدث فى الصخور الصلبة استجابة للظروف الطبيعية والكيميائية التى تعرضت لها الصخور فى أعماق القشرة الأرضية بعيدًا عن نطاقات التجوية weathering والسمنته ce-menting، والتى تختلف عن الظروف التى تكون فى ظلها الصخر الأصلى .

والصخور المتحولة metamorphic rocks هى الصخور التى تنشأ نتيجة لعمليات التحول، وهى إما أنها كانت صخورًا نارية أو رسوبية فى الأصل ، أو كانت صخورًا تحولت سابقًا ثم أعيد تحولها مرة أخرى . ومن أمثلتها : الرخام والهورنفلنس .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التغير .　　٢ ـ الصخرة .

التحوّى :

التحوى فى اللغة هو : التجمع والاستدارة . والتحوى أيضًا : الانقباض .

ولم ترد لفظة (التحوى) فى القرآن الكريم، وإنما وردت كلمة (الحوايا) جمع (حوية)، وكذلك كلمة (الأحوى)، وهما تشتركان مع (التحوى) فى نفس الجذر اللغوى (حوى). قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا** ﴾ [الأنعام : ١٤٦] ، وقال عز وجل : ﴿ **فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ** ۝٥ ﴾ [الأعلى] . والتحوّى whorling فى علم الجيولوجيا كمصطلح يعنى: تكوين حوايا الصدفة الملتفة ذات المصراع الوحيد .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الحويّة .

التحويل :

ويأتى النسخ فى اللغة أيضًا بمعنى التحويل ، كتناسخ المواريث ، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد، ومنه نسخت الشمس الظل إذا أذهبته وحلت محله، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا** ﴾ [البقرة : ١٠٦]. وفى صحيح مسلم : « لم تكن نبوة قط إلا تناسخت » [مسلم (٢٩٦٧/ ١٤)] ، أى تحولت من حال إلى حال .

التَّحيُّز :

التَّحيُّز والتَّحَوُّز : التَّنَحِّى ، ومنه فى التنزيل : ﴿ **أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [الأنفال : ١٦] . فالمتحيِّز فى القتال إذا نوى التحيز إلى فئة من المسلمين ليستعين بهم فيرجع إلى القتال لا يعد منهزمًا وينجُو من غضب الله وعذابه المبين فى الآية ، وانحاز القوم : تركُوا مراكز قتالهم ومواضعهم ومالوا إلى مواضع أخرى ، وتحيَّز : تنحَّى ، وتحاوز المقاتلون : انحاز كل فريق عن الآخر .

التحية :

التحية فى اللغة : السلام . ويقال : تحايا القوم : حيا بعضهم بعضًا . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ [النساء : ٨٦] .

وتبادل التحية سلوك شائع فى بعض الحيوان. وفى الفهود ـ على سبيل المثال ـ

فإن التحية تكون بالتشمم أو حك الوجنات لفترة قصيرة . وفى بعض الحيوانات الأخرى تكون باللعق .

التخارج :

وهو أن يتصالح الورثة على إخراج بعضهم من الميراث فى نظير شىء معلوم من التركة أو من غيرها ، وحكمه جائز عند التراضى .

التخالف :

التخالف فى اللغة : التضاد . ولم ترد كلمة (التخالف) فى القرآن الكريم وإنما وردت كلمات أخرى كثيرة تشترك معها فى نفس الجذر اللغوى (خلف) مثل: ﴿ أُخَالِفَكُمْ ﴾ فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨].

والتخالف disconformity كمصطلح فى علم الجيولوجيا هو نوع من عدم التوافق بين المجموعات الصخرية المتجاورة ، بحيث تكون فيه المجموعتان غير المتوافقتين صخوراً رسوبية (أى من نوع واحد) ، ولكن سطح عدم التوافق بينهما يكون فى هيئة سطح تعرية قديم .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التوافق .

التخصيص :

هو قصر العام على بعض أفراده أو آحاده أو مسمياته بدليل ، والتخصيص يرد على العام ، والعام لفظ وضع للدلالة على أفراد غير محصورين ، على سبيل الاستغراق والشمول ، كانت دلالته على ذلك بلفظه ومعناه ، بأن كان بصيغة الجمع: كالمسلمين والمسلمات ، والرجال والنساء ، أو كانت بمعناه فقط : كالرهط، والقوم ، والجن ، والإنس ، ومَن ، وما .

التخفى :

التخفى : مصدر الفعل (تخفّى) بمعنى: استتر وتوارى. وفى التنزيل العزيز: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٥) ﴾ [آل عمران] . والتخفى

٥/ ٤٣٢/ ت

أحد الوسائل الدفاعية للحيوانات ، إذ يختبئ الكثير منها حين يقترب الأعداء منها. وبعض الحيوانات ذات تلوين يطابق الوسط الموجودة فيه لدرجة يصعب فيها تمييزها، كما تشابه أجسام بعض الحيوانات أجزاء من النباتات . والحيوانات التى حباها الله بهذه الخصائص يمكنها أن تختفى ببساطة ، وذلك بأن تظل ساكنة فى مكانها . فالحرباء تستطيع تغيير لونها بسرعة حسب لون الوسط الموجودة فيه . وتأخذ بعض أنواع القشريات (الجمبرى) ألوان أعشاب البحر المحيطة بها . والسرعوف لديه جسم عريض وأجنحة تتشابه مع أوراق النباتات .

وإذا وقف النمر المخطط ساكنًا بين الأعشاب الطويلة فإن تخطيط جسمه يجعله يندمج مع ظلال الأعشاب ويصعب تمييزه . كما أن الدب القطبى الناصع البياض يبدو كأنه يتلاشى بين الثلوج . وعن طريق التخفى تختبئ الحيوانات عن أعين أعدائها من المفترسات ، وتستطيع الحيوانات الصيادة رصد فرائسها فى صمت دون أن تكتشف حتى تنقض على طرائدها فى الوقت المناسب .

التخلق :

من معانى التخلّق فى اللغة : الخلق . يقال : تخلّق القول ، أى : خلقه ، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] ،والتخلق abiogenesis كمصطلح فى علم الجيولوجيا هو الزعم بتطور الكائنات الحية من مواد غير حية والتخلق abiogenesis أيضًا هو مجموع العمليات الفيزيائية والكيميائية التى تحدث للرواسب فى أثناء تضاغطها وتصخرها، مثل: السمنتة والإحلال والتبلور والغسل. ولا يشمل التخلق عوامل التعرية أو عمليات التحول metamorphism.

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التحول . ٢ ـ التصخر . ٣ ـ التطور .

التخليق :

التخليق فى اللغة : إتمام الخلق . ولم ترد كلمة (التخليق) فى القرآن الكريم وإنما وردت ألفاظ أخرى تشترك معها فى نفس الجذر اللغوى ، مثل (خلق) فى قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [النساء : ١١٩] . وقد أقر مجمع

اللغة العربية بالقاهرة استخدام كلمة التخليق syn thesis كمصطلح جيولوجى يراد به : تكوين مركب ما من عناصره أو من وحدات بنائية صغيرة .

التداخل :

التداخل فى اللغة : دخول الأشياء بعضها فى بعض . ولم ترد لفظة (التداخل) فى الذكر الحكيم وإنما وردت كلمات كثيرة تشترك معها فى الجذر اللغوى (دخل) ، مثل كلمة (مدّخل) فى قوله تعالى : ﴿ **لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ** (٥٧) ﴾ [التوبة] .

وتستخدم كلمة (التداخل) فى علم الجيولوجيا كمصطلح له نفس الدلالة اللغوية للكلمة . فدخول الصهارة magma فى صخور سابقة الوجود يسمى تداخلاً intrusion . ودخول مادة بين طبقات من مواد مغايرة أكثر سمكًا منها يسمى تداخلاً بينيًا .

التدافع :

التدافع فى اللغة هو : الإبعاد والتنحية والرد . يقال : تدافع القوم ، أى : دفع بعضهم بعضًا . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ** ﴾ [البقرة : ٢٥١] . والتدافع بالرؤوس سلوك شائع بين كثير من الحيوانات كالأغنام والماعز والظباء والبقر والجاموس ، وبخاصة فى حالات الدفاع وفى مجالات تحديد مناطق النفوذ الخاصة بكل حيوان .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الرأس .　　٢ ـ النطيحة .

التداول والاستبدال الحضارى :

لقد عرف الإنسان منذ القدم ظاهرة تبدل أحوال الطبيعة وتعاقب الليل والنهار ؛ والحديث عن فكرة أو ظاهرة التبدل أو الاستبدال والتداول ، يقتصر على الناحية الاجتماعية والتاريخية ، وهو المقصود عندنا بالاستبدال أو التداول الحضارى الذى يتضمن معناه قوله تعالى : ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي**

الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) ﴾ [آل عمران] .

إن هذه الآية تقف فى الأحكام القرآنية على تعليل قضية من أكبر قضايا أبحاث التاريخ ، وهى قضية الدورات الحضارية ، فقد قيل : إنها تلخص فى ألفاظها القليلة قصة التاريخ الإنسانى والتطور الاجتماعى منذ وجد الإنسان على ظهر الأرض ، وتمكن من ابتداع ، وتسجيل ما يمر به من أحداث وحضارات ازدهرت وحققت إنجازات ما زالت تدل الآثار عليها حتى اليوم ، وقد زويت تلك الحضارات وراحت تتساقط كأوراق الأشجار فى الخريف ، وفنيت قواها المادية بعد أن كانت تمثل بلدانًا ونظمًا ودولاً وحكومات ، ولعل هذا التعاقب والتداول الحضارى بين الأمم يوحى بأكثر من معنى ، وتستنبط منه سنن وقوانين كثيرة :

منها : أن لكل حضارة أجلاً محددًا ، ولا تهلك أية حضارة وتسقط حتى تستنفد مبررات بقائها على يد الإنسان صانعها الأول ، ويصبح لزامًا أن تقوم حضارة أخرى أو تتجدد تلك ، والشواهد من التاريخ على تفسير ظاهرة أو قضية التجد والتداول والاستبدال الحضارى كثيرة، ولعل فى تاريخ بنى إسرائيل مثال . . وأول من خوطب بهذه الأية الصحابة ﷺ . ولا شك أنهم كانوا مهتدين بهذه السنن ويهتدون بها فى حروبهم وفتوحاتهم وسياستهم للأمم التى قادوها إلى الخير والفلاح، وتبين الآيات للناس إن هم سلكوا سبيل الصالحين . فعاقبتهم كعاقبتهم، وإن سلكوا سبل المكذبين فعاقبتهم كعاقبتهم ، وكل عواقب الطوائف والمذاهب والشيع والأحزاب أحصاها القرآن وسجلها وبين أسبابها وعللها .

وتثبت الآيات أن فى حياة الناس سننًا يؤدى بعضها إلى الخير والسعادة ، ويؤدى بعضها الآخر إلى الشقاء والهلاك . . ولكن سنة الله أن الباطل لا يدوم لأنه ليس له فى الواقع ما يؤيده ويؤازره ، وإذا جاء الحق فإنه لا يلبث أن يدفع الباطل ، وتكون للحق العاقبة ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾ [الإسراء] . والحق هذا هو ظهور الإسلام والتمكين

للمسلمين ، والباطل هو هلاك الشرك وأهله ، والباطل ذاته لا يحمل عوامل بقائه لأنه ليس لديه قابلية الاستمرار كثيرًا ، كما قال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ (١٧)** ﴾ [الرعد] .

وبهذا فالتداول سنة من سنن الله فى الاجتماع البشرى فلا غرو أن تكون الدولة مرة للمبطل ومرة للمحق ، وإنما العاقبة دائمًا لصاحب الحق ، وأن أهل الحق يرثون أهل الباطل فى الأرض ، وهذه سنة من تلك السنن التى خلت ، والمداولة فى الواقع تكون مبنية على أعمال الناس ، ولا تكون لفريق دون آخر جزافًا ، وإنما تكون لمن عرف أسبابها وفقه سننها ورعاها حق رعايتها ، فإذا عرفتم ذلك فلا تهنوا ولا تحزنوا ولله عاقبة الأمور .

وكتب الله دوائر التداول على بنى إسرائيل ، وجرت عليهم دورات فعلوا فى الأرض المقدسة وكان لهم فيها سلطان وقوة ثم أفسدوا فيها فبعث الله عليهم عبادًا له أولى بأس شديد ، ثم كانت لهم الغلبة عليهم وأمدهم الله بأموال وبنين وكانوا أكثر نفيرًا، وتنتهى هذه الدورة من تاريخهم ، وقال الله لهم : ﴿ **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسأْتُمْ فَلَهَا** ﴾ [الإسراء : ٧] . كما بينا ، وهذه هى القاعدة التى لا تتغير والسنة الباقية حيث يعامل الله البشر على قدر أعمالهم ، وتحقق الإعجاز التاريخى فى القرآن ، وصدقت النبوة وسلط الله على بنى إسرائيل فى تاريخهم الممتد من قهرهم أول مرة ، ثم سلط الله عليهم من شردهم فى الأرض دون خلق الله ، ولا ينص القرآن عن جنسية هؤلاء الذين بعثوا على بنى إسرائيل وسلطوا عليهم وإنما وصفوا بأنهم أولى بأس شديد ، ثم قال الله لهم : ﴿ **عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا** ﴾ [الإسراء : ٨] . فى أى زمان وفى أى مكان ، فالجزاء حاضر والسنة ماضية .

ولقد عاد بنو إسرائيل إلى الفساد فى الأرض ومحاربة الحق ، وظلموا الإنسانية فسلط الله عليهم المسلمين فى القرن السابع الميلادى ، فأخرجوهم من الجزيرة العربية ، وعادوا إلى عادتهم فسلط عليهم عبادًا آخرين حتى كان العصر الحديث فسلطت عليهم أمم وقادة ظالمون مثلهم (كهتلر) وغيره ، وعادوا الآن إلى الفساد والظلم ونحن فى انتظار وعد الله فيهم .

وما إن تبلغ الأمة درجة من التقدم والرقى المادى وتطمئن لذاتها ، وتعتمد على قوتها وتعجب بحالها وتنسى أساسيات الحياة ومقومات البقاء والاستمرار ، حتى يداهمها بأس الله ويحل بها سخطه بسبب هذه العوامل الداخلية لذاتها ، ولكى تستأنف الإنسانية رسالتها وتحافظ على جنسها ونوعها البشرى ، فإن الله من رحمته لا يعمم الفساد فى الإنسانية حتى لا يعم الهلاك وتبقى القلة على الحق ، لكى تكون فرصة استبدال قوم بقوم أو أمة بأمة كما يستبدل فرد بفرد فى منصب من مناصب شؤون الدول والحكومات.

التدفق :

التدفق فى اللغة هو : الصب . يقال : تدفق الماء ونحوه بمعنى : دفقه : صبه . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦)** ﴾ [الطارق] ، أى : خلق من ماء يتدفق بسرعة . والتدفق flow كمصطلح يعنى : انسياب السوائل مثل تحرك الماء . وقد يستخدم الاصطلاح أيضًا للدلالة على التحرك الكتلى للمواد السائبة على المنحدرات بتأثير جاذبية الأرض لها .

التدمير :

التدمير فى اللغة : الإبادة . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً (١٦)** ﴾ [الإسراء] . وتستخدم كلمة التدمير فى علم الجيولوجيا بنفس معناها اللغوى السابق وبمعنى التقويض أيضًا. ومن أمثلة التدمير فى الجيولوجيا : انقراض أحياء بأسرها مثل الديناصورات والماموث .

التذرية :

التذرية فى اللغة : إثارة الريح للشىء وإطارتها له فى الهواء وتفريقه . يقال: ذرّت الريح التراب تذرية ، من الذرو . قال تعالى : ﴿ **وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١)** ﴾

[الذاريات]

والتذرية فى العلم deflation هى إزالة حطام الصخور ، ورفع الحبيبات

الدقيقة كالرمال والصلصال من التربة الجافة بفعل حركة الرياح ، ونقلها من مكان إلى آخر . وتعد التذرية نوعًا من أنواع التعرية بالرياح .

وتتركز عمليات التذرية فى مناطق العروض المدارية والانتقالية نتيجة لاختلاف نظم الضغط الجوى المحلى ، ومرور الانخفاضات الجوية التى تنساب مع الرياح العكسية أو الغربية فى حوض البحر الأبيض المتوسط من الغرب إلى الشرق وينجذب نحو المقدمات الدفيئة لهذه الانخفاضات الأخيرة رياح محلية آتية من الجنوب محملة بكميات هائلة من الأتربة والرمال الناعمة .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الذاريات . ٢ ـ الرياح .

التذكية :

التذكية: هى الذبح. يقال: ذكى الشاة ونحوها ، أى : ذبحها . وفى التنزيل العزيز: ﴿ **وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ** ﴾ [المائدة : ٣] . والتذكية فى المصطلح الفقهى هى: إتمام فرى الأوداج وإنهار الدم . وكل ما أمكن ذبحه من طائر أو بهيمة قبل خروج نفسه ومفارقة روحه جسده فحلال أكله إذا كان مما أحله الله لعباده .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الذبح . ٢ ـ الذكاة . ٣ ـ النحر .

التذليل :

التذليل فى اللغة : الإخضاع . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)** ﴾ [يس] . قال المفسرون : ذللناها لهم ؛ أى : صيرناها مسخرة منقادة لهم . وعلى هذا فتذليل الحيوان يعنى : إخضاعه لاستخدام الإنسان وتسخيره له .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التربية . ٢ ـ التسخير .

٣ ـ التعليم . ٤ ـ الذلول .

التذييل :

وهو أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يحقق بها ما قبلها من الكلام ويقويه ، ويكون له بمثابة الدليل على صدقه ، وقد جعله العلماء أحد معالم البلاغة الثلاثة؛ وهى الإشارة والمساواة والتذييل ، ومنه فى التنزيل قول الله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ (١٧)** ﴾ [سبأ] . ففى صدر الآية يقع فهمك على المعنى المراد ؛ وهو أنهم جوزوا بسبب كفرهم ، ثم يأتيك التذييل فيخبرك أن الله سبحانه لا يجازى إلا الكفور تأكيدًا لما فهم من صدر الآية.

ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤)** ﴾ [الأنبياء] . ففى صدر الآية أفاد سبحانه أنه لم يكتب لبشر الخلد فى الدنيا ، ثم يستفهم فى التذييل هل هم خالدون بعد موتك ؟ كلا فقد نفى الخلد عن كل بشر سبق فكيف يخلدون هم ، أليسوا بشرًا ؟ والموت مكتوب على كل بشر.

ومن التذييل ما لا يزيد على المعنى السابق فيأتى للتأكيد والتحقيق ، ومنه ما يجرى مجرى المثل ، فيمكن استعماله منفردًا عن جملته ، ومنه فى القرآن قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)** ﴾ [التوبة]. فقوله: ﴿**وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا** ﴾ تذييل أريد منه التأكيد والتحقيق ، وقوله : ﴿ **وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ** ﴾ تذييل جرى مجرى المثل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢)** ﴾ [النساء] . فقوله: ﴿ **وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا** ﴾ تذييل مؤكد ، وقوله : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢)** ﴾ تذييل جرى مجرى المثل . وفى قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)** ﴾ [النساء] . تذييل أيضًا بقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)** ﴾ . وقد جرى مجرى المثل .

ومن تذييلات القرآن الرائعة قول الله : ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ**

٥/ ٤٣٢/ ت

كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾ [الإسراء] . فبعد أن أفاد بأن الباطل قد زهق وأن الحق قد ظهر ، أكد المعنى بقوله : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾ كأنه يليقها قضية ثابتة لا خلاف عليها ، فاندحار الباطل أمر لا يختلف عليه اثنان .

الترائب :

الترائب : هى عظام الصدر مما يلى الترقوتين. واحدتها: تريبة . وفى التنزيل العزيز: ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) ﴾ [الطارق] . وقيل : الترائب : هى ما بين الثديين . وقيل هى : الأطراف . ونحن نرى أن كلمة الترائب يمكن تعميمها على الإنسان والحيوان لتشير إلى المنطقة الواقعة بين عظام الكتفين والصدر .

التراب :

التراب: هو ما نعم من أديم الأرض. وقال الراغب الأصفهانى : (والتراب: الأرض نفسها) . وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) ﴾ [الروم] .

والتراب خليط من عناصر مختلفة أهمها : الكربون ، النيتروجين ، الحديد ، الكالسيوم ، الفوسفور ، الماغنسيوم ، المنجنيز ، وبعض العناصر الثمينة والنادرة كالذهب والفضة وغيرها ، ويشكل التراب نحو ٣٥٪ من جسم الإنسان ، ويشير القرآن الكريم إلى أن أصل الإنسان الأول (آدم) كان ترابًا . قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران : ٥٩] ، كما أن نهاية الإنسان هى التراب ، وأنه سيبعث من جديد يوم القيامة من التراب، قال تعالى : ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ﴾ [المؤمنون] .

ويجوز التيمم بالتراب فى حالة عدم توافر الماء ، أو لمن كانت حالته الصحية لا تسمح له بمغادرة السرير للوضوء ، أو كان لا يستطيع الوضوء أصلاً .

ويستعمل التطهير بالتراب فى حالات مخصوصة كما إذا ولغ الكلب فى إناء، فإنه عند الشافعية والحنابلة كى يطهر يجب غسله سبعًا ، إحداهن بالتراب ، لما روى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا ولغ الكلب فى الإناء

فاغسلوه سبع مرات ، وعفروه الثامنة بالتراب » [مسلم (٢٨٠/٩٣)] ، وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب » [مسلم (٢٧٩ / ٩١)] .

ويذكر بعض الباحثين : أن السبب فى غسل ما يلعقه الكلب مرة بالتراب إلى أن جرثومة داء الكلب لا تستأصل إلا بالتراب ، والمعروف أن الكلاب تنقل مرض داء الكلب إلى الإنسان ، وكذلك مرض (الكيس المائى وغيره) . وأورد الدكتور جفرى لابيج Geoffrey Lapage فى كتابه (الطفيليات الحيوانية فى الإنسان) Animal Parasitic in Man أنه من المحتمل أن ينزل مع لعاب الكلاب بعض بيض الديدان الشريطية فى الأطباق التى نأكل فيها ، وإذا ما استخدم الإنسان هذه الأطباق قبل أن يحسن غسلها فإن الشخص قد يتناول مع طعامه بيض الدودة الشريطية العالق بها .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الإنسان .　　٢ ـ الخلق .

الترادف :

وقد ورد فى القرآن ما ظاهره ترادف ، وبالتدقيق لا تجده كذلك ، إذ إن كل حرف يزيد ـ فى نظر كل اللغويين ـ يأتى بجديد أو إضافة من المعانى وإن لم ندركه، فمن باب أولى كل كلمة تزيد . وقد مثلوا له بقول الله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** (٨٦) ﴾ [يوسف] . علق القرطبى على قوله تعالى : ﴿ وَحُزْنِي ﴾ فقال : معطوف عليه أعاده بغير لفظه ، وقيل : البث أشد الحزن .

ومنه قول الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا** (١١٢) ﴾ [طه] . وقال هنا : إن بين الظلم والهضم فرقًا فالظلم يراد منه منع الحق كله ، أما الهضم فهو نقص بعض الحق ، فهو نوع من الظلم .

ومما أوردوه فى هذا الباب قول الله تعالى : ﴿ **لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا** (١٠٧) ﴾ [طه]، فالعوج والأمت بمعنى واحد، وقيل: العوج: التعوج فى الفجاج، أو الصدع

فى الأرض، والأمت: التلال الصغيرة ، أو الرابية ، أو الأكمة ، أو تغلظ الأرض فى مكان وتدق فى آخر وقوله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨]، فالشرعة والمنهاج مترادفان وقوله تعالى: ﴿ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا ﴾ [الأحزاب: ٦٧]. فالسادة والكبراء بمعنى واحد، ﴿ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) ﴾ [فاطر]. فالنصب واللغوب بمعنى واحد فهما مترادفان، وقال القرطبى : النصب: التعب ، واللغوب : الإعياء .

وكما أشرت فلا يمكن أن نعتبر اللفظ الثانى فى القرآن يؤدى نفس معنى اللفظ الأول دون زيادة ، بدليل أنه لو انفرد لما أدى المعنى الذى أدته الجملة بهما معًا ، ولذلك قال الراغب فى تعليقه : الدعاء والنداء : الدعاء كالنداء ، إلا أن النداء قد يقال بيا ، أو أيا ، ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم ، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم ، نحو يا فلان ، وقد يستعمل كل منهما موضع الآخر ، واستشهد بقول الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ [البقرة : ١٧١] .

التراقى :

التراقى : جمع ترقوة ، وهى عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق . وفى التنزيل العزيز : ﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) ﴾ [القيامة] . وهما ترقوتان فى الإنسان . وموضع التراقى هو موضع الحشرجة فى الحيوانات ذات الفقار .

التراكم :

التراكم فى اللغة هو: الاجتماع. يقال: ركمه ركمًا: جمعه وألقى بعضه على بعض. وارتكم الشىء وتراكم :اجتمع. وفى التنزيل العزيز:﴿ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا ﴾ [الأنفال: ٣٧]. وتستخدم كلمة التراكم accumulation فى علم الجيولوجيا بنفس معناها اللغوى لتدل على تجمع الأشياء بعضها إلى بعض. فنطاق التراكم accumulation zone على سبيل المثال هو الأجزاء العليا من المجلدة (كتلة هائلة من الجليد تكونت على سطح الأرض نتيجة تضاغط الثلج

وتبلوره) ، حيث يزيد حجم الثلج المتساقط على حجم الماء المفقود بالانصهار أو التبخر أو التسامى . والجبل التراكمى mountain of accumulation هو جبل متماثل، عظيم الارتفاع فى العادة، تكون بالتحام المواد على سطح الأرض ، وبخاصة من تراكم مواد منبثقة من بركان .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الجبل .　　٢ ـ الركام .

التربة :

التربة فى اللغة هى : التراب ، وطبيعة الأرض ، تقول : أرض جيدة التربة. وهى أيضًا : جزء الأرض السطحى الذى يتناوله المحراث . ولم ترد هذه اللفظة فى القرآن الكريم ، وإنما وردت كلمة (التراب) التى جاءت بنفس معنى التربة كما فى قوله تعالى : ﴿ **يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ** ﴾ [النحل : ٥٩] .

وتطلق كلمة التربة soil فى علم الجيولوجيا على الطبقة العليا من الغلاف الصخرى، وتنتج من التحلل الكامل له بتأثير المؤثرات الجوية والكائنات المجهرية . وهى تتكون من حبيبات صخرية دقيقة تختلط غالبًا بالبقايا النباتية والحيوانية المتعفنة والمواد الدبالية الناتجة من عمليات التحلل العضوى .

ويختلف مفهوم الدارسين لمدلول التربة وفقًا لاختلاف اهتماماتهم واستخداماتهم لها . فالتربة بالنسبة للزارع هى سطح الأرض الذى يستغله فى إنتاج محاصيله الزراعية . وبالنسبة للمهندس فإن التربة هى الأرض التى تنشأ فوقها المنشآت العمرانية . وبالنسبة للجيولوجى فإن التربة فى مفهومه هى عبارة عن الرواسب السطحية التى تغطى أجزاء واسعة من سطح الأرض نتيجة لتعرض الصخر لفعل التجوية وعوامل التعرية .

ويرى عالم النبات أن التربة هى البيئة الطبيعية التى تنمو فيها النباتات على الأرض. وتمد التربة النبات بالغذاء تبعًا لما يتمثل فيه من مكونات طبيعية وكيميائية وبيولوجية ، ويرى المتخصص فى علم التربة أن التربة هى عنصر طبيعى من عناصر البيئة الطبيعية تتألف من فتات الصخور الأصلية أو المنقولة .

ويختلف مفهوم الجغرافى عن كل تلك المفاهيم ، فالأرض تشمل عنده كل سطح الأرض ، أما التربة عنده فهى عبارة عن المفتتات الصخرية التى توجد فوق بعض أجزاء سطح الأرض والتى تكونت من فتات صخور مناطق أخرى بعيدة عن مناطق تجمعها ، وتم نقلها بفعل عوامل النقل المختلفة (من رياح وسيول وأنهار . . . إلخ) .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الأرض . ٢ ـ التراب . ٣ ـ الصخرة .

التربية :

التربية فى اللغة هى : التنمية والتنشئة . يقال : رباه أى : نمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية . ورباه أى : غذّاه ونشّأه . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ** (١٨) ﴾ [الشعراء] .

وتستخدم كلمة (التربية) فى علم الحيوان للدلالة على رعاية الحيوانات وتنميتها وهى لا تزال صغيرة . فاللبؤة تربى أشبالها على فنون الصيد والهجوم . والإنسان يقوم بتربية الأنعام ليستفيد من لحومها وألبانها . ويرى الشيخ الشعراوى أن هواة تربية الحيوانات تعلموا أصول التربية من الحيوانات أنفسها بعد أن تتبعوها وعرفوا ماذا تأكل وعن أى شىء تبتعد .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التذليل . ٢ ـ التسخير . ٣ ـ التعليم .

ترتيب سور القُرآن :

يمكن أن يُدرس هذا الموضوع بتوسّع فى سياق آخر ، ولكنى وددت أن أشير إليه هنا؛ لأن ترتيب السور القرآنية تم ببلاغة فائقة ، واختيار مُعْجِز ، وتآلف بيّن، وهذا مما يضع أمره تحت الإعجاز البلاغى للقرآن ، فلنشر إليه بإيجاز شديد، والله المستعان.

ونخلص إلى أنه فى المسألة ثلاثة آراء :

الرأى الأول: إن السور القرآنية رتبت ترتيبًا توقيفيًا بتعليم الرسول للصحابة،

والدليل على ذلك إجماع الصحابة على مصحف عثمان دون مخالفة من أحد، واختار هذا الرأى أبو جعفر النحاس وأبو بكر الأنبارى والكرمانى والطِّيبِى وابن الحصار وغيرهم .

والرأى الثانى : إن الترتيب تم باجتهاد من الصحابة ، واستدل على ذلك باختلاف مصاحف السلف فى ترتيب السور ، فمنهم من رتبها حسب ترتيب النزول كعلى ابن أبى طالب ، ومنهم من رتبها بخلاف ذلك كابن مسعود ، وأبى بن كعب ، واختار هذا الرأى مالك والقاضى أبو بكر وابن فارس وغيرهم .

والرأى الثالث يقول : إنه رتبت بعض السور برأى الرسول والبعض الآخر باجتهاد الصحابة كما قال البيهقى فى المدخل : كان القرآن على عهد النبى مرتبًا سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة ، واختار هذا الرأى القاضى أبو محمد بن عطية وأبو جعفر بن الزبير وغيرهما .

وعالج الزركشى الخلاف بين الفريقين فقال : إن الخلاف لم يعْدُ أن يكون لفظيًا ، وأن الترتيب توقيفى ، وما فعله الصحابة كان بتوجيه من النبى ﷺ .

ونشير إلى أن ترتيب الآيات داخل السورة الواحدة أمر توقيفى لا خلاف فيه، أما الخلاف فهو فى ترتيب السور بعضها تلو البعض .

صور من بلاغة الترتيب :

ابتدئ القرآن بالفاتحة لأنها جمعت علوم القرآن ومقاصده ؛ من معرفة الله والإيمان به ، وباليوم الآخر ، وبالأخلاق والاستقامة والصيانة عن مسالك اليهود والنصارى المغضوب عليهم والضالين ، والالتجاء إلى الله .

ثم تضمنت سورة البقرة قواعد الدين، وخاطبت اليهود ، وأكملت آل عمران قواعد الدين ، وخاطبت النصارى ، وجهادُ الرسول لليهود سبق جهادَه للنصارى، وتضمنت النساء أسباب العلائق بين الناس المخلوقة لله بالنسب ، والمقدورة للناس بالمصاهرة ، وأحكام ذلك من تفريعات تحتاج إليها الأسر ، وافتتاحها دال على مضمونها ، وتضمنت المائدة العقود وبها تمام الشرائع وكمال الدين والوفاء بعهود الرسل ، وعقوبة الخارجين على الدين بالسرقة أو البغى فى الأرض وهكذا . . . نرى دقة الترابط بين السور ، وتمام الالتحام بين مقاصدها وأهدافها ومعانيها .

وجاء فى تعاقب آل عمران والبقرة : أنه لما بدئت البقرة بذكر الكتاب وأنه : ﴿ لا رَيْبَ فيه ﴾ [البقرة : ٢] . ورد التفصيل فى آل عمران فى قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [آل عمران : ٣] ، ثم قسَّمه إلى محكم ومتشابه ، ولما ذكر فى البقرة ﴿ وَمَا أُنزِلَ من قَبْلِكَ ﴾ [البقرة : ٤] . جاء فى آل عمران : ﴿ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٣ من قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [آل عمران] ، ولما جاء فى البقرة : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ [البقرة : ٢١٦] . وردت قصة غزوة أحد فى آل عمران ، وهى من أشد الغزوات إيلاما للرسول والمسلمين . . .إلخ ما جاء فى خواطر الباحثين جزاهم الله عن القرآن خير الجزاء .

ومن ذلك ما جاء فى تعاقب سور (الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء):

افتتحت الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد ، وهما مقترنان فى القرآن وعلى اللسان، ولما سأل اليهود الرسول عن الأشياء الثلاثة : الروح وأهل الكهف وذى القرنين ، وأجاب فى الإسراء عن الروح ناسب أن يجيب عن السؤالين الآخرين فى سورة الكهف، فناسب اتصال السورتين .

ولما اشتملت سورة الكهف على أعاجيب كثيرة كقصة أهل الكهف وقصة الخضر وقصة ذى القرنين ناسب أن تتلوها مريم وفيها قصة يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم ، ولما جاء فى مريم ذكر لبعض الأنبياء ناسب أن تتلوها سورة طه وفيها قصة موسى مفصلة ثم سورة الأنبياء وفيها ذكر لعدد من الأنبياء .

ومن ذلك ما قيل بين سور (ن ، والحاقة ، وسأل)؛ قيل: لما ورد فى (ن) ذكر اليوم الآخر : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [القلم : ٤٢] ، جاء فى الحاقة تفصيل ذلك اليوم وما يقع فيه، ثم جاءت سورة سأل فأكملت الموضوع عن القيامة والنار.

وهذا أمر واسع ذكرت منه طرفًا لمن أراد أن يتثبت من بلاغة ترتيب السور القرآنية، مما يضيف صورة من صور إعجازه ، فيقف المرء مشدوهًا أمام عظمة القرآن الدالة على عظمة منزله سبحانه وتعالى .

هذا . . . مع أن كل ما كتب فى الموضوع لا يعدو أن يكون محاولات واجتهادات ، وعلم ذلك الواسع عند الله وحده ، فإذا كانت اجتهادات البشر

تدلنا على هذا القدر من البلاغة ، فما بالنا بحقيقة الأمر التى لا يعلم سرها وكنهها إلا الله !!

الترصيع :

وهو أن تكون الكلمات مستوية الأوزان متفقة الأعجاز ، وذلك نوع من جماليات الأسلوب والصياغة،ويبرز جماله إذا كان ذلك تابعًا للمعنى غير متكلف، وهذا شأن القرآن ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)** ﴾ [الانفطار] ، وقوله: ﴿ **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)** ﴾ [الغاشية]، ومنه قوله: ﴿ **فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥)** ﴾ [العاديات]، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)** ﴾ [العاديات].

الترغيب والترهيب :

هما جناحا التربية اللذان بهما تطير ، وعليهما تعتمد وتقوم ، ولا يفلح مرب بدونهما ، والله خير مرب ، وهو الأعلم بما يصلح شأن عباده ، لذا . . . دأب القرآن على أن يرغب ويرهب فى آن واحد ، ليفتح باب الرحمة أمام المخلصين ، وينذر العصاة المعاندين لعلهم يرتدعون ، ونجد فى آياته الصور الواضحة لهذين المسلكين، ونهايتهما المرتقبة،فيقول دومًا لعباده: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ (٥٠)** ﴾ [الحجر] . ويقول لهم عن نفسه جل جلاله إنه : ﴿**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣)**﴾ [غافر].

وفى الوقت الذى يقول فيه واصفًا شدة العذاب وقسوته: ﴿ **فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢)** ﴾ [الحج] . نراه يقول بعدها : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)** ﴾ [الحج]. ليقرن المشاهد كلها ببعض، فيقرأ القارئ، أو يسمع المستمع، فيستجيب لأحد الحالين ، وتتوق نفسه لأيهما أحب وأقرب ، إما إلى جنة فيها نعيم مقيم ، وإما إلى نار فيها عذاب أليم .

وانتشرت آيات الترغيب فى القرآن الكريم فوجدت فى ٢٧٤ موضعًا فى القرآن ـ تقريبًا ـ وبلغت مواقع الإنذار والترهيب من الخاتمة السيئة لمن اختار الكفر والعياذ بالله ٧٠٧ موقعًا فى القرآن ـ تقريبًا ـ وهذا يعنى حرص الله ورحمته بعباده، فهو حريص عليهم من شرور نفوسهم، ومن سيئات أعمالهم، ومن ضعفهم أمام الشيطان، فيحرمون أنفسهم بذلك رحمة الله ورضوانه، ويبوؤون بعذاب مقيم.

وكثيرًا ما يقرن الحالين ليكون فى ذلك عبرة أى عبرة ، ودرس أى درس لمن رزق الفهم والتأمل ، والمقارنة الحسنة ، والاختيار الموفق ، فيقول تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦)** ﴾ [الزخرف] .

كما أدخل الأبناء الذين هم فلذة الأكباد بابى الترغيب والترهيب ليثير المشاعر أكثر ، وليدفع حرص الآباء على الأبناء إلى الاستجابة لنداء الله ، فيقبل المرء على إرضاء الله لينجو بنفسه وأبنائه ، فيقول : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ (٢٣)** ﴾ [الطور] .

ويقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)** ﴾ [التحريم] . كما يقول مبينًا حالة أفراد الأسرة الأقرب إلى النفس يوم القيامة ، فإذا كان الإنسان فى الدنيا يركب الصعب لتوفير وسائل الراحة لآله فهاهم فى الآخرة متفرقون ، لا ينفع أحد منهم أحدًا ، فأواصر القربى لا تجدى فى هذا اليوم : ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١)** ﴾ [المؤمنون] .

يقول تعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)** ﴾

[عبس] . وحتى الصداقات والصحبة لم يتركها القرآن ، بل أدخلها فى بابى الترغيب والترهيب ليربى بها قافلة البشرية التى يضيع الحق من بين أيديها كثيرًا ، فيقول للناس جميعًا : ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧) ﴾ [الزخرف] .

وأحيانًا ما يسوق القرآن الأمر فى صورة سؤال يطرحه على ذوى الألباب ، وعليهم الإجابة بأنفسهم ، ليشركهم فى تربية أنفسهم ، فيقول : ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) ﴾ [فصلت] .

ودائمًا تتوق النفس إلى الغيب ، وتود لو عرفت مصيرها لتطمئن قبل الأوان، فيخبرهم الله أنهم وقتها يندمون ولات مندم ، فمن استطاع أن يبدأ رحلة النجاة من الآن فليفعل ؟ ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٤٤) ﴾ [الشورى] . ألا تؤدى تلك الوسائل التربوية العالية أثرها فى الدعوة ؟ ألم يؤد القرآن دوره كاملاً فى هذا المجال الحى ؟

الترقوة :

هى عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق ، وهما ترقوتان ، والجمع : التراقى. وفى التنزيل العزيز : ﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) ﴾ [القيامة] .

والترقوة ـ كمصطلح ـ هى العظم المستدق المنحنى الممتد من أعلى عظم الصدر الأوسط إلى لوح الكتف ، وهما ترقوتان : يمنى ويسرى ، وانكسار إحدى الترقوتين من الإصابات الشائعة ، ويرجع ذلك إلى أن هذا العظم مستدق بالنسبة إلى طوله ، وأنه بحكم موقعه يتعين عليه أحيانًا أن يكابد ضغطًا عظيمًا ، وقد تنكسر الترقوة إثر ضربة مباشرة ، ولكن الأغلب أن يحدث ذلك حينما يسقط الشخص فوق يده الممدودة ، ويتعرض الأطفال بصفة خاصة لكسور الترقوة .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الصدر . ٢ ـ العظام . ٣ ـ النحر .

الترقيق :

الترقيق لغة : التنحيف .

اصطلاحًا : تنحيف يدخل على الصوت عند النطق بالحرف فيخرج رقيقًا ضعيفًا .

أقسام الحروف من حيث الترقيق :

والحروف من حيث الترقيق على ثلاثة أنواع :

١ ـ نوع يرقق دائمًا .

٢ ـ نوع لا يرقق أبدًا .

٣ ـ نوع يرقق أحيانًا .

النوع الذى يرقق دائمًا هو : جميع الحروف عدا حروف الاستعلاء السبعة (خص ضغط قظ) والحروف التى يجوز فيها الترقيق والتفخيم (الألف المدية واللام من لفظ الجلالة والراء) .

النوع الذى يجوز فيه الأمران :

أ ـ الألف المدية : وهى تابعة لما قبلها ، فإذا وقعت بعد حرف مرقق رققت . مثل: ﴿ جاء ﴾ ، ﴿ وسارعوا ﴾ .

ب ـ اللام من لفظ الجلالة ولها حالات ترقق فيها : [انظر : حكم اللام من لفظ الجلالة] .

جـ ـ الراء : ولها حالات ترقق فيها : [انظر : حكم الراء] .

ـ والنوع الذى لا يرقق أبدًا فهو المفخم دائمًا [انظر التفخيم] .

تزيين السماء :

التزيين مصدر من الفعل : (زيّن) الذى يعنى زان ، أى : جمّل وحسّن . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا** ﴾ [ق: ٦] ، وأيضًا : ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ** ﴾ [الملك : ٥] . وقد ذهب المفسرون إلى أن الزينة بالمصابيح قصد بها ضوء الأجرام السماوية من نجوم مضيئة وكواكب عاكسة للضوء ، وأنها تشبه المصابيح فى خاصية تبديد الظلام ليلاً . وقرر المفسرون

أن هذه الأجرام المضيئة توجد فى أولى السموات التى يراها الإنسان وهو فوق سطح الأرض .

وذهب الدكتور عبد العليم خضر إلى أن قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ** (٦) ﴾ [الصافات] . يشير إلى أن ضوء الكواكب الذى هو زينتها ليس من ذاتها وليس جزءًا منها ، بل هو عارض عليها ، شأن كل زينة لأنه ضوء مكتسب ومعكوس منها فقط .

أما قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ** (١٦) ﴾ [الحجر] . ففيه لفتة إلى جمال الكون، وبخاصة تلك السماء، فالجمال غاية مقصودة فى خلقها ، وهو ينشأ من تناسقها بنورها ، فليست الضخامة وحدها ، وليست الدقة وحدها ، ولكنه الجمال الذى ينتظم المظاهر التى نراها فى السماء جميعًا .

التساقط :

التساقط فى المعاجم: السقوط أى: الوقوع . وهو أيضًا : تتابع السقوط . ولم ترد لفظة (التساقط) فى القرآن الكريم وإنما ورد الفعل (تساقط) فى قوله تعالى : ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** (٢٥) ﴾ [مريم] .

والتساقط فى علم الجيولوجيا هو الماء الذى يسقط على الأرض من الغلاف الجوى فى صورة أمطار أو ثلج أو برد أو ندى .

تساؤلات القرآن :

كان الرسول الكريم ﷺ يقوم بمهامه نبيًا مرسلاً من عند الله، وقائدًا للمسلمين فى دينهم ودنياهم ؛ فكانوا يلجؤون إليه كلما أشكل عليهم شىء من أمرى الدنيا والدين . ولذلك وردت أساليب كثيرة فى القرآن تحكى تلك الأسئلة وإجاباتها ، منها ما كان عنادًا ولجاجًا ، ومنها ما كان للتعليم وطلبًا للإفادة .

١ ـ سألوا عن الهلال كيف يبدو دقيقًا ثم يزيد ، حتى يستوى ويستدير ، فأجاب القرآن مبينًا الحكمة من ذلك حيث قال تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، أى أن الله خلق الأهلة، وخلق لها منازلها

ودورانها لتنظيم أمور الناس وترتيب شؤونهم ؛ فى الأيمان والمعاملات والحج والصوم والفطر والزكاة ومدة الحمل وضبط العقود كالإجارات وغير ذلك مما تقوم عليه دنياهم ومعاشهم، وانظر إلى طبيعة السؤال ، وكأنها عن طبيعة الأهلة ، ولكن الإجابة تحول نظرهم إلى منافعها.

٢ ـ وسأل المؤمنون عن وجوه الإنفاق ، وعلى من ينفقون ، فكانت الإجابة :

﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥)** ﴾ [البقرة] ، وتأمل قوله تعالى : ﴿ **قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ** ﴾ أى أن الإنفاق ليس له شىء محدود ، بل كل ما تستطيع إنفاقه مما ينتفع به فى إطار ما أحل الله فهو مقبول ، ولك أجره ، صغر أم كبر ، زاد أم قل ، رخص أم غلا ، وانظر معى إلى مغزى استعمال الحرف (من) الذى يقول علماء النحو فى إعرابهم له : إنه حرف زائد ، وخطأ فهموا ، فللحرف فائدة لا تخفى إلا على من عميت بصيرته ، فهو يوحى بأن أقل ما يسمى ما لا يجوز إنفاقه ، ولمنفقه أجره ، ثم فى الإجابة لمحة أخرى ؛ وهى أن تبدأ فى إنفاقك بالوالدين ثم الأقربين ثم اليتامى فهم بعد فقدهم العائل أحوج . . . وذلك من معجزات التشريع ، ولا تنس فى كل أفعالك أن الله بك عليم ؛ فإن أخلصت فلك أجرك ، وإلا فعليك وزرك .

٣ ـ وسألوا عن القتال فى الشهر الحرام فأجاب الله سبحانه :

﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، يسألون عن حكم القتال فى الشهر الحرام ، فأجاب القرآن : بأن وزر القتال فى الشهر الحرام كبير ، ولكن الصد عن سبيل الله والكفر به ، والصد عن المسجد الحرام ، وإخراج أهله منه ، أكبر إثمًا ، وأعظم ذنبًا .

٤ ـ سألوا عن الخمر والميسر :

﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)** ﴾

[البقرة]

وفى الآية سؤالان : الأول عن الخمر والميسر فكانت الإجابة : إن فى شرب الخمر واللعب بالميسر إثمًا كبيرًا يتمثل فى ضياع المال والعقل، وإن كان فيهما بعض المنافع الضئيلة لمن يزرع شجرها ، أو من يعمل فى نقلها ، وجمعها ، وعصرها ، ولكنها منافع ضئيلة إذا قيست بأضرارها الفادحة ، وتلك إحدى مراحل تحريم الخمر ، قبل أن يبت بتحريمها فى آية المائدة، ويسألون عما ينفقون من أموالهم، فأجاب القرآن إجابة حكيمة: بأن كل ما يزيد عن ضرورات الإنسان عفو ، ينبغى على من يطمح فى رضا الله أن ينفقه فى سبيله .

٥ ـ سألوا عن معاشرة النساء فى المحيض :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

فيجيب القرآن إجابة تؤكد إعجازه فى الأسلوب والمعنى ، فاختصار شديد مع إفادة تامة ، قل هو : **﴿ أَذًى ﴾** والأذى كل ما يأتيك منه الضرر فتتأذى منه ، ثم يضيف مؤكدًا تجنب الحائض : **﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾**، وما يفهم من معنى الاعتزال واضح، ويضيف مؤكدًا : **﴿ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾** ، مع أن اللمس والقبلة والتمتع بكل ما يبعد عن العورة الكبرى ليس حرامًا ، ولكن الله يعلم ضعف عباده ، فأمرهم ـ لصالحهم ـ ألا يقربوا الحلال مخافة الوقوع فى الحرام ، ويؤكد بتحديد الغاية : **﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾** ، ويزيد الأمر تأكيدًا ، فيقول : **﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾** .

٦ ـ يسألون عما أحل لهم من الطعام فتأتى الإجابة بإيجاز شديد وإفادة تامة :

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ [المائدة : ٤] .

والطيب فى عرف الشرع : ما أحله الله ، وغير الطيب ما لم يحله ، أنتصور كفاية وشمولاً فى الأداء أفضل من هذا أو أبلغ ؟

٧ ـ يسأل المسلمون من شهود بدر عن الأنفال وكيفية توزيعها ، فيجيبهم الله:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [الأنفال : ١] .

فإذا كنت مؤمنًا حق الإيمان فسلم الأمر لله فى كل شىء وليس فى الأنفال وحدها، فالأنفال لله ولرسوله .

٨ ـ **وكثرت التساؤلات عن موعد الساعة** ، استعجالاً لأمر البعث الذى أنكره من لم يؤمن بالله ، ولم يدخل الإسلام قلبه ، وقد ورد التساؤل عن الساعة أربع مرات فى القرآن ، وكانت الإجابة دائمًا : لا علم لك بها ، ستأتيكم بغتة ، فلا تشغلوا أنفسكم بموعدها ، بل يحسن لكم أن تشغلوا أنفسكم بالاستعداد لها ، كقوله تعالى :

﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (١٨٧)** ﴾ [الأعراف] ، ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣)** ﴾ [الأحزاب] ، ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢)** ﴾ [النازعات] .

٩ ـ **وسأل اليهود رسول الله ـ تعنتًا ـ أن ينزل عليهم كتابًا يشهد بأنه رسول** ، فأجاب الله فاضحًا أمرهم وافتراءاتهم قبل ذلك مع نبيهم موسى ، فقال تعالى :

﴿ **يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً** ﴾ [النساء : ١٥٣] .

وسألوه ثلاثة أسئلة ليتعرفوا من خلالها على صدقه ـ فى زعمهم ـ وهم أعلم الناس بأنه صادق ؛ فسألوه عن الروح وأهل الكهف وذى القرنين ، فأجاب عن الروح فقال : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥)** ﴾ [الإسراء] ، وقال عن ذى القرنين : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣)** ﴾ [الكهف]. وقص عليهم خبر فتية الكهف فى نفس السورة ـ التى سميت باسمهم ـ ابتداء من الآية التاسعة .

١٠ ـ **وبعض الأسئلة كما ترى جاءت بصيغة** : يسألونك ، وبعضها جاء بصيغة يستفتونك ، ومن العجب أن صيغة : يستفتونك لم ترد إلا فى شؤون

الأسرة، وذلك من إعجاز القرآن، لأن أمر الأسرة المسلمة يحتاج إلى إفتاء خاص، ولأن المستفتى محتاج إلى من يفتيه ، ومقطوع بحسن نيته وحاجته إلى الإجابة ، فناسبه استخدام مادة الإفتاء ، ولم تستخدم مادة التساؤل التى هى مظنة الاستفادة أو التعنت ، وقد جاءت صيغة يستفتونك مرتين فى التنزيل الحكيم ، قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ [النساء : ١٢٧] ، ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ ﴾ [النساء : ١٧٦] .

١١ ـ ثم إن تساؤلات القرآن لم تتوقف عند أسئلتهم ، بل إن الله أخبر نبيه بأنه قريب من عباده الذين يضرعون إليه ، وأنه مجيب دعوتهم إذا دعوه ، فقال تعالى له : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وفى هذه الصيغة يخبره الله بشدة قربه وسرعة إجابته ، ويؤكد هذا القرب بعدم استخدام الفعل قل ، وكأن فى استخدامه إطالة للزمن بين السؤال من جهة والقرب والإجابة من جهة أخرى ، ثم يضيف بأنه يجيب دعوة كل داع إذا دعا ، فعليهم الاستجابة للمنهج ، والإيمان بالخالق ، واللجوء إليه وقت الشدة ، وهو أقرب إليهم مما يتصورون .

تلك طبيعة الأسلوب القرآنى فى تساؤلاته ، إعجاز بلاغى لا حد له ، لفظ موجز، ومعنى غزير ، واختيار للكلمات يحار فيه كل بليغ .

تسجير البحار :

يقال فى المعاجم : سجّر الإناء ونحوه تسجيرًا أى : ملأه . وسجّر الماء : فجّره . وسجر التنور : ملأه وقودًا وأحماه . وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ ﴾ [التكوير] ، أى : أحميت بالنار حتى تبخرت مياهها ، وظهرت النار فى مكانها . وقريب منه قول الحسن : يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة. وقيل : ملئت بسبب التفجير وانسياب مياهها حتى اختلط عذبها بملحها ، وصارت بحرًا واحدًا من قولهم : سجر الحوض ، إذا ملأه فهو مسجور . قال تعالى : ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾ [الطور] . وذلك بسبب زلزلة الساعة التى وصفها الله بغاية العظم . وحول المقصود بتسجير البحار يقول الإمام محمد عبده فى تفسيره

لآيات سورة التكوير فى كتابة (تفسير جزء عم) : (أما تسجير البحار فهو أن يفجر الزلزال ما بينها حتى تختلط وتعود بحرًا واحدًا ، وهو بمعنى الملء ، فإن كل واحد منها يمتلئ حتى يفيض ويختلط بالآخر .

وتسجير البحار على هذا المعنى لازم لما سبقه من تقطع أوصال الأرض وانفصال الجبال ، ويدل على رجحان هذا التأويل ظاهر قوله تعالى فى سورة الانفطار : ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ** ﴿٣﴾ ﴾ [الانفطار] ، وقد يكون تسجيرها : إضرامها نارًا ، فإن ما فى باطن الأرض من النار يظهر إذ ذاك بتشققها وتمزق طبقتها العليا، أما الماء فيذهب عند ذلك بخارًا ولا يبقى فى البحار إلا النار . أما كون باطن الأرض يحتوى على نار فقد ورد به بعض الأخبار ، ورد أن البحر غطاء جهنم وإن لم يعرف فى صحيحها ، ولكن البحث العلمى أثبت ذلك ، ويشهد عليه غليان البراكين ـ وهى جبال النار ـ كما تشهد عليه الزلازل الشديدة التى تشق الأرض والجبال فى بعض الأطراف .

وقد ذهب محمد الفقى إلى أن التسجير إذا كان بمعنى الملء فإن هذا يمكن أن يحدث نتيجة للارتفاع المستمر فى درجة الحرارة ، الذى يحدث كرد فعل للاضطرابات المناخية بسبب التلوث ، حيث سيؤدى هذا الارتفاع ـ وفقًا لبعض التصورات العلمية ـ إلى انصهار جبال الجليد فى القطبين وبذلك تمتلئ البحار عن آخرها وتفيض المياه فتغرق مناطق كبيرة من اليابسة . وإذا كان التسجير بمعنى إضرام النار فهناك عدة صور يمكن أن تؤدى إلى اشتعال البحار وتسعيرها . وذكر الفقى أربع صور لذلك ، هى :

الأولى : الاشتعال الناتج عن النفط والغاز سواء فى عمليات التنقيب البحرى عنهما أو فى أعمال الحفر وصيانة الآبار أو غرق الناقلات العملاقة .

الثانية : احتراق الهيدروجين الموجود فى جزىء الماء إذا أمكن ـ بصورة طبيعية أو غير طبيعية ـ فصل جزئيات الماء إلى الهيدروجين والأكسجين .

الثالثة : احتراق مادة الدوتيريوم الموجودة فى مياه المحيطات ، حيث يقول العلماء: إنه لو حرق هذا الديوتيريوم كله فإن الطاقة الناتجة عنه ستفوق كل الحرارة الناتجة عن الوقود العضوى (من نفط وغاز وفحم وخث) بمائة مليون مرة .

الرابعة : الاصطدام بكوكب أو نجم يحتوى على المادة المضادة ، حيث لا يستبعد العلماء وجود أجرام سماوية مكونة من هذه المادة استنادًا إلى مبدأ الزوجية الذى تقرره الآية الكريمة : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ** (٣٦) ﴾ [يس] .

وذهب الدكتور منصور حسب النبى إلى أن تسجير البحار يكون بسبب تحول الشمس إلى نجم عملاق أحمر ، وعندئذ ستتسبب فى ارتفاع درجة حرارة الأرض إلى ٤٠٠٠ درجة مئوية ، مما يؤدى إلى غليان البحار وانفجارها وتبخرها ، وقد يتحلل الماء إلى عنصريه : الهيدروجين والأكسيجين مسببًا اشتعال النار فورًا فى بحار الأرض جميعها .

التسخير :

من معانى التسخير فى اللغة: تكليف المرء ما لا يريد وقهره عليه. وهو أيضًا: تذليل الشىء . يقال : سخّر الله الإبل ، أى : ذللها وسهّلها. وقال ابن منظور : « كل مقهور مدبر لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر ، فذلك مسخر . وقوله عز وجل: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾ [لقمان : ٢٠] ، قال الزجاج: تسخير ما فى السموات : تسخير الشمس والقمر والنجوم للآدميين ، وهو الانتفاع بها فى بلوغ منابتهم والاقتداء بها فى مسالكهم ، وتسخير ما فى الأرض : تسخير بحارها وأنهارها ودوابها وجميع منافعها .

وقد عرف الأصفهانى التسخير بأنه : السياقة إلى الغرض المختص قهرًا . وعلى هذا فالتسخير فى البيئة يعنى : تسيير كل عنصر من العناصر إلى تحقيق الغرض الذى من أجله أوجده الله ، أو الغرض المناط به قهرًا .

وقد وردت آيات كريمات تدل على أن البيئة بأرضها وسمائها ومائها وهوائها وجوامدها وأحيائها الفطرية ، ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، كل ذلك قد خلقه الحق ـ تبارك وتعالى ـ مسخرًا مذللاً للإنسان ، يعتصر منافعه واحتياجاته من بين ثناياها ، فهى قد خلقت له ومن أجله . قال تعالى : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ**

يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾ [الجاثية] ، ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ﴾ [الملك] ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [النحل : ١٤] ، ﴿ والسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [لقمان: ٢٩] ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) ﴾

[إبراهيم]

وهكذا، فالبيئة مسخرة لتلبية مطالب الإنسان المادية، ولكنها لا تعطى الإنسان ما يريد إلا بالسعى فيها بالعمل والكدح لاستثمار خيراتها، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ [الملك: ١٥].

التسمّع :

التسمّع : الإصغاء . وفى التنزيل العزيز: ﴿ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) ﴾ [الصافات] .

والتسمّع ـ كمصطلح ـ هو إصغاء الطبيب إلى ما يحدث من الأصوات فى داخل الجسم ، ويستعان بالتسمّع على تقرير حالة القلب والرئتين والبطن وأعضاء أخرى فى الجسم ، ويستعمل أيضًا فى الإصغاء إلى ضربات قلب الجنين فى أثناء الحمل ، وهو يؤدى عادة بواسطة أداة تسمى المسماع .

تسيير الجبال :

التسيير فى اللغة : مصدر من الفعل: سيّر ، الذى يعنى: جعل الشىء يسير. ويقال: سير فلانًا من بلد أو موطن، أى : أخرجه وأجلاه . وفى التنزيل العزيز: ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) ﴾ [التكوير] ، أى : أزيلت عن أماكنها من الأرض كما قال تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) ﴾ [النبأ] ، أو سيّرت فى الجو ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨].

وتسيير الجبال من مشاهد القيامة ونهاية الكون . فالصخور الضخمة الصلبة للجبال ستصبح هشة كالهباء المتناثر ، وتزول كما لو كانت غير موجودة من قبل .

تشبيهات القرآن :

وحد التشبيه كما قال أهل العلم : الدلالة على اشتراك شيئين فى معنى من المعانى، أو هو إكساب المشبه حكمًا من أحكام المشبه به . والتشبه يزيد المعنى وضوحًا ، ويكسبه تأكيدًا ، فضلاً عن أنه صورة جيدة من صورة البيان عن المعنى المراد فى إيجاز واختصار، وقال عنه الزركشى : إنه تأنيس النفس بإخراجها من خفى إلى جلى ، واختلف فيه على رأيين ؛ يقول أحدهما : إنه من أنواع المجاز، وذهب إلى هذا الرأى القدماء من علماء البلاغة ، أما المتأخرون فقالوا : إنه من ألوان الحقيقة ، وأنا أميل إلى هذا الرأى لوجود طرفيه فى الجملة (المشبه والمشبه به) فهو خبر لم ينقل فيه اللفظ عما وضع له فلا يكون من المجاز ، بمعنى أننى إذا قلت : محمد أسد (وهو أبلغ أنواع التشبيه) فقد ذكرت محمدًا المعروف أصله ، وذكرت الأسد المعروف أصله أيضًا دون ادعاء أو تناس منى ، فلم أدخل محمدًا فى أفراد الأسد ، وتوسط بعضهم ، فقال : إن ذكرت فيه الأداة فهو من باب الحقيقة ، وإن حذفت فهو من باب المجاز .

وأجود أنواع التشبيه : ما يخرج المعقول إلى المحسوس حتى يدركه العقل بسهولة، أى إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً** ﴾ [النور : ٣٩] . فأعمالهم معقولة لا تدرك بالحواس فشبهت بالسراب الذى يرى فى الهاجرة على أنه ماء فإذا به لا شىء ، فالتشبيه بيان أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه والجامع بين الطرفين بطلان المتوهم مع الإلحاح فى طلبه، وشدة الحاجة إليه، واختار القرآن لفظ ﴿ **الظَّمْآنُ** ﴾ لأنه أشد الناس حاجة إلى الماء، وأكثرهم حرصًا على طلبه ، وبعد الطلب لا يجد شيئًا، ويشبهه فى ذلك الكافر الذى يغتر بحسن عمله ، وبعد طول أمل ، وترقب المآل يفاجأ بأنه لا شىء ، بل ويجد عذاب الله وانتقامه حاضرًا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ** ﴾ [إبراهيم : ١٨] . شبهت أعمال الكافرين فى ضياعها بالرماد الذى أذرته الريح فى يوم عاصف فلم يبق منه ـ بالطبع ـ شىء ، ويجمع بين الطرفين

٧/ ٤٥٤/ ت

موسوعة علوم القرآن
أ.د/ عبد الحليم عويس

أبو محمد
٧/ ٥٨/ ت

الهلاك، وعدم الانتفاع، والعجز عن إدراك ما فات، ومنه قول الله تعالى: ﴿ **طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥)** ﴾ [الصافات] .

ومن أجود أنواع التشبيه أيضًا إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به العادة، أى يحول المستحيل إلى الممكن ، ومثاله قول الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ** ﴾ [الأعراف : ١٧١] ، فرفع الجبل فوق رؤوسهم أمر مستحيل لم يألفه الناس ، فشبه الله رفعه غير الممكن بالظلة التى تكون فوق الرؤوس ليمكن تصور المعنى ، ومنه قول الله تعالى فى تصوير هلاك عاد قوم هود: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠)** ﴾ [القمر] ، فمن يتصور الناس وقد صاروا كأعجاز النخل المنقلع من أصوله ؟ تلك صورة معنوية قربها التشبيه للأذهان .

ومن أجود أنواع التشبيه أيضًا : ما يخرج المجهول إلى المعلوم، أو ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها ، مثال ذلك : ﴿ **وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** ﴾ [الحديد: ٢١] ، فمن ذا الذى يتصور سعة الجنة وعظمتها بسهولة ؟ شىء لا يخطر على البال إدراكه ، فلما شبه الله سعتها وعظمتها بالسموات والأرض ، وهما ما هما فى العظمة والاتساع ، فهم اتساع الجنة وعظم شأنها .

ومن أجود أنواع التشبيه أيضًا : ما يخرج ما لا قوة له فى صفة إلى ما له قوة فى تلك الصفة ومنه قوله تعالى فى تشبيه السفن بالجبال فى عظمتها وضخامتها : ﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ (٢٤)** ﴾ [الرحمن] .

ومن التشبيه ما يدعى فيه أن المشبه أقوى فى وجه الشبه من المشبه به ، فينقلب الحال ، ويشبه المشبه بالمشبه ، من ذلك قول الله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا** ﴾ [البقرة : ٢٧٥] . فادعوا أن الربا له مكانة فى الحل أكثر من مكانة البيع حتى شبه به البيع . ومنه قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧)** ﴾ [النحل] . فلزيادة التوبيخ سئلوا هل من يخلق وهو الله يشبه من لا يخلق وهى معبوداتهم؟ والأصل غير ذلك .

ومن تشبيهات القرآن البديعة : تشبيهه أحبار اليهود الذين حملوا أمانة الكتاب

فضيعوها ، ولم يعملوا بما جاء فيها بالحمار الذى يحمل فوق ظهره أسفار الكتب المليئة بالمعارف ولكنه لا يستفيد بما يحمل شيئًا ، قال تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ [الجمعة : ٥] . فالجامع الحرمان من الانتفاع بما هو مصدر الانتفاع مع أنه فى ملك اليد .

ومن تشبيهات القرآن : المركبة العقلية لبعدها عن التناول السريع حيث تتطلب إعمال فكر وطول تأمل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ** ﴾ [يونس: ٢٤] . إنها صورة الحياة الدنيا فى زينتها وبهجتها كأنها الأرض وقد لبست أجمل ثيابها ، واكتست بأفخر وشيها ، حتى إذا طمع أهلها فى تلك المباهج الفاخرة ، وأملوا فى سلامتها من كل جائحة ، وركنوا إلى العافية فى ظلها ، حل بها بأسنا بين عشية أو ضحاها ، وهوت عليها نقمتنا فصارت كأن لم تكن شيئًا مذكورًا ، ثم فى التعبير بالماضى فى قوله : ﴿ **أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا** ﴾ المفيد تحقق الوقوع كاف للدلالة على النهاية الحتمية ، وفى التعمية على الوقت بقوله : ﴿ **لَيْلاً أَوْ نَهَارًا** ﴾ داع للحذر والرعب مما قد يحل بهم فجأة .

ومن تقسيماتهم للتشبيه ، أن طرفيه قد يكونا :

حسيين : كقوله تعالى : ﴿ **فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧)** ﴾ [الحاقة] . فالقوم بعد هلاكهم أشبه بجذوع النخل التى خوت أجوافها فضعفت ، ولم يبق لها من أثر للتماسك .

وقد يكونا : عقليين كقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ﴾ [البقرة : ٧٤] . فقسوة القلوب غير المؤمنة تشبه قسوة الحجارة التى لا إحساس لها ولا مشاعر .

ومنه : تشبيه المعقول بالمحسوس كقوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)** ﴾ [العنكبوت] ، فاتخاذ غير الله أولياء يُعبَدون من دون الله أوهى وأضعف من بيوت العنكبوت فشبه المعقول بالمحسوس تقريبًا للمعنى وتوضيحًا له .

أما تشبيه المحسوس بالمعقول فأجازه بعضهم ، ولم يجزه الآخرون ؛ لأن المحسوس أصل للمعقول وهو الدال عليه وليس العكس ، ومن أمثلته فى القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥)** ﴾ [الصافات] ، فطلع الشجرة أمر محسوس وقد شبه برؤوس الشياطين وهو أمر لا يدرك بالحواس ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠)** ﴾ [النمل] . فشبه اهتزاز العصا وهو أمر يدرك بحاسة البصر بالجان وهو مخلوق يدركه العقل ، ولم تدركه الحاسة .

ومن تقسيماته بالنسبة لوجه الشبه إلى : مؤكد وهو ما حذفت منه الأداة كقوله تعالى : ﴿ **وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** ﴾ [النمل : ٨٨] . وهو الأبلغ حيث تنوسى فيه التشبيه ، وكأن المشبه من أفراد المشبه به . ومرسل وهو ما ذكرت فيه الأداة .

وينقسم التشبيه بالنسبة لوجه الشبه إلى: مفصل : وهو ما ذكر فيه وجه الشبه ومجمل: وهو ما لم يذكر فيه وجه الشبه ، وإذا حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه سمى التشبيه بليغا وهو أرفع أنواع التشبيهات ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [النور:٣٥]، ومنه قوله سبحانه: ﴿**وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ (٧٥)**﴾ [يس] . أى هم لهم كالجند فى الخدمة والدفاع .

وعلى أى حال فإن بلاغة القرآن لا تتوقف عند استخدام التشبيهات أو الاستعارات أو الكنايات أو غير ذلك من ضروب فن القول ، ولكن المقام وأسلوب الاستخدام هو المعول عليهما،فإن استدعى المقام شيئًا من ذلك كان استخدامه أقوم، خاصة وإن استخدم بطريقة مميزة كاستخدامات القرآن ، فإن ذهبنا إلى الحقيقة فى القرآن وجدناها على أعلى ما يكون ، وإن ذهبنا إلى فنون القول الآخرى بدت على أعلى ما يكون أيضًا .

التشجير :

التشجير ـ كما جاء فى (لسان العرب) ـ يرتبط بالنخل، وهو يعنى فى اللغة: (أن توضع العذوق على الجريد ، وذلك إذا كثر حمل النخلة وعظمت الكبائس

فخيف على الجمارة أو على العرجون) . وهو مصدر من الفعل (شجّر) . جاء فى (المعجم الوسيط) : شجّر النباتُ : صار شجرًا . وشجّر الأرضَ : غرس فيها الشجر (وهذا اللفظ بهذا المعنى مولد) .

وفى العلم الحديث يقصد به: (غرس الأشجار والعناية بها بهدف زيادة مساحة الرقعة الخضراء وحماية التربة من الانجراف) . ولم ترد كلمة (التشجير) فى القرآن الكريم ، وإنما وردت كلمات (الشجر) و(الشجرة) فى ٢٥ موضعًا ، مثل قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾** ﴾ [النحل] ، وقوله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا** ﴾ [النمل : ٦٠] . وقوله تعالى: ﴿**وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ ﴿٢٠﴾** ﴾ [المؤمنون] .

وفى مجال البيئة ، يعد التشجير ركنًا أساسيًا فى بناء المدن وتخطيطها ، فمن دونه تصبح المدن مجرد مبان صامتة كئيبة . فاللون الأخضر يكسب المنشآت رونقًا وجمالاً وبهاء . والأشجار بمثابة الرئات التى لا غنى عنها لتجديد هواء المدن وتنقيته من الملوثات ، وإنتاج غاز الأكسيجين الضرورى للإنسان وغيره من الأحياء، فضلاً عن توفير الظل ، وقيمة الأشجار المادية لأخشابها بعد أن تكبر .

تشقق السماء :

التشقق فى اللغة : التصدع . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ** ﴾ [الفرقان : ٢٥] ، أى : يوم تتفتح السماء عن الغمام ، ويذهب بعض الباحثين إلى أن تشقق السماء كمظهر من مظاهر نهاية الكون يمكن تصوره فلكيًا حين تصبح الشمس عملاقًا أحمر ، فتنتفخ كرتها الخارجية ويصل سطحها العملاق إلى جو الأرض فتصبح السماء حمراء كالزيت المحترق وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾** ﴾ [الرحمن] .

تشكيل القرآن :

وهو يعنى : وضع الحركات الإعرابية .

كان مصحف عثمان خاليًا من النقط والشكل ، لكن العرب كانوا يمتلكون

الملكة اللغوية التى تمنعهم من الخطأ واللحن . وبعد انتشار الإسلام واتساع الفتوحات الإسلامية وزيادة اختلاط العرب بالعجم، دخل اللحن فى اللسان العربى والخطأ فى اللغة. وكان الخطر كل الخطر أن يقع اللحن والخطأ فى القرآن.

كان زياد ابن أبيه ـ زياد بن أبى سفيان ـ واليًا على البصرة فى خلافة معاوية ابن أبى سفيان ، تنبه زياد إلى ظهور اللحن ، فخشى أن يمتد هذا اللحن إلى القرآن الكريم ، فبعث إلى أبى الأسود الدؤلى ، وقال له : يا أبا الأسود ، إن هذه الحمراء ـ يعنى العجم ـ قد كثرت ، وأفسدت من ألسن العرب ، فلو وضعت شيئًا يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كلام الله تعالى .

خشى أبو الأسود أن يضع فى كتاب الله ما ليس منه ، فرفض رأى زياد . فأمر زياد رجلاً أن يجلس فى طريق أبى الأسود ، فلما رآه قادمًا رفع صوته بالقراءة : ﴿ **أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ** ﴾ [التوبة : ٣] . بكسر اللام من رسوله. فلما سمعه أبو الأسود استعظم الأمر وقال : عز وجه الله أن يبرأ من رسوله . وعاد إلى زياد وقال له : قد أجبتك إلى ما سألت .

فأرسل معه زياد كاتبًا ، فقال أبو الأسود للكاتب : خذ المصحف ، وصبغًا يخالف لون المداد ، فإذا رأيتنى فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة أعلاه ، وإذا رأيتنى قد ضممت فمى فانقط نقطة بين يدى الحرف ، وإن كسرت فانقط نقطة تحت الحرف ، فإذا أتبعت شيئًا من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين. وكان إذا انتهى الكاتب من ورقة راجعها أبو الأسود بنفسه ، حتى انتهى من المصحف كاملاً .

ثم أخذ الناس بعد أبى الأسود يزيدون فى هذه العلامات ويأخذون علامات أخرى ، إلى أن قام الخليل بن أحمد بوضع الحركات المستخدمة عندنا الآن ، وهى: (ـَ) فوق الحرف للفتح ، (ـُ) فوق الحرف للضم ، (ـِ) تحت الحرف للكسر ، (ـّ) فوق الحرف للتشديد ، وهى رأس ش للتشديد ، (حـ) فوق الحرف للسكون وهى رأس خـ من خفيف .

ووضع الخليل أيضًا : الهمزة والتشديد والروم والإشمام .

٧/ ٤٥٤/ ت

التشييع :

الإتباع والخروج ، تقول : شيعت الضيف ؛ أى خرجت معه إكرامًا له ، وشيعت رمضان بست من شوال ، أى أتبعته بها . والمقصود به هنا : أن ثمة عدة سور من القرآن أنزلها الله مشيعة بجمهور عظيم من الملائكة .

قال الزركشى: سورة الأنعام نزلت مرة واحدة شيّعها سبعون ألف ملك طبّقوا ما بين السموات والأرض لهم زجل بالتسبيح .

ونزلت فاتحة الكتاب ومعها ثمانون ألف ملك ، وآية الكرسى نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك ، وسورة يونس نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك ، ﴿ **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا** ﴾ [الزخرف : ٤٥] . نزلت ومعها عشرون ألف ملك وسائر القرآن نزل به جبريل بلا تشييع .

التصحيح (فى الميراث) :

تصحيح أصول المسائل : إذا انقسمت سهام كل فريق من أصل المسألة أو عولها على عدد رؤوس فريقه من الورثة قسمة صحيحة من غير كسر فذاك ظاهر. أما إذا لم تنقسم سهام كل فريق على عدد رؤوس فريقه من الورثة قسمة صحيحة من غير كسر ، فسبيل تصحيح المسألة أن تحول أصل المسألة أو عولها ـ إن كانت عائلة ـ إلى أقل عدد ممكن أن نأخذ منه السهام صحيحة قابلة للقسمة على أصحابها، وهذه العملية تسمى بالتصحيح .

أما طريقة التصحيح :

١ ـ إذا تباينت السهام وعدد فريق من الورثة (بأن لم يكن بينهما اشتراك بجزء من الأجزاء ، نضرب عدد رؤوس هذا الفريق × أصل المسألة إذا لم تكن عائلة ، ونضرب عدد رؤوس هذا الفريق × ما عالت إليه المسألة إذا كانت عائلة .

٢ ـ إذا توافقت السهام وعدد فريق من الورثة نتبع ما يلى :

أ ـ نقسم عدد الرؤوس (رؤوس هذا الفريق) على القاسم المشترك بين عدد سهام الفريق وعدد رؤوسه .

ب ـ نضرب خارج القسمة فى أصل المسألة إذا لم تكن عائلة ، أو عولها إذا كانت عائلة ، والناتج تصح منه المسألة .

٣ ـ إذا تداخلت سهام فريق وعدد رؤوسه : نضرب خارج قسمة أكبرهما على أصغرهما × أصل المسألة (إذا لم تكن عائلة ، أو فى عولها إذا كانت عائلة، والناتج تصح منه المسألة .

التصدع :

التصدع فى اللغة: هو التشقق. يقال : تصدعت الأرض بالنبات : تشققت . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣)** ﴾ [الروم] . قال المفسرون : يصدعون أصله : يتصدعون ، فقلبت تاؤه صادًا وأدغمت . يقال : صدعت القوم صدعًا فتصدعوا ، أى : فرقتهم فتفرقوا ، من التصدع وهو : التفرق .

والتصدع فى الجيولوجيا هو : تكسر الصخور بقوة الشد أو الانضغاط .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الانغلاق . ٢ ـ التشقق . ٣ ـ الصدع .

التصريف :

التصريف فى اللغة : التدبير والتوجيه . وتصريف الرياح هو صرفها من حال إلى حال . والصرف : رد الشىء من حالة أو إبداله بغيرها . يقال : صرفته فانصرف . قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ** ﴾ [آل عمران : ١٥٢] . والتصريف كالصرف إلا فى التكثير . وأكثر ما يقال فى صرف الشىء من حالة إلى حالة ومن أمر إلى أمر . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

والتصريف discharge فى الجيولوجيا هو معدل تحرك الماء فى مجرى .

التصعد فى السماء :

التصعّد : العلو والارتقاء . وفى التنزيل العزيز: ﴿ **كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** ﴾

[الأنعام : ١٢٥] . أى يتكلف الصعود فلا يستطيعه ؛ لأن التصعد فى الشىء هو المضى فيه على مشقة . والسماء فى هذه الآية قد تكون بمعناها المتعارف ، ويجوز أن تكون الغلاف الجوى الذى يعلو الأرض .

ومن المعروف أن معطيات العلوم الحديثة أكدت أن الغلاف الجوى للأرض يمتد إلى ارتفاع ألف كيلو متر ، وتقل كثافة الغازات التى يتكون منها هذا الغلاف كلما ارتفعنا بعيدًا عن سطح البحر ، حتى أنه على ارتفاع عشرة كيلو مترات لا تكفى مقادير الأكسيجين الموجود فى الهواء للتنفس ويشعر الإنسان كأنما قد ضاق صدره حتى يتم اختناقه بزيادة الارتفاع .

التصلب :

التصلب فى اللغة : مصدر الفعل : تصلّب أى : تشدد وتقوّى وفقد لينه . يقال : تصلب العود ، وتصلب الشريان . ولم ترد لفظة (التصلب) فى القرآن الكريم وإنما وردت لفظة (الصلب) المشتركة معها فى الجذر اللغوى . قال تعالى : ﴿ **يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ** ﴿٧﴾ ﴾ [الطارق] . والصلب فى اللغة : الشديد . وباعتبار الصلابة والشدة سمى الظَّهر صلبًا .

والتصلب induration فى علم الجيولوجيا هو تماسك الفتات الصخرى وتصلده بفعل الحرارة وغيرها .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التصلد .

التصلد :

التصلد هو : أن يصبح الشىء شديد الصلابة . ولم ترد لفظة (التصلد) فى القرآن الكريم ، وإنما وردت لفظة (صلدا) التى تشترك معها فى الجذر اللغوى . قال تعالى : ﴿ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا** ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والتصلد consolidation فى علم الجيولوجيا هو أى عملية تتحول فيها مواد الأرض السائبة أو اللينة أو المنصهرة إلى صخر صلب متماسك ، ويستخدم هذا

الاصطلاح بوجه خاص فى وصف تصلب الصهارة لتكوين الصخور النارية وتصخر الرسوبيات لتكوين الصخور الرسوبية .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التصلب . ٢ ـ الصخرة .

التطبق :

التطبق فى اللغة : هو انضمام الشىء بعضه إلى بعض . ولم ترد لفظة (التطبق) فى القرآن الكريم ، وإنما وردت كلمتا (الطبق) و(الطباق) المشتركتان معها فى الجذر اللغوى ، كما فى قوله تعالى: ﴿ **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ** (١٩) ﴾ [الانشقاق]، وقوله تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا** ﴾ [الملك : ٣] .

والتطبق bedding فى علم الجيولوجيا: خاصية تميز الصخور الرسوبية حيث تتوازى الأسطح التى تفصل بين طبقات مختلفة، وهى أسطح متتابعة للترسيب فى أثناء تراكم الرسوبيات. ويشيع التطبق أيضًا فى الصخور الفتاتية البركانية.

التضمين :

هو أن يتضمن اللفظ معنى لفظ آخر ، وقد يكون فى الأسماء كقوله تعالى : ﴿ **حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** (١٠٥) ﴾ [الأعراف] ، فإن لفظ (حقيق) تضمن معنى لفظ (حريص) وهما اسمان ، ومن الفعل قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** (١٤) ﴾ [البقرة : ١٤] ، فتضمن الفعل ﴿ **خَلَوْا** ﴾ معنى الفعل (ذهبوا) أو (انصرفوا) .

ومن تضمين الحرف لمعنى حرف آخر قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** ﴾ [الشورى : ٢٥] ، فتضمن الحرف (عن) معنى الحرف (من) المناسب للتوبة ، أو نجعل التضمين فى الاسم ، ونقول : إن لفظ (التوبة) تضمن معنى الصفح والعفو ، ولذا جاء معه الحرف (عن) ، والتضمين فى الحرف أنسب ، ومن التضمين فى الفعل قول الله تعالى : ﴿ **عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا**

تَفْجِيراً ﴿٦﴾ ﴾ [الإنسان] . حيث تضمن الفعل (يشرب) معنى الفعل (يروى) ولذا تعدى بالباء ، إذ إن (يشرب) يتعدى بنفسه .

التطور :

التطور فى اللغة : هو التحول من طور إلى طور. وعرفه مجمع اللغة العربية بالقاهرة بأنه التغير التدريجى الذى يحدث فى بنية الكائنات الحية وسلوكها . ولم ترد لفظة (التطور) فى القرآن الكريم ، وإنما وردت لفظة (أطوارا) التى تشترك معها فى نفس الجذر اللغوى. قال تعالى: ﴿ **وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً** ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح] . والطور فى اللغة: الصنف والنوع ، والحال والهيئة .

والتطور evolution فى الجيولوجيا هو التغيير الدائم والتدريجى فى الشكل والوظائف فى الأجيال المتعاقبة من الكائنات عبر الزمن الجيولوجى ، حتى يصبح الأحفاد مختلفين بدرجة ملحوظة عن أسلافهم .

التعاون :

التعاون : مصدر الفعل (تعاون) ، أى : ساعد بعضهم بعضًا . وفى القرآن الكريم : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة : ٢] . والتعاون سمة سائدة بين العديد من الحيوانات ، فقد تشترك مجموعة من الحيوانات المفترسة معًا فى صيد فريسة ، كما هى الحال فى الضباع إذا اكتشفت ـ مثلاً ـ وجود جماعة عائلية من حمر الزرد (الذكر وأفراسه ومهورها) ، حيث تطارد الضباع تلك الحمر إلى أن تمسك بواحد منها وتضطره إلى التوقف ثم تتكاثر عليه . كما تشترك الضباع وتتعاون فى حماية منطقة النفوذ الخاصة بها .

وفى بعض الأحيان يحدث التعاون بين نوعين مختلفين من الحيوانات ، كما هى الحال مع الخراتيت وطيور نقار الثور oxpeckers ذات المنقار الأحمر ، حيث تحصل هذه الطيور على غذائها من الطفيليات التى توجد فى جلد الخرتيت كالديدان ، وفى الوقت نفسه تستفيد الخراتيت من تلك الطيور فى استشعار أى خطر محدق بها ، فما أن تنطلق طيور نقار الثور فى الجو وتأخذ فى التحويم حتى تنبه الخراتيت إلى وجود خطر قريب . وتقوم طيور أبو بقر cattle egret أيضًا

بدور حراس الخراتيت ، إذ تحط على ظهورها وتأخذ فى التهام الحشرات التى تثيرها حركة أقدامها ، ثم تطير فجأة بطريقة منذرة عند ظهور أحد المفترسات .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التكافل .　　٢ ـ الحيوان .

التعجب :

وقد ورد فى القرآن بصيغ متعددة قياسية وغير قياسية ، ومنه قوله تعالى : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** (١٧٥) ﴾ [البقرة] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** (١٧) ﴾ [عبس] . ونظير ذلك قول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** (٦) ﴾ [الانفطار] ، وإن قيل : إن ما استفهامية ، ولكنها على أى حال أفادت معنى التعجب من ذلك الإنسان الذى اغتر بحلم ربه وكرمه .

ومن غير القياسى قوله تعالى : ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** (٢٨) ﴾ [البقرة] . تعجب من كفرهم بالخالق ، وجحودهم للصانع ، وقد شاهدوا ويشاهدون خلقًا وموتًا كل يوم ، بل ولم ينظروا فى أنفسهم إذ كانوا موتى فأحياهم الله ، ثم يميتهم ، فكيف يعجز عن الإعادة من قدر على الخلق من عدم !!

ومنه قوله : ﴿ **كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (٨٦) ﴾ [آل عمران] . أى : كيف يستحق الهداية قوم كفروا بعد إيمانهم ، وبعد أن غمرتهم الأدلة ، وتأكدوا من صدق رسالة النبى بما عرفوه عنه فى كتبهم ، وبما رأوه منه ، وسمعوه عنه ، ولكنهم كفروا حسدًا للعرب ، فكيف يمنحهم الله هداه بعد ذلك ؟!

ومنه قوله تعالى : ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** (٧٥) ﴾ [المائدة] ، تعجب من حال الذين يدعون ألوهيته هو وأمه على الرغم مما رأوه من الحق ،

وما عرفوه من أدلة تدحض ما اعتقدوه : ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) ﴾ [الأنعام] . تعجب من كذبهم الصريح على أنفسهم ، إذ كفروا فى الدنيا ، ثم يوم القيامة يقسمون أنهم لم يكونوا مشركين : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) ﴾ [مريم] . قالوا متعجبين : كيف نكلم رضيعًا لم يزل فى المهد وما عهدنا ذلك أبدًا ؟ ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) ﴾ [الصافات ، القلم : ٣٦] تسفيه لهم ، وتعجب من جهلهم ، كيف يختار لنفسه أفضل الجنسين على زعمكم !

وللصيغة القياسية شروط ليتعجب بها ، وبعض ما يفقد تلك الشروط يتعجب منه بطريقة خاصة أقرها علماء النحو ، ومما جاء من ذلك فى التنزيل قول الله تعالى : ﴿ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧) ﴾ [التوبة] . وقد جاء التعجب من فعل منفى هو : ﴿ أَلاَّ يَعْلَمُوا ﴾ بصيغة مساعدة هى ﴿ وَأَجْدَرُ ﴾، ومن التعجب من الفعل المبنى للمجهول قول الله تعالى : ﴿ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ﴾ [يونس : ٣٥] . بالاستعانة بصيغة مساعدة دالة على المعنى المراد هى : أحق للتعجب من الفعل يتبع المبنى للمجهول .

تعدد أسباب النزول والنازل واحد :

كثيرًا ما يذكر المفسّرون لنزول الآية أسبابًا متعددة ، وطريق الاعتماد فى ذلك أن ينظر إلى العبارة الواقعة ، فإن عبّر أحدهم بقوله : نزلت فى كذا ، والآخر نزلت فى كذا ، وذكر أمرًا آخر ، فإن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول ، فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما ، وإن عبر واحد بقوله : نزلت فى كذا ، وصرح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد ، وذاك استنباط .

مثاله: ما أخرجه البخارى عن ابن عمر، قال: أنزلت: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، فى إتيان النساء فى أدبارهن ، وجاء التصريح بذكر سبب خلافه عن جابر قال : كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من خلفها فى قُبلها جاء الولد أحول ، فنزلت ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [البخارى (٤٥٢٨)]، فالمعتمد حديث جابر؛ لأنه نقل صريح، وهو نص فى السبب، وقول ابن عمر استنباط منه.

وإن ذكر واحد سببًا وآخر سببًا غيره ، فإن كان إسناد أحدهما صحيحًا دون الآخر فالصحيح المعتمد .

مثاله: ما أخرجه البخارى عن جندب: اشتكى النبى ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا ، فأتته امرأة ، فقالت : يا محمد ، ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فأنزل الله : ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ [الضحى]. [البخارى (٤٩٥٠)] .

وأخرج الطبرانى وابن أبى شيبة ، عن حفص بن ميسرة ، عن أمه عن أمها ـ وكانت خادم رسول الله ﷺ ـ أن جروًا دخل بيت النبى ﷺ ، فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبى ﷺ أيامًا لا ينزل عليه الوحى، فقال: «يا خولة، ما حدث فى بيت رسول الله ؟ جبريل لا يأتينى »، فقلت فى نفسى: لو هيئت البيت وكنسته! فأهويت بالمكنسة تحت السرير ، فأخرجت الجرو فجاء النبى ﷺ تُرعَدْ لحيته ـ وكان إذا نزل عليه الوحى أخذته الرَّعدة ـ فأنزل الله: ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَتَرْضَىٰ ۝٥ ﴾ [مجمع الزوائد ٧/ ١٤١، وقال: رواه الطبرانى ، وأم حفص لم أعرفها] .

وقال ابن حجر فى شرح البخارى : قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن كونها سبب نزول الآية غريب ، وفى إسناده من لا يُعرف ، فالمعتمد ما فى الصحيح .

أما الحال الرابع : أن يستوى الإسنادان فى الصحة ، فيرجح أحدهما بكون راويه حاضر القصة ، أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات .

مثاله : ما أخرجه البخارى عن ابن مسعود ، قال : كنت أمشى مع النبى ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسِيب، فمر بنفرٍ من اليهود، فقال بعضهم : لو سألتموه! فقالوا : حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه ، حتى صعد الوحى ، ثم قال : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ۝٨٥ ﴾ [الإسراء] . [البخارى (٤٧٢١)] .

وأخرج الترمذى وصححه عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود : أعطونا شيئًا نسأل هذا الرجل ، فقالوا : اسألوه عن الروح ، فسألوه ، فأنزل الله :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء : ٨٥] الآية [الترمذى (٣١٤٠)] ، فهذا يقتضى أنها نزلت بمكة، والأول خلافه ، وقد رُجِّحَ بأن ما رواه البخارى أصح من غيره ، وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة .

الحال الخامس : إذا تساوت الروايات فى الترجيح جمع بينهما إن أمكن ، فتكون الآية قد نزلت بعد السببين أو الأسباب لتقارب الزمن بينها ، كآيات اللعان: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ [النور : ٦] ، فقد أخرج البخارى عن ابن عباس أنها نزلت فى هلال بن أمية قذف امرأته عند النبى ﷺ بشريْك بن سَحْمَاء فقال له ﷺ : « البينة أو حدّ فى ظهرك » [البخارى (٤٧٤٧)].

وأخرج البخارى عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدى فقال : سأل رسول الله ﷺ : أرأيت رجلاً وَجَدَ على امرأته رجلاً ، فقتله ، أيُقْتَلُ به ، أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ ، فغاب السائل ، فأخبر عاصم عويمرًا ، فقال : والله لآتين رسول الله ﷺ ، فلأسألنه ، فأتاه ، فقال : إنه قد أنزل فيك وفى صاحبتك قرآنًا . . . الحديث [البخارى (٧٣٠٤)].

جُمع بينهما بأن أول ما وقع له ذلك هلال ، وصادف مجىء عويمر أيضًا ، فنزلت فى شأنهما معًا ، وإلى هذا جنح النووى وسبقه الخطيب ، فقال : لعلهما اتفق لهما ذلك فى وقت واحد ، وقال ابن حجر : لا مانع من تعدد الأسباب .

الحال السادس: ألا يمكن ذلك ، فيحمل على تعدد النزول وتكرره ، مثاله : ما أخرجه البخارى عن المسيّب ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية ، فقال : أى عم ، قل: لا إله إلا الله ، أحاجّ لك بها عند الله، فقال أبو جهل: وعبد الله يا أبا طالب ! أترغب عن ملة عبد المطلب ! فلم يزالا يكلمانه حتى قال : هو على ملة عبد المطلب ، فقال النبى ﷺ : « لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنه » . فنزلت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة : ١١٣] . [البخارى (٤٦٧٥)] .

وأخرج الترمذى وحسّنه عن على ، قال : سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت له : أتستغفر لأبويك وهما مشركان ؟ فقال : أو ليس استغفر

إبراهيم لأبيه وهو مشرك ؟ فذكرت ذلك للنبى ﷺ فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة : ١١٣] . [الترمذى (٣١٠١)] .

تعدد النازل والسبب واحد :

ويقصد به أن يذكر سبب واحد فى نزول آيات متفرقة ، فقد يكون أمر واحد سببًا لنزول آيتين أو آيات متعددة ، أو قد ينزل فى الواقعة الواحدة آيات عديدة فى سور شتى.

مثاله: ما أخرجه الحاكم عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله ، لا أسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشىء ، فأنزل الله : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] إلى آخر الآية [الحاكم فى المستدرك ٢/ ٣٠٠] .

وأخرج الحاكم عنها أيضًا، قالت: قلت: يا رسول الله،يذكر الرجال ولا تذكر النساء ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٥]، وأنزل: ﴿ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ١٩٥] . [الحاكم فى المستدرك ٢/ ٤١٦] .

وأخرج أيضًا عنها أنها قالت : يغزو الرجال ولا تغزو النساء ، وإنما لنا نصف، فأنزل الله : ﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء : ٣٢] ، وأنزل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] . [الحاكم فى المستدرك ٢/ ٣٠٥].

التعريض :

وهو أوقع فى النفس والذهن من التصريح ، حيث يدعو الفكر إلى التأمل ، والذهن إلى التدبر ليصل إلى المراد ، فإذا وصل إليه ثبت فى النفس ، ووقع منها موقعًا وللقرآن مع التعريض مجال واسع ، فهو حقل خصب لهذا اللون من ألوان البيان ، فكثيرًا ما عرض ليكدح الأذهان وينشطها حتى إذا وصلت استقر المعنى فيها أيما استقرار.

ومنه قول الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) ﴾ [النساء] . لم يقل صراحة أنهم بخلاء ، ولكنه قالها بطريق التعريض ، وذلك

أثبت ، إذ عرض فى الآية بشدة بخلهم حتى إنهم لو كانوا يملكون شيا لبخلوا بالنقير ، ولكن ليس لهم من الملك أى شىء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً** (٣٦) ﴾ [النساء] . عرض بقوله هذا إلى ذلك الكبر المؤدى لافتخار الإنسان بنفسه واحتقار خلق الله.

ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** (٤٩) ﴾ [النساء] . عرض بقوله إلى استحالة ظلم الله لأحد من خلقه ولو بمقدار الفتيل . ومنه قول الله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ** (١٣) ﴾ [فاطر] . عرض به للدلالة على أن آلهتهم التى يدعون من دون الله عاجزة كل العجز ، وفقيرة كل الفقر حتى إنها لا تملك القطمير ، فكيف تعبد من دون الله الخالق الرازق الذى عنده خزائن السموات والأرض ؟! وهو تعريض يشير فى نفس الوقت إلى سخف عقولهم ، وسوء تقديرهم ، إذ تركوا عبادة الغنى المغنى واختاروا عبادة أفقر مخلوقات الله !

ومن أجمل تعريضات القرآن ما جاء على لسان خليل الله إبراهيم لما سئل عمن حطم الأصنام ، فجاء حواره معهم على النحو التالى : ﴿ **قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ** (٦٢) **قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ** (٦٣) **فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ** (٦٤) **ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ** (٦٥) **قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ** (٦٦) ﴾ [الأنبياء] . سألوه عن الفاعل فقال من باب التعريض بضعف المعبود ، وحمق العابدين: إنه كبيرهم، وعليكم أن تسألوهم ، فاعترفوا أنهم لا ينطقون ، فوصل من اعترافهم هذا إلى عدم تعقلهم للأمور ؛ إذ كيف يعبدون ما لا يستطيعون حتى الكلام فضلاً عن إنزال الضر أو رفعه ؟ ووصل من حواره إلى تسفيه عقولهم وسوء تقديرهم واختيارهم ، وهذا ما كان يريد .

وفى قول قوم نوح له : ﴿ **مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ** (٢٧) ﴾ [هود] ، تعريض به إذ ما دام هو بشراً مثلهم ، فهم أحق منه بالرسالة ، فكيف يدعيها وليس له عليهم أدنى فضل ؟

وفى قول أتباع محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ له : ﴿ **مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً** (٧) ﴾ [الفرقان] . تعريض بأنه واحد منهم لا يفوقهم فى شىء ، فهو يأكل كما يأكلون، ويتسوق كما يتسوقون، فأى فضل له عليهم حتى يرسل إليهم من قبل الله ؟ فوصلوا إلى المماثلة بقولهم : يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، ولو كان الله مرسلاً نبيًا لجعله من الملائكة لتميزهم عن البشر ! ولكن كان رد الله عليهم حاسمًا إذ قال له: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان: ٢٠].

ونظيره قول الله تعالى عن عيسى وأمه ردًا على ادعاء النصارى بأنه عليه السلام إله أو جزء من إله أو واحد من مجموعة الآلهة أو ابن الإله ، أو أنه وأمه إلهان مع الله ، وجعلوا الله بذلك ثالث ثلاثة، إلى غير ذلك من السخافات التى ادعوها ، فقال تعالى: ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ** ﴾ [المائدة : ٧٥]، ففى قوله: كانا يأكلان الطعام، وفى صفات البشرية الأخرى المستنبطة من الآية تعريض للإشارة إلى كمال بشريتهما المنافية للألوهية ، فهما يأكلان كما تأكلون فكيف يكونا آلهة ؟!

ومن قمة التعريض بموقفى الفريقين المتجادلين دون تصريح تاركًا الأمر لفطنة الخصم قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** (٢٤) ﴾ [سبأ] . فأحدنا ضال ، والآخر مهتد ، وقد حقق بالتعريض أدب الحديث مع الخصم ، وأدب المجادلة ، وأدب الحكم على المواقف المختلفة . وفى استخدام حرف الجر (على) مع الهدى وحرف الجر (فى) مع الضلال قمة الدقة وحسن النظم ، فمن كان فى الهدى فهو أعلى ، وكأنه يمتطى السحاب فى حياته ومماته ، شأن الحق دائمًا ، وأما من كان مع الضلال فهو مغموس فيه ، غارق فى باطله .

التعزير :

التعزير : عقوبة دون الحد لمنع الجانى من المعاودة وردعه عن المعصية ، فهو تأديب بعقوبات غير مقدرة على جرائم لم تضع لها الشريعة حدًا معلومًا فى الدين أو عقوبة مقننة ، ويطلق على كل ضرب دون الحد تعزير ، وهو يخالف الحدود من وجهين :

١ ـ أنه يمكن أن تختلف العقوبة فيه من شخص لآخر حسب رؤية القاضى لقول النبى فى الخطأ الطارئ من أهل الفضل : « أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا الحدود » [أبو داود (٤٣٧٥) ، وأحمد ٦/ ١٨١] .

٢ ـ أن الحد لا يجوز العفو عنه ولا تقبل فيه الشفاعة بخلاف التعزير ، وفى ذلك تفصيل ليس هذا مجاله .

من صور التعازير : ويبدأ التعزير من النصح والإرشاد حتى يصل إلى القتل بل إلى الصلب حيًا فى بعض الظروف وفى بعض الحالات حسب نوعية الجريمة وحالة مرتكبها وأثرها على غيره من أفراد المجتمع ، ومنه أيضًا : التوبيخ والهجر والتهديد والغرامات المالية والجلد والحبس المحدد المدة وغير المحدد ، وتغريب الجانى وإبعاده عن وطنه والتشهير به فى حيه وحلق شعره . . . إلى غير ذلك مما يستحدث من العقوبات ويراه القاضى ملائمًا .

من يقدر العقوبة فى التعزير : يترك التقدير للقاضى طبقًا لما يراه مناسبًا ، ولا تتوقف العقوبة عند نوع معين أو قدر محدد بل للقاضى الحق تمامًا فى اختيار ما يراه ملائمًا للجريمة والمعزر ، وهى بالطبع عقوبة غير لازمة كالحدود فللقاضى حق الاختيار وحق التخفيف والعكس .

ولا يعاقب بالتعزير على جرائم فرض لها الشرع حدودًا مثل : القتل العمد المستوفى الشروط أو الزنى أو السرقة أو السكر . . . إلخ .

وقد يضاف التعزير إلى الحد فى بعض الحالات إذا رأى القاضى ذلك ضروريًا. وينظر إلى المعنى اللغوى للتعزير على ضوء توجيه الرسول فى حديثه : « انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا » قالوا : يا رسول الله ، هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا ؟ قال : « تأخذ فوق يديه » [البخارى (٢٤٤٣)] .

بمعنى أن التعزير أصلاً يعنى النصرة والتعظيم ، ومنه : ﴿ **لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ** ﴾ [الفتح : ٩] ، ومنه أيضًا : ﴿ **لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** ﴾ [المائدة : ١٢] ، ويعنى فى نفس الوقت التأديب دون الحد ؛ ويتفق مع المعنى الأول من حيث إنه

نصر لجانب الخير فى الإنسان على جانب الشر فيه ، فنحن فى المعنى الأول نحارب عدو الإنسان وفى الثانى نحارب شيطانه ونفسه الأمارة بالسوء ، والتعزير فى كلا التفسيرين لمصلحة المعزر ونصر له .

تعطيل العشار :

التعطيل: الإهمال. وفى التنزيل العزيز: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾ [التكوير]، أى: خليت بلا راع ، وأهملت كأنها غير موجودة. وقال مجاهد: عطلت: تركت وسيبت. وقال أبى بن كعب والضحاك : عطلت: أهملها أهلها . وقال الربيع بن خثيم : لم تحلب ولم تصر ، تخلى منها أربابها . والمعنى فى هذا كله متقارب ، وهو : الإهمال .

التعلّم :

التعلّم : إتقان الشيء ومعرفته ، وقال الراغب الأصفهانى : (قال بعضهم : التعليم تنبيه النفس لتصور المعانى .

والتعلّم : تنبه النفس لتصور ذلك) ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

والتعلّم Learning ـ كمصطلح ـ هو استعمال التجربة فى الحصول على أكبر قسط من المهارة والمعرفة واكتساب السلوك ، والتعلم ـ بالمعنى العلمى ـ هو تكوين ردود فعل جديدة لكل تنبيه ، وأبسط صوره تكوين ما يسمى الفعل المنعكس البسيط ، فقرع الركبة ـ على سبيل المثال ـ ينبه عصبها الحسى ، فيرسل دفعة عصبية إلى الجهاز العصبى المركزى ، تتلوها دفعة عصبية فى العصب الحركى الضابط لعضلات الفخذ فتهز الساق إلى أعلى ، فالتعلم إذن هو استحداث مسالك جديدة بواسطة خلايا متداخلة بالجهاز العصبى . ويقال : إن الإنسان هو الحصيلة الكاملة لما يتعلمه .

التعليل :

وهو ذكر الحكم مصحوبًا بالعلة ؛ وذلك مفيد لأن النفس تشتاق دومًا لمعرفة

علة الحكم من جهة ، ولأن الحكم المعلل يحمل معه دليل صدقه وأحقيته . من ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) ﴾ [يوسف] . كأن سائلاً سأل : لم لا تبرئ نفسك ، فكانت الإجابة لأن النفس أمارة بالسوء إلا إذا رحم الله . ومنه قول الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) ﴾ [الحج] . لم تأمرنا بتقوى الله ؟ لأن مردكم إلى الساعة ، ويومها يوم شديد ، وزلزلتها عظيمة ، فاعملوا لهذه الساعة بتقوى الله .

ومنه قول الله : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) ﴾ [النحل] . لما أنزل الكتاب ؟ أنزل لتبين لهم ما اختلفوا فيه من الأمور ومن الأحكام ، كما أنه هدى ورحمة لمن آمن به وصدقه ، ووقف أمامه موقف التلميذ المحب ، لا الناقد الحاقد المستكبر . ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ (١١) ﴾ [الأنفال] . وموقف المعركة فى بدر أحق بأن يتضح الأمر للمقاتلين ، فبين الله لهم أنه ألقى عليهم النعاس ليشملهم بأمنه وأمانه ، وأنه أنزل عليهم المطر ليطهرهم به ، ويذهب عنهم به أيضًا وساوس الشيطان ، كما يثبت به أقدام المقاتلين على أرض المعركة الرملية . . . إلخ .

ومن أروع تعليلات القرآن قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) ﴾ [الحجرات] . عليكم التثبت من الأمر قبل اتخاذ القرار ، فلا تصدقوا كل ناعق حتى لا تصيبوا قومًا بجهالة ، فتندموا بعد فوات الأوان ؛ وقد تحققت نصيحة القرآن على أرض الواقع فى هذه الحادثة التى نزلت فيها الآية، والتعليل هنا لبيان عاقبة ترك الأمر السماوى، ومن التعليل ما يكون لبيان سبب النهى كقوله تعالى على لسان نبيه : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] . فعلة النهى عن الحزن معية الله التى تعطى الأمان والاطمئنان ، وتذهب الخوف والوجل .

وبعض التعليلات يأتى فى صورة جملة اسمية كأنها جملة مستقلة ، وهى فى

المعنى عام تعليل للنهى ، كقوله تعالى : ﴿ **لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)** ﴾ [آل عمران] . فكأنه قال سبحانه : لا تغتر بما فيه الكفار من نعيم فمتاعهم قليل ، وسيأتيهم بعده عذاب مقيم .

وبعضه جاء فى صورة شرط يفهم منه سبب النهى كقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ** ﴾ [النساء: ١٠٤] . لا تضعفوا عن ملاحقة القوم ، فإن كنتم تتألمون فهم أشد منكم ألمًا ، وتزيدون عنهم أنكم تطلبون رضا الله وجنته ، وهم لا يطلبون لألمهم وتعبهم جزاء إلا إرضاء شياطينهم .

ومن التعليل ما يأتى فى صورة استفهام كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٤٤)** ﴾ [النساء] . أى : إن اتخذتم أولياء من دون الله فقد جعلتم لله عليكم برهانًا وحجة يحاسبكم بسبب جرمكم ونفاقكم هذا .

ومن أروع التعليلات المبينة للغرض آيات تحريم الخمر وقريناتها ؛ إذ إنه لخطورة الأمر ، وانغماس المجتمع العربى فى حب هذه الرذائل، وحرصهم عليها، وانتفاع بعضهم بوجودها ، فصلت الآيات ، وبينت علل التحريم بإفاضة ، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٩٢)** ﴾ [المائدة] . فذكر أنها رجس ، وأن اجتنابها سبب من أسباب الفلاح ، وأنها من حبائل الشيطان التى يوقع بها العداوة والبغضاء فى المجتمع ، كما أنها تصد عن ذكر الله ، وتلهى عن الصلاة ، وفى تركها طاعة لله ورسوله .

التعليم :

التعليم: مصدر الفعل (علَّم) بمعنى: جعله يتعلم،أى: يعرف أمرًا ما ويتقنه. وفى التنزيل العزيز، وردت كلمة (علّم) بمعنى : درّب ، كما فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ ﴾ [المائدة : ٤] . فتعليم الجوارح هو تدريبها على الصيد، بحيث إذا أطلقها الإنسان بعد ذلك تكسب له الصيد. والأصل فى ما علّم الإنسان من الجوارح هو الكلاب ، وألحق بالكلاب غيرها مثل الفهود والنمور والصقور .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الجوارح . ٢ ـ الصيد . ٣ ـ الكلاب .

التعويق :

التعويق : المنع عن الشىء . والعائق : الصارف عما يراد من خير . يقال : عاقه وعوّقه واعتاقه، وهو من المعوِّقين، أى : المثبطين الصارفين عن طريق الخير، وفى التنزيل العزيز : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾

[الأحزاب : ١٨]

والتعويق ـ كمصطلح ـ هو العجز ، كأن يعجز الإنسان عن النطق أو الرؤية أو المشى . والتعويق العقلى Mental Retradation هو النمو الخاطئ أو غير المكتمل للدماغ ، بحيث يؤدى إلى العجز عن التعلم والتكيف للاحتياجات اليومية بالسرعة العادية ، والتعويق العقلى أمر نسبى ، وهو ليس بمرض ، بل لفظ يطلق على حالات متنوعة لها أسباب كثيرة ، منها : أمراض تصيب الأم وقت الحمل ، أو الطفل نفسه ، والقليل منها وراثى .

التغليب :

إعطاء الشىء حكم غيره لفظًا ، ومنه: تغليب المذكر على المؤنث كما فى قوله تعالى عن السيدة مريم بنت عمران : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) ﴾ [التحريم] . والمراد وكانت من القانتات . ومنه تغليب المخاطب على الغائب كما فى قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) ﴾ [النمل] ، فقوم يناسبه الغائب وأنتم يناسبه المخاطب فغلّب المخاطب على الغائب . ومنه : قوله تعالى مخاطبًا الرسول ومن معه : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) ﴾ [هود] . فاستقم أمر للمخاطب المفرد ، واسم الموصول يعنى الجماعة الغائبين ، فأتى بالفعل محملاً ضمير المخاطب المفرد ، وغلبه على ضمير الجماعة، ولم يقل: فاستقيموا مغلبًا الخطاب على الغيبة. وفى قوله تعالى: ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) ﴾ [الإسراء] . غلب المخاطب على الغيبة فى منهم، فأعاد الضمير بلفظ المخاطب ، وفى ذلك تلميح إلى أن الغائبين تبعٌ للمخاطب وهو الشيطان فى المعصية ، فكما غلبهم على أمرهم غلبهم فى الأسلوب أيضًا .

ومن التغليب: تغليب العاقل على غيره فى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) ﴾ [النور] . لما ذكر الدابة وهى شاملة للعاقل وغيره، ثم قسم، استعمل لفظ العاقل وهو (من) مُغَلّبه على من لا يعقل.

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) ﴾ [يوسف] . غلب صيغة من يعقل على ما لا يعقل من كواكب وشمس وقمر ، فقال : ﴿ سَاجِدِينَ (٤) ﴾ ، وفى الكلام لمحة بلاغية أخرى ؛ ذلك أنه لما جعلهم ساجدين ، والسجود من عمل العقلاء المؤمنين، أطلق عليهم جمع المذكر السالم الخاص بالعاقلين .

ومن التغليب : قوله تعالى عن الأرض والسماء : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) ﴾ [فصلت] . لم يقل طائعين لأنهما مثنى ، ولم يقل طائعات بجمع المؤنث بل استعمل جمع المذكر السالم مغلبًا من فيهما من الخلائق .

ومنه : تغليب الأشهر فى قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) ﴾ [الزخرف] . أراد المشرق والمغرب ، فغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين .

ولما تعرض لموقف الملاعنة بين الزوج وامرأته ختم الموقف كله بقوله : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠) ﴾ [النور] . فغلب الذكور على الإناث وقال : عليكم .

التغير :

التغير فى الشىء : التبدل . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ** ﴾ [محمد : ١٥] . والتغير alteration فى علم الجيولوجيا : هو حدوث تعديل فى التركيب المعدنى للصخور بسبب عمليات فيزيائية أو كيميائية، وبخاصة تأثير المحاليل المائية الحارة. وقد يعدل مرحلة من مراحل عمليات التحول لكنه يختلف عنها فى ضعف تأثيره وقلة امتداده وانتشاره . كما يطلق أيضًا على التغيرات الثانوية السطحية للصخور بفعل عمليات التجوية .

التغور :

لم ترد لفظة (التغور) فى القرآن الكريم ، وإنما وردت كلمة (الغار) المشتركة معها فى الجذر اللغوى . قال تعالى : ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** ﴾ [التوبة : ٤٠] . والغار : مثل البيت المنقور فى الجبل . وهو أيضًا كل منخفض من الأرض . وجمع الغار : غيران .

والتغور caverning فى علم الجيولوجيا هو تكوّن الغيران فى الصخور .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الغار . ٢ ـ المغارة . ٣ ـ الكهف .

التفاوت :

التفاوت فى اللغة مصدر من الفعل : (تفاوت) . يقال : تفاوت الشيئان ، أى : اختلفا فى التقدير . وتفاوت الرجلان : تباينا فى الفضل . وتفاوت الخلق: اختلف ولم يكن سويًا . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ** ﴾ [الملك : ٣] ، أى: لا ترى فيها شيئًا من الاختلاف وعدم التناسب، فلا عيب ولا نقص ، ولا اعوجاج ولا اضطراب فى شىء منها، بل كلها محكمة جارية على مقتضى الحكمة .

وقد استدل علماء المسلمين على أن السموات مستديرة كروية ؛ لأنه ليس فى السماء تثليث أو تربيع أو تخميس أو تسديس وغير ذلك مما فيه اختلاف بالزوايا والأضلاع ، ولا تفاوت فى السماء ، إذ الاستدارة هى الجوانب .

التفث :

التفث : الوسخ . وأصله : وسخ الظفر وغير ذلك مما شأنه أن يزال عن البدن ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ [الحج : ٢٩] ، أى : أزالوا وسخهم . ويمكن استخدام كلمة (التفث) كمصطلح طبى بنفس دلالتها اللغوية.

التفجر :

التفجر : الانفجار . يقال : تفجر الماء ونحوه تفجّرا : انبعث سائلاً . وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ ﴾ [البقرة : ٧٤] .

والتفجر Rupture هو تمزق أحد أنسجة الجسم . ويذكر الأطباء تفجر أجزاء مختلفة فى الجسم ، فالزائدة الدودية تنفجر تحت ضغط العدوى فى داخلها . والفتق تفجر فى جدار البطن، حيث يبرز جزء من الأمعاء خلال مكان ضعيف من جدار البطن ، ويحدث التفجر فى الأغشية أيضًا ، وفى كيس الجنين قبل ولادته.

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ البطن . ٢ ـ الجنين . ٣ ـ الفتق .

تفجير البحار :

يقال فى اللغة: فجر الماء فى أرضه: فتحه، وفجر الله الفجر: أظهره فانفجر. وجاء فى المعجم الوسيط: فجر الماء ونحوه : انبعث سائلاً ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [البقرة : ٦٠] . وعلى هذا فالتفجير من معانيه: الفتح والإظهار. أما تفجير البحار ـ كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾ [الانفطار] . فهو يعنى : إذا البحار امتلأت وفاضت فانفجرت وسالت مياهها وطغت . وقال المفسرون : فجرت أى : شققت جوانبها فزالت الحواجز التى بينها ، واختلط عذبها بملحها وصارت بحرًا واحدًا ، وقال الشيخ حسن الشناوى : فجرت : فتح بعضها لبعض لزوال المانع بسبب تزلزل الأرض وتصدعها واستوائها وصارت البحار السبعة بحرًا واحدًا . . . ويصح أن يكون المراد أن البحار الآن راكدة مجتمعة فإذا تفجرت تفرقت وذهبت ، وتفجير

البحار يحتمل أن يكون هو امتلاؤها وغمرها لليابسة وطغيانها على الأنهار ، كما حدث فى الطوفان فى زمن وعهد سيدنا نوح عليه السلام . كما يحتمل أن يكون هو تفجير مائها إلى عنصريه : الأوكسجين والهيدروجين ، فتحول مياهها إلى هذين الغازين ، كما يقع فى تفجير القنابل الذرية والهيدروجينية الآن .

ويحدث بين يدى الساعة تفجر مياه البحار وتركها لمستقرها من القاع التى كانت عليه، وتعلو حتى تغمر الشواطئ فتختلط مياه البحار بعضها ببعض مع مياه الأنهار، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ ﴾ [التكوير] . وذهب الشيخ محمد عبده فى (تفسير جزء عم) إلى أن المراد بتفجير البحار : إما أن يكون امتلاؤها بالماء وفيضانه منها ، وإما أن يكون ظهور النار فيها وأخذها مكان الماء بعد أن يتحول إلى بخار .

وعرف محمد الفقى تفجير البحار بأنه : « عملية إزالة العوائق التى تحجز اتصال مياهها ببعضها » . وارتأى الدكتور عبد العليم خضر ما ارتآه الشناوى من صور التفجير. يقول : « وتفجير البحار يحتمل أن يكون هو امتلاؤها وغمرها لليابسة وطغيانها على الأنهار . كما يحتمل أن يكون هو تفجير مائها إلى عنصريه: الأوكسجين والهيدروجين، فتحول مياهها إلى هذين الغازين كما كانت قبل أن يأذن الله بتجميعها وتكوين البحار منها ، كذلك يحتمل أن يكون هو تفجير ذرات هذين الغازين كما يقع فى تفجير القنابل الذرية والهيدروجينية اليوم .

وقد أمكن اليوم فى المعمل فصل ذرتى الهيدروجين عن ذرة الأكسيجين التى يتكون من ثلاثتها الماء . وعلوم البحار توصلت الآن إلى أنه يقع فى أعماق المحيطات السحيقة هيدروجين (ثقيل) ، ومن الممكن تحطيمه بفعل ضغط كهربائى (من صاعقة مثلاً) أو بفعل حرارة تندلع بصورة مفاجئة من باطن الأرض الملتهب عبر شق يحدثه انكسار فى صخور القاع النارية . فإذا حدث فى جزئيات الهيدروجين الثقيل فإن خاصية الاشتعال السريع التى يتمتع بها الهيدروجين ستحول المياه جميعًا فى المحيطات ـ وبعدها مياه الأنهار التى تتصل بها ـ نارًا وجحيمًا وتجف كلها فى وقت قصير .

أما الدكتور منصور حسب النبى فعلل تفجير البحار بسبب ما يحدث للشمس من انتفاخ وتحولها إلى عملاق أحمر ، فترتفع الحرارة بالقرب من سطح الأرض ويتحلل الماء إلى عنصريه : الهيدروجين القابل للاشتعال والأكسيجين المساعد على الاشتعال، وبهرب الغلاف الجوى للأرض لارتفاع درجة الحرارة. والله وحده أعلم.

التفخيم :

التفخيم لغة : التسمين .

اصطلاحًا: تسمين يدخل على الصوت عند النطق بالحرف فيمتلئ الفم بصداه، فيخرج جسيمًا قويًا .

والحروف من حيث التفخيم والترقيق على ثلاثة أنواع :

١ ـ نوع يفخم دائمًا .

٢ ـ نوع لا يفخم (يرقق دائمًا) .

٣ ـ نوع يجوز فيه التفخيم والترقيق .

فالنوع الذى يفخم دائمًا : تسمى حروفه : (حروف الاستعلاء) وهى مجموعة فى قولك : خص ضغط قظ .

لكن التفخيم فى هذه الحروف ليس على درجة واحدة ، بل يتفاوت تفخيمها حسب ما يتصف به الحرف من صفات قوية . فكلما زادت صفات القوة فى الحرف زادت درجته فى التفخيم ، والعكس ، فكلما قلت صفات القوة فى الحرف قلت درجته فى التفخيم . فدرجات هذه الحروف كما يلى : الطاء ، الضاد ، الصاد ، الظاء ، القاف ، الغين ، الخاء ، فالطاء هى أعلى هذه الحروف مرتبة فى التفخيم. والخاء أقلها تفخيمًا .

والنوع الذى يفخم أحيانًا : له ثلاثة أحرف :

أ ـ الألف المدية :

وهى حرف تابع لما قبله فى التفخيم والترقيق. فإذا وقعت بعد حرف مفخم فخمت. مثل : ﴿ قال ﴾ ، ﴿ طال ﴾ ، ﴿ الراشدون ﴾ .

ب ـ اللام من لفظ الجلالة: ولها حالات تفخم فيها ، مثل : ﴿ قال الله ﴾، ﴿ تالله ﴾ . [انظر حكم اللام] .

جـ ـ الراء : ولها حالات تفخم فيها أيضًا، مثل: ﴿ رأى كوكبًا ﴾، ﴿ فقد سرق ﴾ [انظر : حكم الراء] .

ـ النوع الذى لا يفخم : هو باقى الحروف الهجائية باستثناء الحروف المفخمة دائمًا والحروف التى تفخم أحيانًا ، وليس هذا موضعه . [انظر : الترقيق] .

التفريغ :

التفريغ هو جعل الشىء فارغًا ؛ أى : خاليًا . وفى التنزيل العزيز: ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا** ﴾ [القصص : ١٠] ؛ أى : فارغًا من كل شىء إلا من ذكر موسى .

ويستخدم تعبير (التفريغ بالضخ) فى علم الجيولوجيا للدلالة على تفريغ أحد الخزانات مما به من سوائل باستعمال المضخات .

التفسير :

التفسير فى اللغة : الإيضاح والتبيين ، والكشف وإظهار المعنى المعقول ، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)** ﴾ [الفرقان]. أى : بيانًا وتفصيلاً . قال الرازى : « الفسر : البيان وبابه ضرب والتفسير مثله واستفسره كذا سأله أن يفسره ». وقال ابن منظور : « الفسر : البيان. فسر الشىء يفسره بالكسر ويفسره بالضم ، فسرًا ، وفسره : أبانه ، والتفسير مثله » .

ومن هنا يتبين لنا أن التفسير يستعمل لغة فى الكشف الحسى ، وفى الكشف عن المعانى المعقولة ، لكن استعماله فى الثانى أكثر من استعماله فى الأول .

التفسير فى الاصطلاح : عرفه أبو حيان بأنه : « علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك .

ثم خرج التعريف فقال : فقولنا : علم ، هو جنس يشمل سائر العلوم ،

وقولنا : يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، هذا هو علم القراءات ، وقولنا: مدلولاتها أى مدلولات تلك الألفاظ ، هذا هو علم اللغة الذى يحتاج إليه فى هذا العلم ، وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب ، وعلم البيان وعلم البديع، وقولنا: ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب ، يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة وما دلالته عليه بالمجاز؛ فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئًا ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز، وقولنا وتتمات لذلك ، هو معرفة النسخ وسبب النزولس، وقصة توضيح بعض ما أُبهم فى القرآن ونحو ذلك».

وقال الزركشى : « هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها ، والإشارات النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها » .

وقيل : التفسير: علم يفهم به كتاب الله المنزل على محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة ، والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ .

ومن خلال هذه التعاريف السابق ذكرها يتبين لنا أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد .

تفسير أهل السنة والجماعة :

هم أهل السنة للزومهم السنة وتورعهم عن الابتداع فى الدين ؛ وهم الجماعة لأنهم جمهور الأمة وسوادها الأعظم ، ويشمل ذلك المحدثين والفقهاء ، والمفسرين ، وأئمة اللغة والبلاغة ، والقراءات ، وغيرهم ، ويجمع هؤلاء جميعًا فى التفسير ملامح رئيسية هى :

١ ـ الاعتماد فى أصول العقائد على مجرد ظواهر الكتاب والسنة ورد الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات .

٢ ـ صرف اللفظ الذى لا يجوز نسبته إلى الله عن ظاهره المستحيل عقلاً ، واعتقادًا أن هذا الظاهر غير مراد لله تعالى قطعًا .

٣ ـ إذا توقف الدفاع عن الإسلام على تأويل هذه المتشابهات وجب التأويل بما يدفع شبهة المتشبهين ويرد طعن الطاعنين .

٤ ـ إذا كان للمتشابه تأويل يفهم منه فهمًا قريبًا وجب القول به اجتماعًا ، وإذا كان له أكثر من تأويل فقد اختلف فيه على ثلاثة مذاهب :

أولاً : مذهب السلف : ويسمى مذهب « المفوضة » ، وهم الذين يقولون بتفويض معانى هذه المتشابهات إلى الله تعالى ، بعد تنزيهه تعالى عن ظواهرها المستحيلة عليه سبحانه .

ثانيًا : مذهب الخلف : ويسمى مذهب « المؤولة » وهم فريقان :

أ ـ يؤولها بصفات سمعية غير معلومة على التعيين ، ثابتة له تعالى زيادة على صفاته المعلومة ، وإليه ذهب الأشعرى وجماعة .

ب ـ يؤولها بصفات نعلمها على التعيين ، فيحمل المعنى الذى استحال ظاهره على معنى يسوغ لغة ويليق بالله عقلاً وشرعًا ، وإليه ذهب ابن برهان وجماعة .

ثالثًا : مذهب المتوسطين : وهو مذهب ابن دقيق العيد ، قال : إذا كان التأويل قريبًا من لسان العرب لم ينكر ، أو بعيدًا توقفنا عنه ، وآمنا بمعناه على الوجه الذى أريد به مع التنزيه ، وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهرًا مفهومًا من تخاطب العرب قلنا به من غير وقف .

تفسير التابعين :

من التفسير بالمأثور ما ينقل عن التابعين الذين تتلمذوا على يد الصحابة فتلقوا غالب معلوماتهم عنهم . . . وقد اعتمد هؤلاء المفسرون فى فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء فى الكتاب نفسه، وعلى ما رووه عن الصحابة، عن رسول الله ﷺ وعلى ما رووه عن الصحابة ، من تفسيرهم وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء فى كتبهم ، وعلى ما فتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر فى كتاب الله تعالى .

لما فتح الله على المسلمين الكثير من بلاد العالم فى حياة الرسول ﷺ ، وفى عهود الخلفاء الراشدين من بعده ، نأى الكثير من الصحابة عن المدينة موزعين على جميع البلاد التى دخلها الإسلام ، وقد حمل هؤلاء معهم إلى هذه البلاد التى رحلوا إليها ، ما وعوا من العلم ، وما حفظوه عن رسول الله ﷺ - فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذون العلم عنهم، وينقلونه لمن بعدهم ، فقامت فى هذه الأمصار المختلفة مدارس علمية أساتذتها الصحابة ، وتلاميذها التابعون.

واشتهر بعض هذه المدارس بالتفسير، وتتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسرين من الصحابة، فقامت مدرسة للتفسير بمكة، وأخرى بالمدينة، وثالثة بالعراق، وهذه المدارس الثلاث، هى أشهر مدارس التفسير فى الأمصار فى هذا العهد .

قال ابن تيمية: « وأما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة ؛ لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد ، وعطاء بن أبى رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وغيرهم من أصحاب ابن عباس، كطاووس ، وأبى الشعثاء ، وسعيد بن جبير ، وأمثالهم - وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود . وعلماء أهل المدينة فى التفسير ، مثل زيد بن أسلم الذى أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس » . ومنهم الحسن البصرى وعطاء بن أبى سلمة الخراسانى، وأبو عالية - وغيرهم كثير. وهؤلاء هم قدماء المفسرين وغالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة .

ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين ، كتفسير سفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح ، وشعبة بن الحجاج ، ويزيد بن هارون ، وعبد الرزاق ، وآدم ابن أبى إياس ، وإسحاق بن راهويه ، وروح بن عبادة ، وسنيد وآخرين .

وبعدهم ابن جرير الطبرى ، وكتابه من أجل التفاسير وأعظمها ، ثم ابن أبى حاتم وابن ماجه والحاكم وابن مردويه وأبو الشيخ بن حيان وابن المنذر وآخرين ، وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم ، وليس فيها غير ابن جرير ؛ فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب ، والاستنباط فهو يفوقها بذلك.

وأهم ما يميز تفسير التابعين هو احتفاظه بطابع التلقى والرواية ، كما ظهرت فى عصر التابعين نواة الخلاف المذهبى ، فظهرت بعض تفسيرات تحمل فى طياتها هذه المذاهب ـ دخل فى التفسير التابعى كثير من الإسرائيليات والنصرانيات ، وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب فى الإسلام ، وكان لا يزال عالقًا بأذهانهم من الأخبار ما لا يتصل بالأحكام الشرعية .

اختلف العلماء فى الرجوع إلى تفسير التابعين والأخذ بأقوالهم ، فنقل عن الإمام أحمد رضي الله عنه روايتان فى ذلك : رواية بالقبول ، ورواية بعدم القبول ، وذهب بعض العلماء إلى أنه لا يؤخذ بتفسير التابعى ، واختاره ابن عقيل وذلك لكثرة اختلافهم أكثر من الصحابة كما أنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التى نزل عليها القرآن فيجوز عليهم الخطأ فى فهم المراد ، وظن ما ليس بدليل دليلاً .

وقد ذهب أكثر المفسرين : إلى أنه يؤخذ بقول التابعى فى التفسير لأن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة .

وقال الدكتور الذهبى :والذى تميل إليه النفس : هو أن قول التابعى فى التفسير لا يجب الأخذ به إلا إذا كان مما لا مجال للرأى فيه .

قال ابن تيمية: قال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين ليست حجة، فكيف تكون حجة فى التفسير؟ يعنى أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم.

التفسير الاجتماعى :

رأت جمهرة من علماء الإسلام فى الهند أنه ليس بين الحياة العلمية أو بالأعم الحضارة الحديثة والإسلام تناقض وتضاد ، وأن تعاليم الإسلام ذاتها لو فهمت الفهم الصحيح ، وفسرت التفسير العلمى الحق لظهرت أنها تؤيد الحضارة والعقل والحياة المعاصرة ، بل لتشجع عليها ، وتدفع إليها ، وأن كل فكرة مغايرة لهذا القول يقولها إنسان عن الإسلام خاطئة دفع إليها الفهم الخاطئ لروح الإسلام والقرآن . . . وترى هذه الجماعة أن تحريف الإسلام وتطبيقه التطبيق السيئ أو الخاطئ عند فريق من المسلمين هو الذى أوجد مثل هذا الإشكال وآثار مثل هذا الاستفهام لأن الإسلام ليس عَدُواً للتقدم العلمى والعقلى والإنسانى والحضارى

وألا تعارض مع نصوص القرآن وأحاديث المعلم الأول محمد ﷺ . وعلى رأس هذه الجماعة من الهنود السيد أمير على، أبو الأعلى المودودى ، والسيد على أحمد خان بهادر .

وازدهرت فى أوائل القرن وخلاله حركة تجديدية مماثلة فى مصر فى المقام الأول ، والبلاد العربية الأخرى فى بقية المقام الثانى . . . الجدير بالذكر أن حركة التجديد فى مصر كانت مستقلة عن التأثر بالحركة التجديدية الهندية وبما أوحت به. . . كذلك استقلت المدرسة المصرية عن التيارات الفكرية العربية واعتمدت فى المقام الأول على القرآن ذاته ، وآراء السلف وتأملاتهم الدينية الخاصة . . . ولقد ألحت هذه الحركة على إبطال المنكرات ، لا لأن هذه المنكرات معادية للحضارة بل لأنها تتعارض والقرآن والسنة الموثوق بهما ، واحتقرت التقليد الطائش المجرد عن المبدأ للتقاليد الأوروبية ، ودعت إلى الاحتفاظ بالطابع المستقل الخاص للرجل الشرقى المسلم . وعلى هذه الأسس فسرت المدرسة المصرية القرآن الكريم وكان من أعلام هذه المدرسة الشيخ محمد عبده ، وتلميذاه محمد رشيد رضا ، ومحمد مصطفى المراغى .

التفسير الإجمالى :

وهو أن يعمد المفسر إلى آيات القرآن على ترتيبها ، فيقصد إلى معانى جعلها متتبعًا ما ترمى إليه من مقاصد ، ويكون فى عرضه لهذه المعانى قد وضعها فى إطار من العبارات التى يصوغها من ألفاظه ويستثيغها الجماهير على شرط أن يجعل المعانى تتصل ببعضها ، ولا مانع أن يأتى بين الفينة والفينة بلفظ من الألفاظ القرآنية حتى يشعر السامع أنه لم يكن بعيدًا فى تعبيره عن سياق القرآن الكريم. فهو أشبه بالترجمة المعنوية التى لا يتقيد فيها المترجم لفظًا بلفظ، ولا حرفًا بحرف، وإنما يقصد بها إلى توضيح المعانى وتجليتها فى بيان المقصود ، بحيث يكون المعنى الإجمالى مساويًا للمقصود من النص.

وتكمل له الفائدة المرجوة من ذلك بأن يذكر فى إيجاز حادثة تاريخية أو سبب نزول أو حديثًا نبويًا ، أو أثرًا عن السلف ، مما يساعد على تجلية المعنى المراد فى إيجاز .

وخير مثال لهذا النوع من التفسير ما نسمعه فى الإذاعة أو التلفزيون من تقدمة التلاوة ، إذ المقصود منه إعطاء فكرة إجمالية عما يتلوه القارئ حتى يكون السامع كاشفًا لمرامى ما يتلى عليه ، واعيًا لمقاصده ملمًا بأطرافه مدركًا لمغزاه .

وهذا النوع لم نر من أفرده بالتأليف ، كتفسير كامل للقرآن ، اللهم إلا أن تكون آية أو آيات ذكرت عرضًا فى كتاب استدعاها المقام وتطلبتها المناسبة .

التفسير التحليلى :

يقوم هذا اللون من التفسير على تحليل الألفاظ بأن يبدأ بمناسبة نزول الآية حسب ترتيبها فى التلاوة ، وكما هى مدونة فى المصحف الشريف ، ثم يفسرها بتحليل وتفصيل كاشفًا على كل ما يريد منها من معانى وأوجه ، فيحلل اللفظ من جهة اللغة العربية وأوجه استعمالاته ، وما يراد منها مما يناسب المقام، ويبين ما فى الآية من الفصاحة والبيان وأوجه الإعجاز القرآنى ، وبيان المعنى ومقاصد الشريعة من وراء هذا النص القرآنى ، وما يستخلص من النص من فوائد وعبر وأحكام ، مستعينًا على ذلك بما ورد من نص قرآنى أو سنة نبوية أو قول مأثور عن الصحابة أو التابعين واضعًا ذلك فى أسلوب يناسب المخاطبين من متخصصين أو غيرهم .

أغلب الكتب المدونة فى التفسير بالرأى هى من هذا القبيل ، وإن اختلفت مناهجها إيجازًا واتساعًا فى تطبيق هذا المنهج التحليلى ، وبعضهم ربما غلب عليه لون ثقافى خاص ، فيظهر أثره فى تفسيره ، وذلك كغلبة العلوم العقلية على الإمام الرازى، فظهر أثر ذلك فى تفسيره ، وكغلبة الفقه والأحكام على القرطبى، وكغلبة القصص والأخبار على الخازن ، وكغلبة البلاغة على أبى السعود .

وهكذا حتى أننا لا نكاد نرى تفسيرًا قد خلا من التأثر بلون ثقافة مؤلفة ، ضرورة أن القرآن معجزة قد وسع مشارب البشر ومنازعهم المختلفة ، فكشف منه ما كشف ، وما بقى كان أعظم وأرحب ، ولن يبلغ كنهه مخلوق .

تفسير الخوارج :

فرقة الخوارج من الاتجاهات المنحرفة فى التفسير ، فهم لا يتعمقون فى التأويل ، ويقفون عند حرفية ألفاظه ، وربما كانت الآية لا تنطبق على ما يقصدون إليه ولا تتصل بالموضوع الذى يستدلون عليه ، لأنهم فهموا غير المراد فمثلاً :

ـ إذا قرأ الخارجى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) ﴾ [آل عمران] . فهم أن ترك الحج كفر .

ـ وإذا قرأ : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة : ٣٨] . فهم أن القطع واجب ولو كانت السرقة درهمًا .

ـ وخرجوا على عائشة أم المؤمنين وقالوا : خالفت قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

ـ منعوا رجم الزانى ، حيث لم يرد ذكر الرجم فى القرآن .

ـ أحلوا نكاح المرأة على عمتها أو خالتها لأن تحريم ذلك لم يأت به القرآن .

ـ قالوا : إن قذف المرأة المحصنة فيه الحد ، أما قذف الرجل المحصن فلا حد فيه حيث لم ينص عليه القرآن .

إن الخوارج لا يلتفتون إلى الحديث وإلى علوم القرآن المختلفة ويكتفون بالتفسير الظاهرى الساذج ؛ لذلك فتفسيرهم برأيهم غير مقبول إلى غير ذلك مما ذهبوا إليه ، ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى بعض تفاسيرهم أهمها :

ـ « داعى العمل ليوم الأمل » لمحمد بن يوسف أطفيش .

ـ « هميان الزاد إلى دار المعاد » لأطفيش .

ـ « تيسير التفسير » لأطفيش .

التفسير بالرأى :

هو تفسير القرآن بالاجتهاد ، بعد إتقان العلوم التى يجب على المفسر أن الصحيح منه قليل جدًا ، فلذلك نشأ التفسير بالرأى تكميلاً لما لم يرد فيه نص مأثور، أو كان النص بيانًا لبعض أوجه الآية أو نحو ذلك، وقد نشأ هذا النوع بعد أن صارت العلوم اللسانية صناعة واختلط العرب بالعجم، فاحتاج الناس لهذا النوع من التفسير، وقد اختلف العلماء فى جوازه ومنعه، وإليك طرفًا من أدلة كل فريق:

المانعون : ناصرهم شيخ الإسلام ابن تيمية فهو يقول: « تفسير القرآن بالرأى

حرام» ، واستدل هو ومن على نهجه من المانعين للتفسير بالرأى بأنه قول على الله بغير علم ، وهو منهى عنه ، فالتفسير بالرأى منهى عنه ودليلهم قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [الإسراء : ٣٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)** ﴾ [البقرة] .

المجيزون : استدلوا على جواز التفسير بالرأى بنصوص كثيرة من القرآن الكريم منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)** ﴾ [محمد] ، وقوله تعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)** ﴾ [ص] .

فإن كان الاجتهاد موفقًا أى مستندًا إلى ما يجب الاستناد إليه بعيدًا عن الجهالة والضلالة فالتفسير بالرأى محمود وإلا فمذموم . . . والأمور التى يجب استناد الرأى إليها فى التفسير ذكرها الزركشى فى البرهان فقال ما ملخصه : لطالب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها الأربع :

الأول : النقل عن رسول الله ﷺ مع التحرز عن الضعيف والموضوع .

الثانى : الأخذ بقول الصحابى ، فقد قيل: إنه فى حكم المرفوع مطلقًا وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأى فيه .

الثالث : الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلا ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب .

الرابع : الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع ، وهذا النوع الرابع هو الذى دعا به النبى ﷺ لابن عباس فى قوله : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » [البخارى (١٤٣)] .

الخامس : مطابقة التفسير للمفسّر من غير زيادة لا تليق بالعام ، ولا نقص لما يحتاج إليه فى توضيح المعنى .

السادس : مراعاة التناسب بين الآيات ، فيبين وجه المناسبة ويربط بين السابق واللاحق من آيات القرآن حتى يوضح أن القرآن لا تفكك فيه وإنما هو سلسلة متصلة الحلقات يأخذ بعضها ببعض .

السابع : أن يذكر سبب نزول الآية أو الآيات إن ورد لها سبب للنزول بعد ذكر المناسبة أو قبلها حسب ما يقتضيه المقام .

الثامن : أن يبين معانى المفردات ومواقعها من الإعراب وما يتعلق بها من علوم البلاغة ثم يستنبط ما يمكن استنباطه فى حدود القوانين الشرعية .

التاسع : أن يتجنب كل ما كان من قبيل الحشو فى التفسير وكل ما يحجب نور هداية القرآن الكريم ، وأن يتحرى فيما يذكره من أحاديث وآثار حتى يصير تفسيره خاليًا من الضعيف والمردود والإسرائيليات التى تشغل الناس عن التدبر والاعتبار فى القرآن .

العاشر : أن يكون المفسر ذكيًا فطنًا يقظًا عالمًا بقانون الترجيح حتى إذا كانت الآية محتملة لأكثر من وجه أمكنه أن يرجح ويختار .

مما تقدم يتبين أن أنواع التفسير بالرأى قسمان هما :

تفسير محمود : وهو ما كان موافقًا للشرع بعيدًا عن الجهالة والضلالة تمشيًا مع قواعد اللغة العربية معتمدًا على أساليبها فى فهم النصوص القرآنية الكريمة .

تفسير مذموم : وهو تفسير القرآن بغير علم أو بحسب الهوى ، مع الجهالة بقوانين اللغة والشريعة أو الخوض فيما استأثر الله بعلمه والجزم بأن مراد الله هو كذا مع أن الله هو الذى يعلم المراد من كلامه ، ومثاله : الخوض فى المتشابهات وفواتح السور . . . وخلافه، ويدخل تحت هذا القسم المذموم كل التفاسير المنحرفة.

التفسير بالاستحسان والهوى :

ذلك ما نقله السيوطى فى الإتقان ، وربما كان قصده ؛ بالاستحسان : هو أن يستحسن وجهًا من الأوجه المحتملة دون غيره من غير دليل معتبر ؛ أما فيما يتعلق بالاستحسان الأصولى : فهو موضع خلاف الأصوليين من علماء الشريعة وأئمة المذاهب ، وهو معتمد فى المذهبين الحنفى والمالكى ، وأنكره آخرون منهم الإمام الشافعى الذى قال : « من استحسن فقد شرع » ، ومع ذلك فإننا لسنا مع الذين ينكرون الاستحسان ولا يعتبرونه مصدرًا من مصادر الشريعة ، ولنا من القناعة

والاطمئنان بأن الأخذ بالاستحسان مشروع وذلك لأنه « الاستحسان » قد يأتى علاجًا لإشكال متولد من القياس وذلك فى حالتين :

إحداهما : أن يقع تعارض بين القياس ونص من نصوص الشرع سواء كان النص من الكتاب أو السنة أو الإجماع .

وثانيتهما : أن يكون فى الأخذ بالقياس ما يؤدى إلى ضيق أو حرج ، وفى كلتا الحالتين لا مناص من الاستناد إلى مصدر آخر من الشريعة ، وهو مصدر مجانب للتعارض مع النص ، ومجانب للضيق والإحراج بسبب الاعتماد على القياس فكان ذلك هو الاستحسان .

على أن هذا الضرب من ضربى التفسير الذى يقوم على الهوى يشمل جملة أنواع من التفاسير القائمة على مجرد الرأى من غير استناد إلى دليل ومثال ذلك المعتزلة وتفاسير أخرى منحرفة .

فعلى سبيل المثال فى قوله تعالى : ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا** (١٦٤) ﴾ [النساء]، فالمعتزلة يذهبون إلى نفى صفة الكلام عن الله ، ومن أجل التوفيق بين مذهبهم وهذه الآية المتضمنة لتكليم الله موسى فقد راحوا يختلقون المعنى الزائف المصطنع ليجعلوه المقصود من التكليم ، فذهب بعضهم مثالاً إلى أن موسى هو الذى كلم الله ، فموسى بذلك فاعل ، وأما لفظ الجلالة فهو مفعول به وهو بذلك منصوب. . . وذهب آخرون منهم فى التحريف إلى أسوأ من ذلك إذ قالوا : التكليم من الكلم ، بفتح الكاف وتسكين اللام ، وهو يعنى الجرح . فالآية معناها أن الله جرح موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن .

التفسير الإشارى :

هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية لأرباب السلوك والتصوف ، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضًا . . . وقد اختلف العلماء فى التفسير الإشارى فمنهم من أجازه ومنهم من منعه :

قال الزركشى :

« فأما كلام الصوفية فى تفسير القرآن فقيل ليس تفسيرًا ، وإنما هى معان

ومواجيد يجدونها عند التلاوة ، كقول بعضهم فى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ ﴾ [التوبة : ١٢٣] ، « إن المراد النفس ، فأمرنا بقتال من يلينا لأنها أقرب شيء إلينا وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه » .

وقال التفتازانى :

« سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها ، بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم ، وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالكلية » .

وقال النسفى :

« النصوص على ظواهرها ، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطل إلحاد » .

ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشارى وبين تفسير الباطنية الملاحدة ، فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر ، بل يحضون عليه ويقولون: لابد منه أولاً ، فإذا كان استنباطًا حسنًا يوافق مقتضى ظاهره العربية وكان له شاهد يشهد لصحته من غير معارض فإنه يكون مقبولاً . ومن ذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما فى تفسير : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ ﴾ [النصر]. كما ذكرنا.

أما إذا أوغل المفسر فى الإشارات الخفية ، وادعى فهم أسرار القرآن ولم يُحكِّم الظاهر صار ضربًا من الضلالة والجهالة ، ومن ذلك: « سئل شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى عن رجل قال فى قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . إن معناه : من ذل أى من الذل ، ذى : إشارة إلى النفس ، يشف : من الشفا جواب « مَنْ » . عُ : أمر من الوعى ، فأفتى بأنه ملحد، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت: ٤٠]. قال ابن عباس : هو أن يوضع الكلام على غير موضعه .

والتفسير الإشارى له شروط : أولها : ألا يكون منافيًا للظاهر من النظم القرآنى الكريم . ثانيها : أن يكون له شاهد شرعى يؤيده . ثالثها : ألا يكون له معارض شرعى أو عقلى . رابعها : ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر .

أما عدم رفضه فلأنه غير مناف للظاهر ولا بالغ مبلغ التعسف ، وليس له ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية .

وأما عدم وجوب الأخذ به ؛ فلأنه من قبيل الوجدانيات ، والوجدانيات لا تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان ، وإنما هى أمر يجده الصوفى من نفسه وسر بينه وبين ربه ، فله أن يأخذ به ويعمل على مقتضاه دون أن يلزم به أحدًا من الناس سواه .

أهم كتب التفسير الإشارى :

١ ـ تفسير القرآن العظيم للتسترى .

٢ ـ حقائق التفسير لأبى عبد الرحمن السلمى .

٣ ـ عرائس البيان فى حقائق القرآن لأبى محمد الشيرازى .

٤ ـ التأويلات النجمية لنجم الدين وايه ، وعلاء الدين السمنانى .

٥ ـ التفسير المنسوب إلى ابن عربى .

تفسير الشيعة :

الشيعة : هم الذين يزعمون أنهم أتباع على بن أبى طالب ، والشيعة منهم المعتدلون (كالزيدية) ومنهم الغلاة المارقون (كالاثنا عشرية) ، وتختلف نظرة كل فريق منهم للقرآن بحسب ما يدين من عقائد . وإليك مناهج أشهر فرقهم فى التفسير :

الزيدية : وهم أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وعقائدهم لا تختلف كثيرًا عن عقائد أهل السنة والجماعة. فهم يفسرون حياة الشهداء بالحياة الحقيقية، وهم أيضًا ينكرون القول بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء ، ورؤية الله فى الآخرة صحيحة . . . وأشهر مؤلفاتهم : « فتح القدير » : للشوكانى .

الإسماعيلية : ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وهم يلقبون بالباطنية لأنهم حملوا معانى القرآن على المعانى الباطنية دون المعانى الظاهرية ، وهذا التأويل ليس ثابتًا عندهم بل لكل أهل زمان تأويل خاص بهم والتأويل خاص

بالأئمة دون غيرهم منحهم الله إياه ... وليس لهذه الطائفة كتب مستقلة فى التفسير وإنما الموجود لهم نصوص متفرقة فى بطون كتبهم ، وهذه النصوص تتضمن تأويلات منحرفة للقرآن منها على سبيل المثال تأويل « الوضوء » بموالاة الإمام ، « الصلاة » بالرسول ، « الصفا » بالنبى ، « المروة » بعلى ، وأنه لا وجود لكلمتى « الله ـ محمد » ... ولا يشك عاقل فى كفر هذه الطائفة لأن غرضها واضح وهو إفساد الدين ، وهم ينقسمون إلى طوائف عديدة منهم البابية والبهائية، والقاديانية ، ولهم صلات وثيقة باليهود تخطيطًا وتمويلاً وتحريكًا.

الاثنا عشرية : سموا بذلك لأنهم يعتقدون ويؤمنون بإمامة اثنى عشر إمامًا من أهل البيت ، وأنهم معصومون . ولعقيدتهم الاثنا عشرية أثر واضح فى تفسيرهم للقرآن وبالأخص عقيدة الإمامة، ونتج عن ذلك موقفان لهم من القرآن ؛ كلاهما أسوأ من الآخر ، وعلى هديهما فسروا القرآن وهما :

١ ـ تحريف القرآن : فجمهور المفسرين منهم اعتقدوا أن القرآن الذى بين أيدينا اليوم ليس هو كما أنزله الله ، والقرآن الصحيح الذى جمعه على بن أبى طالب بإملاء النبى ﷺ وتوارثه الأئمة من بعده ، وهو مثل قرآننا ثلاث مرات ، وليس فيه حرف واحد من قرآننا ـ وأولوا قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر] . بأنا له لحافظون عند الأئمة من آل البيت .

٢ ـ التفسير الباطنى : وهو أسوأ من سابقه فهم يعتقدون أن للقرآن ظهرًا وبطنًا، وأن لكل آية سبعة أبطن ، ويبالغ بعضهم إلى سبعين وسبعمائة ، بل وسبعين ألفًا . والإيمان بالباطن واجب كالإيمان بالظاهر . وهم بذلك قد التقوا بالملاحدة من الباطنية ... ومثال تأويلاتهم : أن لفظ الجلالة والرب والإله يراد به حسب الباطن الإمام ... ففى قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ** ﴾ [الزخرف : ٨٤]، وقوله : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ [الحديد : ٤]. فقالوا : إنه على ... أهم مؤلفاتهم : « أصول الكافى » للكلينى ... « تفسير القمى » لعلى بن إبراهيم القمى ... « الصافى » : لملا محسن الكاشانى .

تفسير الصحابة :

من التفسير بالمأثور ما ينقل عن الصحابة فإن لم يوجد فى القرآن ، ولا فى

١١/٤٩٧/ت

السنة ، رجعنا إلى ما صح وثبت عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ، فإنهم أدرى بتفسير القرآن الكريم ، فقد بين لهم النبى ﷺ معانى القرآن ، وشرح لهم مجمله وأزال مشكله ، وأيضًا هم أعلم بتفسيره ، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التى أحاطت بنزول القرآن الكريم .

قال الحاكم فى المستدرك : « إن تفسير الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل له حكم المرفوع » وعقب الشيخ الزرقانى على قول الحاكم فقال : « ووجهة نظر الحاكم ومن وافقه أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ قد شاهدوا الوحى والتنزيل وعرفوا وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معانى الكتاب ، ولهم من سلامة فطرتهم ، وصفاء نفوسهم ، وعلو كعبهم فى الفصاحة والبيان ، ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله ، وما يجعلهم يوقنون بمراده من تنزيله وهداه » .

وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى ، وعبد الله ابن الزبير.

أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم على بن أبى طالب ، والرواية عن الثلاثة قليلة جدًا ، والسبب فى ذلك تقدم وفاتهم ، كما أن ذلك هو السبب فى قلة رواية أبى بكر رضي الله عنه للحديث وانشغاله بمهام الخلافة .

أما ابن مسعود فروى عنه أكثر مما روى عن على ، وقد أخرج ابن جرير عنه أنه قال : « والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته » .

وأما ابن عباس فهو ترجمان القرآن الذى دعا له النبى ﷺ فقال : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » [البخارى (١٤٣)] .

ومن أمثلة تفسير الصحابة ما روى عن ابن عمر أن رجلاً أتاه يسأله عن معنى قوله تعالى : ﴿ **السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا** ﴾ [الأنبياء : ٣٠]. فقال: اذهب إلى ابن عباس، فسله ثم تعال أخبرنى ، فذهب فسأله ، فقال : كانت السموات

١١/٤٩٧/ت

رتقًا لا تمطر وكانت الأرض رتقًا لا تنبت ـ ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات ـ فرجع إلى ابن عمر فأخبره ، فقال : قد كنت أقول : « ما يعجبنى جراءة ابن عباس على تفسير القرآن . فالآن قد علمت أنه أوتى علمًا » .

وروى البخارى فى صحيحه بسنده من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: (كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد فى نفسه ، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم ، فدعانى ذات يوم، فأدخلنى معهم، فما رأيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم، فقال: ما تقولون فى قول الله تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** ① ﴾ [النصر] . فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ، ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئًا فقال لى: أكذلك تقول يا بن عباس ؟ فقلت: لا. فقال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** ① ﴾ [النصر]، وذلك علامة أجلك ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ③ ﴾ [النصر] . فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول) [البخارى (٤٢٩٤)].

وأما الباقى من العشرة فمع شهرتهم فى التفسير كانوا أقل من الأربعة الذين قبلهم وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء العشرة ، شىء من التفسير بيد أنه قليل . منهم أنس ، وأبو هريرة ، وابن عمر ، وجابر ، وعمرو بن العاص ، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين .

حكم أو قيمة التفسير المأثور عن الصحابة : له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول،وكل ما ليس للرأى فيه مجال . . . وما حكم عليه بأنه من قبيل المرفوع لا يجوز رده اتفاقًا، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلى غيره بأية حال. . . وما حكم عليه بالوقف ، تختلف فيه أنظار العلماء فمنهم من أجازه ومنهم من نهى عنه .

ويتميز تفسير الصحابة بأنه فسر ما غمض فهمه من القرآن ـ وقلة الاختلاف بينهم فى فهم معانيه ـ واقتصارهم على توضيح المعنى اللغوى الذى فهموه بأخصر لفظ، فيكتفون بالمعنى الإجمالى دون التفصيلى ـ لندرة الاستنباط العلمى للأحكام الفقهية .

التفسير الصوفى :

أصحاب هذا اللون فى المقام الأول هم الصوفية ، والصوفية فى حقيقتها حب مطلق لا يتناهى فى ذات الله ، لكن هذه الفكرة قد تحولت بفعل أسباب شتى من الجهل والتعصب وجنوح التفكير وغيرها إلى ما يخرج بصاحبها عن صراط الإسلام ، وقد ظهر من بين أئمة التصوف أفراد شاطحون غلاة قد ذهبوا فى تفسير بعض المفردات من القرآن بما يوافق هواهم المسرف الجانح ، ومذهبهم فى مثل هذا التفسير لا يقوم إلا على الهوى والضلال أو الرأى الفاسد المردود، ومن بين هؤلاء الأئمة المتصوفين كل من ابن عربى والحلاج وأبو عبد الرحمن السلمى وغيرهم .

ويذهب أهل التصوف إلى أن التفسير وجهان : وجه يدركه علماء الرسوم الذين يعولون على المأثور ، ويستندون فى أقوالهم إلى المكتوب من القول من غير إجهاد للبصيرة التى تنفذ إلى عميق القرآن لتخرج ما فيه من مكنون المعانى مما لا يدركه غير المتصوفين وذلك هو الوجه الآخر للتفسير .

وثمة ضرب من التفسير : ابتدعه المتصوفون وهو المسمى بالتفسير الإشارى ، وهو تفسير يقوم على الشطح فى الذهن والجنوح فى التفكير فلا يرده ضوابط من العقيدة أو الشرع . فهم يعتقدون بأن الله موجود وأن كل ما فى الوجود مظاهر له فالوجود وحدة واحدة أساسها الله .

ومن ذلك أنهم يدافعون عن عبادة بنى إسرائيل للعجل بقولهم : « إن عجل بنى إسرائيل هو أحد المظاهر التى اتخذها الله وحل فيها » .

ومن ذلك فسروا قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** (١٥٦) ﴾ [البقرة]، ﴿ **إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** (١١) ﴾ [الروم]، ﴿ **إِلَيْهِ الْمَصِيرُ** (٣) ﴾ [غافر]، أنهم اعتقدوا أنهم سيصلون إلى اتحاد حقيقى فى الذات العلية .

وقالوا : ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع واعتمدوا هذا القول وراحوا يفتشون عن البواطن ويدعون الظواهر لغيرهم. ومن تفاسيرهم :

ـ تفسير القرآن العظيم : للتسترى .

ـ عرائس البيان فى حقائق القرآن : للتسترى .

ـ التفسير المنسوب لابن عربى وحقيقته للقاشانى .

التفسير العصرى :

إن التفسير العصرى لم يعتمد على ما قاله الفقهاء ، ورجال المذاهب الدينية والفكرية فى الماضى ، ولم يتقيدوا بحرفية أسباب النزول ، ولا بالمعطيات البلاغية والنحوية والفنية ولا بالأحاديث الضعيفة ، وغير الموثوقة ، ولا بما جاء به المتصوفة ورجال الأحزاب السياسية الدينية ، ولا بالقواعد الجامدة التى درج عليها كثير من العلماء والمفكرين ورجال الدين ، وإنما اعتمدوا على العقل أولاً ، كما اعتمد المعتزلة ، وعلى النظريات التاريخية والاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية والفكرية فى الشرق والغرب ، ونتائج العلوم الثابتة ومقتضيات العصر ومتطلباته،وكذلك اعتمدوا على فكرة التوفيق بين جوهر الشريعة ومصلحة الإنسان العليا ولا شك أنهم أخطؤوا فى بعض الاجتهادات ، وأصابوا فى بعضها الآخر .

التفسير العقلى :

كان مجاهد رضي الله عنه يعطى عقله حرية واسعة فى فهم بعض النصوص القرآنية التى يبدو ظاهرها بعيدًا فإذا مر بنص قرآنى من هذا القبيل وجدناه ينزله بكل صراحة ووضوح على التشبيه والتمثيل ، وتلك الخطة كانت فيما بعد مبدأ معترفًا به ومقررًا لدى المعتزلة فى تفسير القرآن بالنسبة لمثل هذه النصوص .

ولعل مثل هذا المسلك من مجاهد هو الذى جعل بعض المتورعين الذين كانوا يتحرجون من القول فى القرآن برأيهم يتقون تفسيره ويلومونه على قوله فى القرآن الكريم بمثل هذه الحرية الواسعة فى الرأى ، ومهما يكن من شىء فمجاهد رضي الله عنه إمام فى التفسير غير مدافع ، وليس فى إعطائه لنفسه مثل هذه الحرية ما يغض من قيمته أو يقلل مكانته ، ولابد لكى يكون التفسير بالعقل مقبولاً من ثلاثة شروط :

١ ـ العلم باللغة علمًا سليمًا لكى يدرك معانى التصرف البيانى فى القرآن .

٢ ـ ألا يخالف المأثور عن النبى ﷺ إذ يكون مخالفًا للمبين الأول للقرآن وهو النبى ﷺ .

٣ ـ ألا يتعصب لفكرة أو مذهب ، ويخضع القرآن لما يتعصب له فيكون تفسيره خاليًا من تأثير الهوى . . . والله أعلم .

التفسير العلمى :

هو التفسير الذى يحكم الاصطلاحات العلمية فى عبارات القرآن ويجتهد فى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية . . . وقد وقع هذا النوع من التفسير واتسع القول فى احتواء القرآن كل العلوم ما كان منها وما يكون ، فالقرآن فى نظر أصحاب هذه الطريقة يشمل إلى جانب العلوم الدينية الاعتقادية والعملية ، سائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها وتعدد ألوانها .

يذكر أصحاب التفسير العلمى أن تفسير القرآن على وفق ذلك المنهج يثبت إعجازًا آخر من أوجه إعجاز القرآن الكريم ، ذلكم هو الإعجاز العلمى، كيف لا والقرآن دعا الناس كثيرًا إلى النظر فى الكون ليصلوا من الكون إلى مكونه وليستدلوا بالوجود على موجده وكفى بتفسير « جواهر القرآن الكريم » للشيخ طنطاوى جوهرى إذ تجد فيه ما لا تجده إلا فى أخص كتب العلوم الحديثة وأدقها .

ويقول الرافضون لذلك المنهج: إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة أما ما يصل إليه البحث الإنسانى أيا كانت الأدوات المتاحة له فهى حقائق غير نهائية ولا قاطعة وهى مقيدة بحدود تجاربه وظروف هذه التجارب وأدواتها فمن الخطأ المنهجى ـ بحكم المنهج العلمى الإنسانى ذاته ـ أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية ، وهى ما يصل إليه العلم البشرى .

* والحق فى القول بالوسط بين المذهبين فلا رفض يمنع من :

١ ـ إدراك وجوه جديدة للإعجاز فى القرآن من ناحية إثبات التوافق بين حقائقه النهائية القاطعة وبين ما يثبت من الحقائق العلمية التى لا يقبل ثبوتها أى من أنواع الشك.

٢ ـ دفع مزاعم القائلين بأن هناك عداوة بين العلم والدين .

٣ ـ استمالة غير المسلمين إلى الإسلام من هذا الطريق ببيان إعجازه العلمى لهم .

٤ ـ الحث على الانتفاع بقوى الكون ومواهبه .

٥ ـ امتلاء النفس إيمانًا بعظمة الله وقدرته حينما يقف الإنسان فى تفسير كلام الله على خواص الأشياء ودقائق المخلوقات حسب ما تصورها علوم الكون .

* فلا رفض يمنع هذا ولا تسليم مطلق للتفسير العلمى لأن :

١ ـ إعجاز القرآن ثابت وهو غنى عن أن يسلك فى بيانه هذا المسلك المتكلف الذى قد يذهب بالإعجاز هناك من ألوان الإعجاز غير هذا ما يشهد للقرآن بأنه كتاب الله المنزل على محمد ﷺ .

٢ ـ أن القرآن الكريم يدعو عامة الناس وخاصتهم إلى النظر فى الكون للعظة والعبرة ، وليهتدى بها إلى خالقها وموجدها وليس إلى بيان دقائقها وكشف علومها.

٣ ـ أن تناول القرآن بهذا المنهج وبذلك المدى يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التى تحتملها ألفاظ نص القرآن الكريم .

ومن ثم فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند ثبوت تلك النظرية .

فلا رفض للتفسير العلمى مطلقًا ولا تأييد وتسليم له مطلقين . بل بين حقيقتين حقيقة قرآنية ثابتة بالنص الذى لا يقبل الشك وحقيقة علمية ثابتة بالتجربة والمشاهدة القطعيين .

فالعلم الحديث قد أثبت أنه لا توجد حقيقة كونية واحدة تتصادم مع ما جاء فى القرآن . . . إن القرآن الكريم لا يتصادم مع قوانين الكون . . . أو مع خلق الكون . ولكن هذا التصادم المزعوم يأتى أحيانًا عن حقيقة علمية كاذبة يحاول الناس استغلالها ضد القرآن .

١١/٤٩٧/ت

لهذا فلا بأس من إيراد حقائق علمية ثابتة لا تقبل الشك عند تناول النص القرآنى مع إدراك معنى النص وفهمه فهمًا سليمًا خاليًا من الشوائب والمؤثرات الخارجية أو الميل به والانحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية وهذا أيضًا مشروط بـ:

١ ـ ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإعجاز.

٢ ـ أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة ويلفتهم إلى جلال القرآن ويحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون الذى سخره الله لنا انتفاعًا يعيد للأمة الإسلامية مجدها .

٣ ـ أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الدينى لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها وبيان القرآن الكريم للحقائق العلمية الثابتة .

التفسير الفقهى :

لما توفى ﷺ وتولى فقهاء الصحابة توجيه الأمة بقيادة الخلفاء الراشدين وجدت قضايا لم تسبق لهم كان القرآن ملاذًا لهم لاستنباط الأحكام الشرعية للقضايا الجديدة ، فيجمعون على رأى فيها وقلما يختلفون عند التعارض .

ومثال ذلك التعارض نحو عدة الحامل المتوفى عنها زوجها، أهى وضع الحمل، أم مضى أربعة أشهر وعشرًا أم أبعد الأجلين منهما ؟ حيث قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**﴾ [البقرة : ٢٣٤]، وقال: ﴿ **وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾ [الطلاق : ٤] .

فكانت هذه الأحوال على قلتها بداية الخلاف الفقهى فى فهم آيات الأحكام ، فلما كان عهد الأئمة الفقهاء الأربعة ـ الإمام أبى حنيفة ، والإمام مالك ، والإمام الشافعى ، والإمام أحمد بن حنبل ، واتخذ كل إمام أصولاً لاستنباط الأحكام فى مذهبه وكثرت الأحداث وتشعبت المسائل وازدادت وجوه الاختلاف فى فهم بعض الآيات لتفاوت وجوه الدلالة فيها دون تعصب لمذهب بل استمساكًا بما يرى الفقيه أنه الحق . ولا يجد غضاضة إذا عرف الحق لدى غيره أن يرجع إليه .

وظل الأمر حتى جاء عصر التقليد والتعصب المذهبى ، فقصر أتباع الأئمة جهودهم على توضيح مذهبهم والانتصار له ، ولو كان ذلك بحمل الآيات على المعانى المرجوحة البعيدة ونشأ من هذا تفسير فقهى خاص لآيات الأحكام فى القرآن، يشتد التعصب المذهبى فيه أحيانًا ، ويخف أخرى .

ومن أشهر كتبه : « أحكام القرآن » للجصاص ، « أحكام القرآن » لابن عربى ، « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى ، « الإكليل فى أحكام التنزيل » للسيوطى، « تفسير آيات الأحكام » للشيخ مناع القطان ، « أضواء البيان » للشيخ محمد الشنقيطى .

التفسير الفلسفى :

نشطت الحركة العلمية الإسلامية فى القرن الثانى الهجرى ، وترجمت ثقافات الأمم الأخرى إلى العربية ومن بينها الكتب الفلسفية ، واطلع عليها المسلمون وانقسموا فى أمرها فريقين : الأول : أنكرها لأنها تتعارض مع الدين ولا تتفق وروح الإسلام ومنهم الإمام الغزالى ، وفخر الدين الرازى ، والفريق الثانى : أعجب بها ظنًا منه أنه يستطيع أن يوفق بين الحكمة والعقيدة أو بين الفلسفة والدين ومنهم ابن سينا والفارابى، وجماعة إخوان الصفا وكان لكلا الفريقين كتب ومؤلفات ، والذى يعنينا فى هذا الصدد وجهة نظر الفريق الثانى والصورة التى فسر بها القرآن فى ضوء فلسفته .

كَتَبَ الفارابى « فصول الحكم » وفيه تعرض لتفسير عدد من الآيات لا القرآن كله وحاول من جملة ما حاول أن ينقل الفكر الأفلاطونى المبنى على القول بقدم العالم إلى القرآن واحتج بقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ** ﴾ [الحديد : ٣] . فقال: إنه الأول من جهة أنه منه ، ويصدر عنه كل موجود لغيره ، وهو أول من جهة أنه أول بالوجود لغاية قربه منه ، أول من جهة أن كل زمانى ينسب إليه يكون ، فقد وجد زمان لم يوجد معه ذلك الشىء . ووجد إذ وجد معه لا فيه . . . وهو آخر لأن الأشياء إذا لوحظت ونسبت إليه أسبابها ومباديها وقف عند المنسوب ، فهو آخر لأنه الغاية الحقيقية فى كل طلب . فالغاية مثل السعادة فى قولك لم

١٢/٥٠٨/ت

شربت الماء ؟ فتقول: لتغيير المزاج. فيقال : ولما أردت أن يتغير المزاج ؟ فتقول : للصحة . فيقال : لم طلبت الصحة ؟ فتقول : للسعادة والخير ـ ثم لا يورد عليه سؤال يجب أن يجاب عنه لأن السعادة والخير يطلب لذاته لا لغيره . . . فهو المعشوق الأول ، فلذلك هو آخر كل غاية ، أول فى الفكرة آخر فى الحصول هو آخر من جهة أن كل زمان يتأخر عنه ، ولا يوجد زمان متأخر عن الحق .

ولا يختلف أسلوب رسائل إخوان الصفا وابن سينا عن أسلوب الفارابى وكلاهما تكلم فى القرآن كلامًا ظاهره العربية وباطنه العجمة والظلام .

ونستطيع أن نعد هذا اللون من التفسير الفلسفى الذى هو أقرب إلى الألغاز منه إلى الكلام العربى الواضح لونًا من ألوان التفسير بالرأى المذموم ؛ لأنه أبعدنا عن فهم كلام الله وتدبر آياته .

تفسير القرآن بالسنة :

هو أحد أنواع التفسير بالمأثور ، فإن لم يوجد تفسير للقرآن فى القرآن فليبحث عما ثبت وصح فى السنة ؛ فإنها شارحة ومبينة للقرآن ، قال تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** (٤٤) ﴾ [النحل] .

وعن المقدام بن معد يكرب : أن رسول الله ﷺ قال : « ألا إننى أوتيت الكتاب ومثله معه » [أبو داود (٤٦٠٤) ، وأحمد ٤/ ١٣١] . قال ابن الأثير فى قوله: « أوتيت الكتاب ومثله معه » وجهان :

أحدهما : أن معناه : أنه أوتى من الوحى الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر المتلو .

الثانى : أنه أوتى الكتاب وحيًا يتلى ، وأوتى من البيان مثله ، أى أذن له أن يبين ما فى الكتاب فيعم ويخص ، ويزيد عليه ، ويشرح مما فى الكتاب ، فيكون فى وجوب العمل به ، ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن .

وفى حديث معاذ حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قال له: « بم تحكم؟» قال: بكتاب الله، قال ﷺ : « فإن لم تجد ؟ » قال : بسنة رسول الله ﷺ ،

قال ﷺ : « فإن لم تجد ؟ » قال : أجتهد ورأيى ، فضرب فى صدره وقال : «الحمد لله الذى وفق رسول رسوله لما يرضى رسوله » [أبو داود (٣٥٩٢) ، وأحمد ٥/ ٢٣٠] .

وهذا النوع من التفسير المنقول عن النبى ﷺ وهو الطراز المعلم ، ويجب الاعتماد فى هذا النوع على الأحاديث الصحاح والحسان ، وتجنب الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، فقد اختلق على النبى فى تفسير القرآن كما اختلق عليه فى غيره .

ومن ذلك أمثلة كثيرة كتفسير : ﴿ **الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾ باليهود ، ﴿ **الضَّالِّينَ (٧)** ﴾ بالنصارى فى سورة الفاتحة . عن عدى بن حاتم ، قال رسول الله ﷺ : « إن المغضوب عليهم هم : اليهود ، وإن الضالين هم : النصارى » [الترمذى (٢٩٥٣) ، وأحمد ٤/ ٣٧٨] .

ومن ذلك عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة الوسطى صلاة العصر » [مسلم (٦٢٨/ ٢٠٦) ، والترمذى (٢٩٨٥)] .

تفسير القرآن بالقرآن :

هو تفسير بعض آيات القرآن بما ورد فى القرآن نفسه فإن القرآن يفسر بعضه بعضًا ، فما أجمل فى مكان قد فسر وبين فى مكان آخر وما أوجز فى موضع قد بسط وبين فى مكان آخر،وهو أحد أنواع التفسير بالمأثور.ولذلك أمثلة كثيرة منها:

قوله تعالى : فى سورة الفاتحة : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧)** ﴾ [الفاتحة] . فقد فسر المنعم عليهم بقوله سبحانه : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)** ﴾ [النساء] .

وقوله تعالى : ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)** ﴾ [البقرة] . فقد فسرت الكلمات فى آية أخرى . قال تعالى : ﴿ **قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)** ﴾ [الأعراف] .

١٢/٥٠٨/ت

وقوله تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً (٧) ﴾ [الواقعة] . فقد فُسر بما بعده : ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) ﴾ [الواقعة] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) ﴾ [المعارج] . فقد فسر بما بعده : ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) ﴾ [المعارج] . إلى غير ذلك .

تفسير المعتزلة :

هم أتباع واصل بن عطاء ولمذهبهم أصول خمسة هى : التوحيد ـ العدل ـ الوعد والوعيد ـ المنزلة بين المنزلتين ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ومن لم يحقق هذه الأصول فليس بمعتزلى ونظروا للقرآن من خلال عقيدتهم لذلك :

١ ـ اعتمدوا على العقل أكثر من النقل بل ردوا كثيرًا من صحيح النقل .

٢ ـ أنكروا الأحاديث الصحيحة فإذا وجدوا حديثًا يناقض ما اعتمدوه من قواعدهم أنكروه .

٣ ـ لا ينكرون من التفسير المأثور إلا ما يؤيد بدعتهم ولو كان ضعيفًا .

٤ ـ ادعاؤهم أن كل محاولة فى التفسير مرادة لله تعالى .

٥ ـ اللغة عندهم هى العمدة فى التفسير بما يوافق مذهبهم .

٦ ـ أحيانًا يردون القراءات المتواترة التى تنافى مذهبهم ويرجعون لقراءات شاذة .

٧ ـ ينكرون حقائق دينية ثابتة مثل السحر والجن وكرامات الأولياء .

ومن تفاسيرهم :

ـ الكشاف للزمخشرى .

ـ تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضى عبد الجبار .

ـ تفسير أبى مسلم محمد بن بحر الأصفهانى .

ـ غرر الفوائد ودرر القلائد « أمالى » الشريف الرضى .

التفسير المقارن :

هو أن يعمد الباحث إلى بعض الآيات القرآنية أو إلى سورة معينة ويستكشف آراء المفسرين فيها ، ويوازن بين ما جاء فى كل كتاب ويسلك فى تفسيره كل الآيات أو السور موضوع البحث ثم يقارن بين ما ورد فيها ، وأن كلاً قد تأثر بالفن الذى غلب عليه فهذا قد أكثر من تحليل الألفاظ ، وهذا فى الإعراب ، وهذا فى الفقه وهذا فى البلاغة.

وبالجملة : فهو عبارة عن مقارنة نصوص كتب التفسير فى موضوع واحد بعضها ببعض بهدف معرفة منهج كل مفسر فى كتابه والواجهة التى ينتهجها فى مهمته للقرآن الكريم، وذلك كآيات الحج فى سورته أو آية الصيام فى سورة البقرة إذا عرضت على أقوال المفسرين سلفًا وخلفًا، وفى كتب المأثور أو الرأى المحمود.

التفسير بالمأثور :

يسميه بعضهم التفسير بالرواية ، وتعريفه : هو الذى يعتمد على صحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن ؛ أو بالسنة لأنها جاءت مبينة لكتاب الله ، أو بما روى عن الصحابة لأنهم أعلم الناس بكتاب الله ، أو بما قاله كبار التابعين لأنهم تلقوا ذلك غالبًا عن الصحابة وعلى هذه الأنواع الأربعة يدور التفسير بالمأثور .

إن شرط المفسر قبل كل شىء أن ينظر فى كتاب الله نفسه ، فيجمع ما تكرر منه فى موضوع واحد ، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهبًا على معرفة ما جاء موجزًا ، وبما جاء مبينًا على ما جاء مجملاً ، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن ، وفهم مراد الله بما جاء عن الله .

التفسير الموضوعى :

يراد به أمران بينهما ارتباط وهما ؛ الأول : جمع الأشباه والنظائر فى القرآن حسب مادة الكلمة اللغوية ثم ترتيبها ترتيبًا معجميًا ؛ والثانى : ذكر الموضوع ثم جمع الآيات المتفرقة فى سور القرآن مما لها علاقة به سواء اشتركت معه فى اللفظ أو المعنى أو الموضوع مثل موضوع : « المرأة فى القرآن » ... أو « اليهود فى ضوء القرآن » .

وهذا النوع لا شك أنه عظيم الفائدة لإذاعته على الناس بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن من أنواع الهداية لأنه علاج لكل مشاكل الحياة .

والمفسر هنا له طريقتان فى التفسير أحدهما أشهر وأيسر من الأخرى وهما :

١ ـ أن يجعل السورة القرآنية وحدة متكاملة هدفها واحد وإن تعددت موضوعاتها.

٢ ـ أن يجمع الآيات القرآنية ذات الهدف المشترك ويرتبها على حسب النزول مع الوقوف على أسباب النزول ويتناولها بالشرح والتعليق والاستنباط ، وهذه هى الأشهر وهى المعمول بها فى مجال الأبحاث العلمية الموضوعية.

وطريقة البحث كما يلى :

١ ـ يجمع الباحث أو المفسر الآيات القرآنية التى تخدم موضوعه مستعينًا بحفظه أو بالمصحف يتلوه فيستخرجها أو ببعض الكتب التى عنيت بجمع الآيات تحت عنوان واحد مثل كتاب: « المفردات » للراغب الأصفهانى ، وكتاب «إصلاح الوجوه والنظائر » للدامغانى .

٢ ـ ثم ترتب هذه الآيات حسب النزول ما أمكن .

٣ ـ العمل على إزالة ما قد يكون بين الآيات من موهم الاختلاف والتناقض.

٤ ـ تفسير الآيات أثناء عرضها تفسيراً يفهم منه الحكمة فى إيراد الآيات وسبب نزولها .

٥ ـ إخراج الموضوع فى صورة متكاملة تامة البناء والأحكام واضعًا نصب عينيه أنه يبرز للناس طريقًا من طرق القرآن وإرشاداته التى هى أقوم الطرق وأعدلها، ويكون هدفه الأسمى ـ إظهار محاسن القرآن لخدمة الأفراد والمجتمع الإسلامى .

ومن هذه الكتب : « التبيان فى أقسام القرآن » لابن القيم ، « الصبر فى القرآن » للدكتور يوسف القرضاوى .

تفييض الماء :

تفييض الماء : تسييله حتى يصل حد الفيضان . ولم ترد كلمة « التفييض » فى القرآن الكريم ، وإنما وردت كلمات أخرى تشترك معها فى الجذر اللغوى مثل: تفيض ﴿ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ [المائدة : ٨٣] ، و﴿ أَفِيضُوا ﴾ كما فى قوله تعالى : ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾ [الأعراف : ٥٠] .

وتفييض الماء فى علم الجيولوجيا: هو إحدى عمليات الإنتاج الثانوى للنفط ، التى يتم فيها الاستعاضة الثانوية عن الضغوط الجوفية للمكمن البترولى ، ويكون ذلك بحقن مياه معالجة إلى بعض الآبار الخاصة المحفورة داخل أى مكمن نفطى، بهدف إحداث ضغط مائى بالمكمن لدفع كميات إضافية من الزيت خارج الصخور الحاوية له إلى الآبار المنتجة .

التقدير :

التقدير فى اللغة على وجوه من المعانى ، أحدها : التروية والتفكير فى تسوية أمر وتهيئته . وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ [سبأ : ١١] . والثانى : تبيان مقدار الشىء . والثالث : تقدير الشىء أى : قياسه وتحديد مقداره .

وتشير كتب التفسير إلى أن تقدير الأشياء يعنى إيجاد كل شىء على قدر مخصوص وتقدير معين فى ذاته وخصائصه. والقدر تحديد كل محدود بحده الذى يوجد به . وفى القرآن الكريم : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾ [الفرقان]. ويقول سيد قطب فى ذلك : « فقدره تقديراً : قدّر حجمه وشكله ، وقدر وظيفته وعمله، وقدر زمانه ومكانه، وقدر تناسقه مع غيره من أفراد هذا الوجود الكبير ».

والتقدير فى علم البيئة يعنى : أن الله خلق كل شىء بأن جعله بمقادير محددة وصفات معينة ، بحيث تكفل هذه المقادير وتلك الصفات جميع المستلزمات التى توفر سبل الحياة الملائمة للإنسان وغيره من الأحياء الأخرى التى تشاركه فى الحياة على سطح الأرض . كما يعنى التقدير أن كل عنصر من عناصر البيئة أعطاه الله خصائصه الكمية والنوعية والوظيفية ، وحدد له علاقته بالعناصر الأخرى . ويعنى التقدير أيضًا : دقة الخلق ، ودقة بناء العلاقات الترابطية التفاعلية بين عناصر البيئة

من ماء وهواء وتربة وطاقة وأحياء ، وفقًا للنواميس الكونية الإلهية التى تعطى للمنظومة البيئية توازنها وقدراتها على إعالة الحياة ، وهى الغاية الأساسية التى خلقت من أجلها البيئة .

ويظهر التقدير الدقيق فى كل مكوّن من مكونات البيئة من حولنا . فحجم الأرض وكتلتها وميلها على محورها وموقعها من الشمس والقمر ، وانتظام دورتها حول نفسها وحول الشمس . . . هذا كله محسوب حسابًا دقيقًا لصلاحية الأرض للحياة . ومساحة المحيطات المالحة ، ومساحة اليابسة محسوبتان بدقة لحفظ جو الأرض غير آسن وغير جاف . وتوزيع عناصر الهواء من أكسيجين ونيتروجين وثانى أكسيد الكربون وغير ذلك محسوب حسابًا دقيقًا لا يخطئ لحفظ الحياة .

والتقدير ـ كمصطلح طبى ـ يعنى نفس الدلالة اللغوية ، وتقدير الجرعة dosage هى الكمية المقاسة من الدواء المقرر إعطاؤها فى المرة الواحدة ، أو فى مدة محددة من الوقت .

التقديم والتأخير :

قدم له شيخ البلاغة بقوله: هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن ، واسع التصرف، بعيد الغاية . . . وأعطاه مؤلفه الشامخ (دلائل الإعجاز) أكثر من ٤٠ صفحة ، مما يؤكد أهمية هذا الباب عنده .

ولا شك أنه لا يُقَدَّم إلا ما له أهمية خاصة فى الكلام ، فإذا كان الإنكار فى الفعل قدم كقول الله تعالى: ﴿ **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ** ﴾ [الإسراء : ٤٠] ، ﴿ **أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣)** ﴾ [الصافات] ، فالإنكار موجه للفعل أولاً ، فإذا تأكد عدم وجود الفعل انتفى إسناده إلى الفاعل .

وإن كان الإنكار موجهًا إلى المسند إليه قدم كقول الله تعالى : ﴿ **آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩)** ﴾ [يونس] . فقدم المسند إليه للغرض المذكور، ثم قدم الجار والمجرور ﴿ **عَلَى اللَّهِ** ﴾ لبيان أن جريمة الافتراء تكون أشد حينما توجه لله بالذات ، ومنه قول الله على لسان قوم الخليل : ﴿ **أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢)** ﴾ [الأنبياء] . فالفعل حصل ووقع ولا شك فيه ، وإنما أرادوا إقراره بأنه هو الفاعل لا غيره .

١٢/٥٠٨/ت

ومنه قول الله تعالى لنبيه : ﴿ **أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴿٤٠﴾ ﴾ [الزخرف] ، فتقديم الاسم على الفعل يوحى بأن أمر إسماع الصم وهداية العمى متفق على استحالته، ولكن الإنكار والتعجب منصب على الاسم ، أى أأنت خصوصًا يا محمد قد أوتيت قدرة على إسماع الصم ؟ ليس عليك هداهم فلا تضق بمن لم يؤمن ، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب .

ومن تقديم المفعول به قول الله : ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا** ﴾ [الأنعام : ١٤] . فلتقديم المفعول به على الفعل من الحسن ما يمكن إدراكه لو أخر فقيل : (أأتخذ غير الله وليًا) لأن الإنكار منصب على أن يكون الولى غير الله قبل الاتخاذ نفسه.

وقد يكون لتقديم المفعول به أهمية أكبر تعرف من السياق كما فى قول الله : ﴿**آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ** ﴾ [الأنعام : ١٤٣] . فالسؤال عما وقع عليه التحريم قبل ذات التحريم مع أن التحريم منكر من أصله ، وهو الهدف ، ولكنه أشار إلى إنكار التحريم بطريق اللزوم ليكون ذلك أبلغ من المباشرة ، كما ننكر القتل لنصل إلى براءة المتهم به .

ومن تقديم المسند إليه قول الله : ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ [الفرقان : ٣] ، فتقديم المسند إليه ﴿ **وَهُمْ** ﴾ على المسند ﴿ **يُخْلَقُونَ** ﴾ فيه دلالة وتنبيه على المُحَدَّث عنه قبل ذكر الحديث، فللإعلام بعد التنبيه مزية لا توجد فى التنبيه بعد الإعلام، وقارن قول الله : ﴿ **فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ** ﴾ [الحج : ٤٦] ، وقولنا : فإن الأبصار لا تعمى ، تجد الفرق شاسعًا .

وكذلك يقدم الخبر على المبتدأ لتسليط الضوء عليه ، كقول الله على لسان والد الخليل : ﴿ **أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ** ﴾ [مريم : ٤٦] . فالتركيز على وجود الرغبة عن الآلهة والبعد عنها وازدرائها،وفى ذلك زيادة إنكار على إبراهيم.

والتقديم وسيلة من وسائل القصر، إذ يقدم المقصور عليه ، من ذلك قول الله تعالى: ﴿ **إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [القيامة] . فتقديم الجار والمجرور يبين أن المساق إلى الله وحده لا إلى غيره، ومنه قول الله: ﴿ **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ** ﴾ [الزمر: ٦٦] . فالمقصور عليه العبادة هو الله وحده ، ومنه : ﴿ **لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ** ﴾

[التغابن : ١]

١٢/٥٠٨/ت

وللتقديم فى القرآن إشارات إلى مستوى من الحسن خاص، ودرجة من الجمال مميزة لا يرقى إليها فكر بشر ، وتلك إضافة من إعجازات القرآن الكريم من ذلك ما جاء فى قول الله: ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ**﴾ [يونس : ٦١] . فقدم الأرض على السماء هنا لأنه يخاطب أهل الأرض ، وقدم السموات فى آية سبأ لأن الحديث فيها عنه سبحانه ، قال تعالى : ﴿ **عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ** ﴾ [سبأ : ٣] .

وفى قوله تعالى : ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩)** ﴾ [الشورى] ، قدم الإناث لأنهن غير مرغوبات من كثير من الناس بخلاف الذكور ، فضلاً عن مطلع الآية الذى خص الواهب بملك السموات والأرض وتفرده بالخلق وفق ما يختار هو ، لا وفق ما نختار نحن .

وتقديم العبادة على الاستعانة فى قوله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)** ﴾ [الفاتحة] ، إشارة إلى أن العبادة سبب ووسيلة لطلب الاستعانة ، فلا يليق بمن تَنَكَّر للمعبود أن يستعين به . ومثل قدامة للتقديم بقول الله : ﴿ **وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى (١٢٩)** ﴾ [طه] ، أراد ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزامًا .

وبقوله تعالى : ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣)** ﴾ [النحل]. أراد ما لا يملك لهم رزقًا من السموات والأرض ولا يستطيعون شيئًا .

فتقديم جملة ﴿**لَكَانَ لِزَامًا** ﴾ فى الآية الأولى توحى بأن العذاب أقرب ما يكون إليهم لو أراده الله ، وفى آية النحل قدم شيئًا ليلقى عليها الضوء بأن آلهتهم لا تستطيع فعل شىء ، أى شىء ، فهم أضعف مما يتصور عابدوهم .

تقسيم (سور القرآن) :

تنقسم سور القرآن إلى : الطول ، المئين ، المثانى ، المفصل .

وذلك حسب ما جاء فى مسند الإمام أحمد ، عن واثلة بن الأسقع أن النبى ﷺ قال: «أُعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين،وأعطيت مكان الإنجيل المثانى » [أحمد ١٠٧/٤] .

١ ـ الطول : وهى سبع سور : البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف ، أما السابعة فقيل : الأنفال والتوبة معًا ، على الرأى القائل بأنهما سورة واحدة ، وقيل : هى سورة يونس .

٢ ـ المئون : وهى ما يلى السبع الطول ، وسميت بذلك لأن كل سورة تزيد على مائة آية أو ما يقاربها .

٣ ـ المثانى : وهى ما يلى المئين ، وسميت بذلك لأنها تثنى وتكرر فى الصلاة أكثر من الطول والمئين .

٤ ـ المفصل : وهى ما يلى المثانى من قصار السور إلى آخر القرآن ، وسميت بذلك لكثرة الفصل بين سورها بالبسملة ، وقيل : لقلة المنسوخ منها ، ولذلك سمى بالمحكم.

بداية المفصل :

قيل : من أول سورة « ق » ، وقيل : من أول « الحجرات » ، وقيل : من أول « محمد » ، وقيل غير ذلك .

والمفصل ينقسم ثلاثة أقسام :

١ ـ طوال المفصل : من أول المفصل إلى آخر البروج .

٢ ـ أوساط المفصل : من أول الطارق إلى آخر البينة .

٣ ـ قصار المفصل : من أول الزلزلة إلى آخر الناس .

تقليب الليل والنهار :

التقليب : مصدر من الفعل قلّب الذى يعنى المبالغة فى القلب . يقال : قلب الشىء أى : جعل أعلاه أسفله ، أو يمينه شماله ، أو باطنه ظاهره . وفى التنزيل العزيز: ﴿ **يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** ﴾ [النور : ٤٤] ، أى : أحدهما يجىء بعد الآخر، كما يختلف كل منهما طولاً وقصرًا ، وتتغير أحوالهما بالحرارة والبرودة . وحلول أحدهما محل الآخر بالسريان والإدبار يؤكد حركة الأرض اليومية حول محورها والسنوية حول الشمس .

التقوى :

التَّقْوى : تعنى لغويًا الخشية والخوف مما يُتَّقى ، ولها تعريفات كثيرة ـ إذا قصد بها تقوى الله ـ تناولتها الكتب المتخصصة ؛ من ذلك :

١ ـ امتثال أوامره ـ سبحانه ـ واجتناب نواهيه .

٢ ـ أن تجعل بينك وبين متعلقات صفات جلال الله ـ كغضبه وانتقامه وجبروته وعقابه ـ وِقَايَةً، ولا تكون الوقايةُ إلا بعمل ما أُمر به واجتناب ما نَهى عنه.

٣ ـ وهناك تعريف مشهور عن الإمام على وهو أنَّها : الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

٤ ـ وآخر عن ابن مسعود ، وهو : أن يُطاع الله فلا يُعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يُكفر .

وكلها توصل إلى أن تخاف الله؛فلا يفتقدك حيث أمر،ولا يجدك حيث نَهى.

٥ ـ شعور فى القلب يتولد من محبة الله وخشيته ، فيدفع صاحبه إلى أفضل الأعمال ، ويجعله دائمًا فى مراقبةٍ لله سرًا وعلنًا ، وعبوديةٍ له ، ويقينٍ فى حسابه ، فلا يعمل إلا ما يرضيه فوزًا بالجنة ونجاةً من النار .

٦ ـ العمل بمقتضى قول الرسول : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها » .

٧ ـ والمتَّقِى : من يتقى بصالح عملِه وخالص دعائِه عذاب الله تعالى ، مأخوذ من اتقاء المكروه بما تجعله حاجزًا بينك وبينه .

والتَّقِىُّ والمُتَّقِى : من يتقى الله ، والجمع فيهما أتقياء ومتقُون ، وهو أعلى درجة من المسلم والمؤمن والطائع ، فالمتقُون هم أولياء الله وحزبه ، ولهم فى التنزيل شارات شرف معلقة على هاماتهم ، يستحقون بها الفخار كل الفخار ، فالله وليُّهم : ﴿ **وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** (١٩) ﴾ [الجاثية] ، ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٦٢) **الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** (٦٣) ﴾ [يونس] ، وهو سبحانه يحبُّهم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) ﴾ [التوبة] ، وهو بعظمته معهم : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) ﴾ [البقرة] ، ولا يتقبل صالح الأعمال إلا منهم : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) ﴾ [المائدة]، والعاقبة لهم: ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) ﴾ [هود]، وهم منعمون فى جنات عرضها السموات والأرض ما أعدت إلا لهم: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ [آل عمران] ، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ﴾ [الحجر]، ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) ﴾ [النحل] ، ويحشرون إلى الرحمن وفودًا مكرمة : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) ﴾ [مريم] .

وتتقرب الجنة منهم تكريمًا وتشريفًا: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) ﴾ [الشعراء] ، ولهم الآخرة وما فيها من نعيم وكرامة: ﴿ وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) ﴾ [الزخرف]. ويضيق المقام عن استعراض شارات الشرف تلك ، وفى ذلك القدر غناء ، والقرآن مبسوط أمام كل مستزيد .

وقاه الله وقايةً : حفظه وصانه وحماه من كل أذى ، واتقى الشيءَ وتَوَقَّاه : حذِرَه وتجنَّبه ، واتَّقَيْتُه وتوَقَّيْتُه ، واتقى الله حق تُقاه وتَقْوَاه وتُقَاته .

والتَّقْوى بذلك أم الفضائل وخير ما يُتَحَلَّى به المؤمن فهى جماع كل خير كما قال ابن مسعود لابن أخيه يومًا : يا بن أخى ترى الناس ما أكثرهم ؟ قال : نعم، قال : لا خير فيهم إلا تائب أو تقِىّ .

وصفات المتقين مبسوطة فى القرآن فى كثير من سوره وآياته ؛ فى مطلع سورة البقرة ، وفى سورة آل عمران ، ومطلع سورة الأنفال ، وفى سورة الذاريات. . . إلى غير ذلك .

التقويم :

التقويم : إزالة الاعوجاج ، وفى التنزيل العزيز: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ﴾ [التين] ، أى : خلقه فى أحسن صورة وشكل ، منتصب القامة ، سوىّ الأعضاء حسنها .

وتستخدم كلمة التقويم ـ كمصطلح طبى ـ بنفس دلالتها اللغوية . وتقويم الأسنان orthodontics هو علاج الأسنان بتصحيح خلل انتظام الأسنان ومنع

حدوثه ، وتقويم العظام orthopedics فرع من الجراحة مختص بتصحيح تشوهات العظام والمفاصل وعلاج أمراضها وكذلك بمنع حدوث هذه التشوهات.

التكاثر :

التكاثر فى اللغة: الكثرة خلاف القلة . ويقال : تكاثر القوم : تفاخروا بكثرة العدد . ومنه قوله تعالى : ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②** ﴾ [التكاثر] . وقوله ـ عز وجل : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ** ﴾ [الحديد : ٢٠] .

والتكاثر فى علم النبات : هو الوسيلة التى تحافظ بها النباتات على النوع . ويتكاثر النبات بإحدى طريقتين : التكاثر الجنسى والتكاثر اللاجنسى . فعند التكاثر الجنسى تلتقى خلية مذكرة مع الخلية البيضية المؤنثة لإنتاج نبات جديد . وتحتوى كل من الخلية البيضية والخلية المذكرة على مورثات (جينات) . وهذه المورثات تحدد العديد من خصائص النبات ، وقد تختلف هذه الخصائص فى كل من الأبوين . ويعتمد التكاثر اللاجنسى على تجزئة النبات إلى جزءين أو أكثر ، بحيث يصير كل جزء نباتًا جديدًا ، وفى هذه الحالة ترث النباتات خصائصها المميزة لها من أب واحد فقط، وتكون مطابقة لهذا الأب، ويعرف هذا النوع من التكاثر اللاجنسى بالتكاثر الخضرى .

ويحدث التكاثر الجنسى فى النباتات على شكل دورة معقدة تعرف بتبادل الأجيال تشتمل على جيلين متميزين ، أولهما : يعرف بالطور المشيجى ، وفيه يعطى النبات الخلية المذكرة والخلية البيضية أو إحدى الخليتين . وعند اتحاد الخليتين المذكرة والبيضية (المؤنثة) يتكون من الخلية البيضية المخصبة الجيل الثانى من دورة حياة النبات المعروف بالطور البوغى . وفى هذا الطور يحدث انقسام خلوى للبيضية المخصبة مما يؤدى إلى تكوين الأبواغ . وينشأ الطور المشيجى عن الأبواغ وتبدأ دورة الحياة مرة أخرى .

وتوجد الأجزاء المسؤولة عن التكاثر فى النباتات الزهرية فى الأزهار. ويحدث التكاثر بعملية التلقيح التى تسهم فى إحداثها الرياح والحشرات والطيور والحيوانات.

أما فى التكاثر اللاجنسى فيمكن لأى عضو فى النبات ، سواء أكان جذرًا أم ساقًا أم ورقة أم زهرة أن يتكاثر إلى نبات جديد ، بل قد ينمو النبات من خلية مفردة من نبات آخر . ويكثر الناس العديد من النباتات بثلاث طرق رئيسية هى : الزراعة بالعقل ، والتطعيم ، والترقيد .

التكافل :

التكافل : مصدر الفعل (تكافل). والكافل : العائل. والمكافل : المجاور المحالف. ويقال : كفّل فلانًا الصغير : جعله كافلاً له. وفى التنزيل العزيز : ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران : ٣٧] .

والتكافل فى علم الأحياء : هو اعتماد متبادل بين الكائنات الحية من النبات والحيوان فى الغذاء والنمو والإعانة . ومثال ذلك أن الطير يحتاج إلى النبات للوقاية والاغتذاء ولكنه بدوره يسهم فى الحفاظ على حياة النبات بما يأكله من الحشرات الضارة به ، وبما ينقله من بذور .

التكذيب (والسقوط الحضارى) :

يكاد التكذيب فى أشمل معانيه يساوى معنى الإلحاد فى لغة العصر الحديث ، وهو أنواع : تكذيب بالله وعدم الإقرار والإشهاد له بأنه هو الخالق المستحق للعبادة وحده دون سواه ، وتكذيب بالأنبياء والرسل وعدم الاعتراف والإشهاد لهم بالرسالة وبنزول الوحى عليهم ، وبالتالى إنكار دورهم فى خدمة الإنسانية، وتكذيب بالآخرة وإنكارها ، والتكذيب آفة إنسانية تلعب دورًا كبيرًا فى تقويض صروح الحضارات .

لقد تحدث القرآن الكريم طويلاً فى عرض نماذج من حضارات كثيرة طواها الزمان وأتى عليها الدهر ، وكانت قد اشتدت وامتدت وعلا نجمها ، واتسع أفقها حتى سادت وقادت ، ثم انحرفت وخرجت عن سنن الله فى استمرار الحضارات ثم غوت ، فبعث الله لأهلها وفى قراها رسلاً مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليحكموا بين الناس بالقسط ، ولكن الكثير منهم ـ عليهم السلام ـ كُذبوا وقُتلوا وشُردوا فكانوا حججًا على تلك الأقوام ، وكم طوى الدهر من

حضارات ذكرها القرآن كما قال تعالى : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) ﴾ [الفرقان] .

ولنأخذ نموذجًا من هذه النماذج التى بلغ القرآن ذروة الإعجاز فى تصويره وهى حضارة العمالقة الجبارين (عاد) قوم هود عليه السلام الذين سكنوا الأحقاف جنوبى الجزيرة العربية، وقد جعلهم الله خلفاء بعد قوم نوح عليه السلام، وزادهم بسطة فى الأجسام والأرزاق، وهذا ذكر ووصف تلك الحضارة، قال تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾ [الشعراء] .

والريع : هو المكان المرتفع من الأرض كانت تقيم فيه عاد أبنية شامخة للهو والعبث والمصانع: هى القصور المشيدة والحصون الضخمة، والآية فى هذه الآيات، هى برج حمام أو بناء كان ارتفاعه كعلامة للسخرية بمن يمر بهم ، والبطش: هو السطو والأخذ بالعنف والقوة والمبالغة فى العقوبة قتلاً بالسيف وضربًا بالسوط ، والجبار : هو الذى يقتل ويضرب عند الغضب . وهذه مظاهر مشتركة ومتكررة فى المجتمعات والحضارات حين يمتلكها الظالمون ويعتصر دماء شعوبها المستضعفة المترفون، فتتكدس لديهم الأموال والثروات فيفنوها فى السفه بإقامة التماثيل والصور طلبًا للخلود ، وفى الحقيقة هذه عوامل دمار وذهاب لملكهم وتعجيل بكيانهم ولن تغنى عنهم قوتهم وخططهم وأبنيتهم .

والحق أن هذه الانحرافات الحضارية المروعة ، قد اقتضت الإسراع ببعث الرسل واصطفاء القادة واجتباء العلماء لدرء الفساد ورد الأمم إلى حظيرة الصواب ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور .

إن الأسباب التى أدت إلى سقوط حضارة العمالقة ـ عاد ـ ترجع إلى ثلاثة

عوامل: هى: إعجابهم بقوتهم هذه حيث كانت حضارتهم فى ازدهار : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥]، وكانوا فى زهو ونشاط، الجور والظلم : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) ﴾ [الشعراء]، الكفر والتكذيب، التكذيب بالقيامة. قال تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) ﴾

[الحاقة]

ولقد جاءتهم النذر كغيرهم من أهل الحضارات ، فكذبوا بها فجاءهم بأس الله وعذابه فقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) ﴾ [القمر] .

فهذا المشهد من مشاهد التعذيب العنيف قد جاء وفق سنة الإنذار للإخبار عن تكذيب عاد الذى كان جزاؤه أن أرسل الله عليهم ريحًا صرصرًا باردة شديدة الصوت ، استمرت عليهم حتى أهلكتهم وشبهوا بالنخل ؛ لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم وتبقى أجسادهم بلا رؤوس ، فيتساقطون على الأرض أمواتًا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل وهى على أصولها بلا فروع . وهكذا : ﴿ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) ﴾ [ق] . فكل من كذب برسول فقد كذب بالرسل أجمعين؛ لأنه كذب بالرسالة الواحدة التى جاؤوا بها . . . فهذا كتاب ربنا ينطق بالحق ليرينا نهاية المكذبين وعاقبة المنحرفين ، وهذا هو دور آثار التكذيب فى تقويض صروح الحضارات ، وفى إذهاب مجد الأمم والأجيال، ولقد كان هذا الدور الخطير للتكذيب ؛ لأنه أهله يبطلون دور الرسل فى إصلاح أحوال الأمم .

التكرار :

وحقيقته ـ كما قال ابن القيم : أن يأتى المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفًا ، أو يأتى بمعنى ثم يعيده وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثانى .

صور التكرار :

من صور التكرار : ما يتكرر لفظه ومعناه متحد ، ومنها : ما يتكرر لفظه ومعناه مختلف ، ومنها : ما يتكرر معناه دون لفظه .

فمن الأول قول الله تعالى : ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)** ﴾ [الشرح] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠)** ﴾ [المدثر]، ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩)** ﴾ [القصص] . حيث كرر أن فى أربعة مواضع تأكيداً للمعنى .

ومن التكرار قول الله تعالى فى سورة الرحمن: ﴿ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)** ﴾ [الرحمن] . حيث كررت الآية ٣١ مرة لتكرار التذكير وإدخال الرهبة فى النفوس المكذبة.

ومن صور التكرار تكرار ما يتصل به أول الكلام بآخره كما فى قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)** ﴾ [يوسف] . فكرر جملة ﴿ **رَأَيْتُ** ﴾ المبدوءة بها الجملة ليتصل آخرها بأولها .

ومن تكرار اللفظ مع اختلاف المعنى قوله تعالى : ﴿ **وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ** ﴾ [الأنفال] ، فإحقاق الحق الأول بيان لإرادته ، وإحقاق الحق الثانى قطع دابر الكافرين ونصر المؤمنين .

ومن تكرار المعنى دون اللفظ حيث يكون بين المعنيين مخالفة ما كقوله تعالى: ﴿ **فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨)** ﴾ [الرحمن] . فالنخل والرمان من أنواع الفاكهة ويندرجان تحتها، ومنه قوله تعالى: ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ** ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. فالصلوات أعم وأشمل من الصلاة الوسطى، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٧٣)** ﴾ [يس] . فذكر الركوب والأكل أولاً ، وهما خاصان ، ثم ذكر المنافع ، وهى أشمل وأعم، ثم المشارب وهى أخص ، وذلك التصرف الأسلوبى يذكر لتفخيم النعم وتعظيمها، والحث على شكرها بالثناء على المنعم سبحانه .

ولا شك أن للتكرار فى مثل هذه الأساليب فائدة كبرى؛ إذ يسلط الضوء على ماله كبير فائدة، ومغزى خاص. ومن تكرار المعنى دون مخالفة بينهما قوله تعالى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦] . فالعشرة الكاملة مذكورة فى الثلاثة والسبعة .

ومن صور التكرار أيضًا ما يعرف بتكرار الإضراب كقوله تعالى : ﴿ أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨) ﴾ [ص] . ومنه قوله : ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء : ٥] ، فأضرب عن قولهم إلى قولهم الثانى، ثم إلى قولهم الثالث، ومنه قول الله تعالى: ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦) ﴾ [النمل] . ومن صور التكرار أيضًا تكرار الأمثال ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ (٢٠) وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ ﴾ [فاطر].

أما أغراض التكرار ، فمنها :

ما يكون للتأكيد كقوله تعالى: ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) ﴾ [التكاثر]. فالثانية أبلغ فى الإنذار من الأولى ولذلك استعمل حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ للترقى من إنذار إلى إنذار، فالتكرار للتأكيد والتقوية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) ﴾ [الانفطار] .

ومن التكرار : ما يكون لدفع التهمة ، ولإخلاص النصيحة ، وإبداء المحبة للمنصوح ، وإغرائه بتقبل النصيحة ، كما كرر مؤمن آل فرعون نداءه لقوم فرعون بقوله : ﴿ يَا قَوْمِ ﴾ قال تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ [غافر] . ومن أغراض التكرار : ربط آخر الكلام بما جاء فى صدره كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠) ﴾ [النحل] . كرر قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ ﴾ لربط آخر الكلام بصدره ، ونظيره قوله تعالى فى نفس السورة: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٩) ﴾ [النحل].

ومن أغراض التكرار : ما يأتى للتفخيم والتهويل كقوله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ (١)

مَا الْحَاقَّةُ (٢) ﴾ [الحاقة] ، وقوله: ﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) ﴾ [القارعة] ، ومنه قوله : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) ﴾ [الواقعة] . ومنه ما يكون للتهديد والوعيد كقوله تعالى: ﴿ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٥) ﴾ [النبأ] . ما يكون للتهديد والوعيد كقوله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) ﴾ [القيامة]. ومنه ما يستدعيه تعدد المتعلق كما فى قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) ﴾ [الرحمن] . وقوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) ﴾ [المرسلات]، ومنه كذلك ما ورد فى سورة القمر فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧)﴾ [القمر] ، وما جاء فى سورة الشعراء فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٨) ﴾ [الشعراء] ، وكل جملة من هذه الجمل لها متعلق خاص بها جاءت عقبه ، فهى مطلوبة فى مكانها من السورة .

ولكل هذه النماذج فائدة كبرى فى أداء المعنى وتقويته وتقريره ، فإذا تكرر المعنى تقرر ـ كما يقولون ـ فهو وجه من وجوه البلاغة ، وآية من آيات إعجازه ، خاصة وأنه وجد حيث الأمور ذات الشأن فى عقيدة المرء ، أو فى حياتيه الأولى والآخرة ، وفى مقامات الوعظ وإحياء القلوب إذ الحاجة ماسة إلى تقرير المعانى فى النفس ، وتأكيدها فى الذهن .

كما لا يخلو أن يكون بين النصين المكررين بعض الاختلاف فى اللفظ أو فى المعنى فيتحقق بذلك إضافات يريدها الله مما لم يصل إليه عقل بشر من أغراض التكرار وأسراره .

وقارن ـ إن شئت ـ بين ما مر من تكرارات القرآن وقول بعضهم ممن عارضوا القرآن : (البعوض وما البعوض ، له مشفر عضوض ، فى الدماء يخوض ، فهو للفيل عروض) فهل هذا التكرار يمكن أن يكون له دور فى بلاغة القول ؟ فأى معنى يحمله ، بل وأى لفظ يبدو فيه ، وأى فكرة جليلة يعالجها ؟ لا سواء !

تكرار القصص فى القرآن :

اشتمل القرآن الكريم على قصص تكرر ذكرها فى مواضع مختلفة من سوره، ويدل ذلك على :

١ ـ تمكين أحداث القصة وجزئياتها فى النفوس ، علمًا بأن الجزئيات لم تتكرر إلا وفيها اختلافات من زيادة أو نقص أو توضيح أو غير ذلك .

٢ ـ إبراز إعجاز القرآن وبلاغته الفائقة التى تصور القصة فى أساليب متعددة، وفى عروض من القول مختلفة ، تأتى بين الإطناب والإيجاز ، وبين التفصيل والإجمال ، وبين الحقيقة والمجاز ، كل ذلك يؤكد براعة القرآن وعظمة بيانه ، حتى يمكننا القول : بأن التكرار فى القصص القرآنى عرض للقصة بألوان مختلفة من البيان والتصوير وليس تكرارًا بالمعنى الحرفى لمفهوم التكرار بدليل أن كل عرض يختلف زيادة أو نقصًا عن العرض الآخر ، وإن عرض القصة الواحدة بألفاظ مختلفة لأمر جد صعب ولا يتأتى إلا فيما هو معجز مثل القرآن حتى أن بعض الباحثين عدَّ ذلك من معالم إعجازه للبشر ، ألا ترى أنه صور عصا موسى بالحية فى موضع : ﴿ **فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠)** ﴾ [طه] ، وصورها بالثعبان فى موضع آخر : ﴿ **فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧)** ﴾ [الأعراف ، الشعراء : ٣٢] ، وجانًا فى موضع آخر: ﴿ **فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ** ﴾ [النمل: ١٠ ، القصص: ٣١] . والله أعلم بمراده .

٣ ـ الإشارة إلى أهمية القصص المتكررة ، ولفت النظر إلى ما فيها من عبرة ودروس ، كما جاء فى شأن أهل الكتاب لقربهم من زمن النبوة الخاتمة من جهة ، ولبقائهم بيننا وتعاملنا معهم من جهة أخرى .

٤ ـ الاستدلال بالجزئية المكررة من القصة على موضوع الآيات التى تضمنتها، فلما تعرض القرآن لأنصار النبى محمد ذكر أنصار عيسى فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)** ﴾ [الصف] .

ولما ذكر إبراهيم ونوح وأتباعهما وذرياتهما ، استشهد بذكر عيسى مع قومه فقال : ﴿ **وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ**

آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) ﴾ [الحديد] ، وهكذا . . . وكذلك لما ذكر التوراة وأتباعها وما فيها من حكم الله أردف ذلك بذكر عيسى والإنجيل وموقفه من التوراة ، وموقف أهل الإنجيل منه، ثم أتبع ذلك بذكر النبوة الخاتمة وكتابها الكريم ، قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة] .

٥ ـ اختلاف المتلقين للقصص القرآنى طبيعة وزمنًا ، فلزم لعموم الفائدة أن يُذَكّروا دائمًا بمناط القدرة والعبرة والسلوى فى القرآن بصور متنوعة ومتكررة .

التكوير :

التكوير فى اللغة : التدوير . يقال : كورت العمامة إذا دورتها . ويقال للمستدير : كارة ، وأصله (كَوَرَة) ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا . ويقال أيضًا : (كرة) ، وأصله (كَوَرَة) ، وإنما حذفت عين الكلمة كما قيل فى ثبة وقلة . وقيل : الكاف والواو والراء أصل يدل على دور وتجمع . يقال : كور المتاع: جمعه وشده . ويقال : طعنه فكوّره : إذا ألقاه مجتمعًا ، والكور : الرحل لأنه يدور بقارب البعير . والكور : مجمرة الحداد المبنية من الطين التى توقد فيها النار ويحمى الحديد ، والكورة بالضم : المدينة والصقع لأنه يدور على ما فيه من قرى . والكور : حفر الأرض ، والكوارة بالكسر : ضرب من الخُمرة تجعله المرأة على رأسها . ويقال : كورت الشىء إذا لففته على جهة الاستدارة . والكور : الزيادة ، والإسراع .

وفى (مفردات الراغب) فى مادة (كور) : كوْر الشىء : إدارته وضم بعضه إلى بعض ككور العمامة . وفى التنزيل العزيز: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ [الزمر : ٥] . قال ابن حزم : « وهذا نص على تكوير الأرض ودوران الشمس كذلك ، وهى التى منها يكون ضوء النهار بإشراقها ، وظلمة الليل بمغيبها » . ويقول الفلكيون بكروية الأرض ، كما يؤكدون أن الشمس وسائر النجوم تتكور ، أى تنقبض عند شيخوختها ووفاتها .

تكوير الشمس :

جاء فى الصحاح: « كورت الشمس : جمع ضوءها ولف كما تلف العمامة. وقيل : معنى كورت : غُوّرت ». وفى التنزيل العزيز : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ ﴾ [التكوير]. قيل : كورت : اضمحلت وذهبت. وقال قتادة : أى: ذهب ضوءها. وقال عكرمة : نزع ضوءها . وقال مجاهد : تدهورت . وقال الربيع بن خثيم : رمى بها ، والمراد بها : طويت كطى السجل .

وقيل : أصل التكوير : جمع الشىء إلى بعض ، أى الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف ، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها . وقيل : كورت أى : يلف ضوءها لفًا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق ، وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطًا غير ملفوف أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها ، لأن الثوب إذا أريد رفعه لف وطوى .

وعن ابن عباس: (يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر، ثم يبعث عليها ريحًا دبورًا فتضرمها فتصير نارًا). وقيل: كورت: أى: أزيلت من مكانها وألقيت من فلكها ومحى ضوءها. وقيل : كورت أى : تقع على الأرض.

والكور: التشتت بعد الألفة من قولهم: « أعوذ بالله من الحور بعد الكور ». يقال : كورت الحائط ودهورته إذا طرحته حتى يسقط . وعن أبى بن كعب قال: « ست آيات قبل يوم القيامة : بينما الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واحترقت وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماجوا بعضهم فى بعض » .

وقد ذهب بعض علماء المسلمين : إلى تفسير تكوير الشمس وفقًا لمعطيات العلم الحديث . فالدكتور منصور حسب النبى يقول : إنه وفقًا لفيزياء النجوم فإن قلب الشمس سوف ينكمش بتأثير الجاذبية فى المستقبل ، مما سيؤدى إلى رفع درجة الحرارة فى باطن الشمس عما هى عليه الآن، ومن ثم فإنها ستتمدد لتصبح عملاقًا أحمر ، وهذه هى مرحلة الشيخوخة ، وبعد ذلك سيزداد انكماشها وتتحول إلى قزم أبيض يبرد تدريجيًا إلى أن ينطفئ نهائيًا . وعلى هذا فإن تكوير الشمس يمثل

بانكماشها على نفسها فى نهاية حياتها ، إلى أن يصغر حجمها بآلاف المرات وتسمى بالقزم الأبيض .

وذهب الدكتور عبد العليم خضر : إلى أن تكوير الشمس قد يعنى انكماش ألسنتها الملتهبة التى تمتد من جوانبها كلها الآن إلى ألوف الأميال حولها فى الفضاء كما يتبدى هذا من المراصد وقت الكسوف ، وارتأى بعض الباحثين إلى أن قوله تعالى : ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** (١) ﴾ [التكوير] . يجزم بأن شكل الشمس الحالى غير كروى وأنه لن يصبح كرويًا إلى يوم القيامة ، وعلته فى ذلك أن الكرة لا تكور . ومن المعروف أن النظرية الفلكية السائدة تقول: إن الشكل الحقيقى للشمس كروى كما يبدو لنا تمامًا . وللتوفيق بين الآية الكريمة وهذه النظرية ادعى بعضهم أن الشمس غير منتظمة الشكل ، وأنها لن تتكور حتى تصير قزمًا أبيض وتستقر حيث يذهب ضوءها حينئذ وينطفئ ، وهذا ما يحدث عندما تتجمع مادة الشمس على بعضها وتدور ، وفقًا لما ذهب إليه شاندراسيخار وآخرون ، فى حين ذهب مصطفى عبد القادر إلى أن الشمس الآن أشبه بكرة مضغوطة من جهتين متقابلتين، أى كالوسادة المستديرة . والقول الفصل فى ذلك لا يعلمه إلا الله .

تكوير الليل والنهار :

جاء فى (لسان العرب) : تكوير الليل والنهار أن يلحق أحدهما بالآخر . وقيل : تكوير الليل والنهار : تغشية كل واحد منهما صاحبه . وقيل : إدخال كل واحد منهما فى صاحبه . والمعانى متقاربة . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ** ﴾ [الزمر : ٥] . أى : يدير هذا على ذاك ، ويدير ذاك على هذا ، وزيد فى هذا من ذلك ، وفى ذاك من هذا . وقيل : يعيد من هذا جزءًا على الآخر فيستره. وعن مجاهد : يدهور الليل على النهار ، ويدهور النهار على الليل . وعن مقاتل: يكور: يسلط ، وهو انتقاص كل واحد منهما من صاحبه. وقيل: يكور الليل على النهار. . . يجريان متعاقبين لا يفتران، كل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا. . . وأن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه.

وقد فهم المفسرون من تكوير الليل والنهار أنه دلالة على كروية الأرض. يقول

سيد قطب : « وهو تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسراً على الالتفات إلى ما كشف حديثًا عن كروية الأرض . . . فهو يصور حقيقة مادية ملحوظة على وجه الأرض. فالأرض كروية تدور حول نفسها فى مواجهة الشمس . فالجزء الذى يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهاراً ، ولكن هذا الجزء لا يثبت لأن الأرض تدور ، وكلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذى كان عليه النهار ، وهذا السطح مكور ، فالنهار كان عليه مكوراً والليل يتبعه مكوراً . وكذلك وبعد فترة يبدأ النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل ، وهكذا فى حركة دائبة ، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل . . واللفظ يرسم الشكل ويحدد الوضع ، ويعين نوع طبيعة الأرض وحركتها .

وقد علق الأستاذ الغمراوى على الآية المذكورة بقوله : « إن الله ـ سبحانه ـ يلف الليل على النهار بلف محورى حقيقى للأرض التى هى محل الليل ، ويلف النهار على الليل بلىّ حقيقى لأشعة ضوء الشمس فى غلاف الأرض الهوائى الذى تملؤه الظلمة وهو يدور . وفى الفعل (يكور) المكرر مرتين فى الآية معجزة أخرى ، إذ قد دل بوضوح على كروية الأرض بكروية جوها الذى يشغله ، ويتعاوره الليل والنهار على التجدد على كل بقعة من بقاع الأرض » .

ويقول الدكتور الفندى: «تزيد هذه الآية على معنى وجود الأرض معلقة. . . معنيين جديدين هما: شكلها الكروى أو الشبيه بالكرة، ثم دورانها حول محورها، هذا فضلاً عن إيضاح أنه يوجد على سطح الكرة الأرضية ليل ونهار فى وقت واحد . ومن إعجاز هذه الآية أنها نزلت ولم يكن الإنسان فى العالم القديم قد اكتشف أمريكا بعد أو عرف تلك الأراضى النائية حتى يرى هذا بالحس كما نراه هذه الأيام . فمن المعلوم الآن أن الليل يسود أمريكا مثلاً بينما تعيش القارات القديمة فى النهار ، وأن دوران الأرض يجعل الليل يتقدم أو يزحف من الغرب إلى الشرق متكوراً مع سطح الأرض وغلافها الجوى ، فيغطى ما كان مضيئًا منها بضوء النهار ، وهكذا . . . » .

وقد لفت تعدى الفعل (يكور) بحرف الجر (على) انتباه أحد الباحثين فقال: تأمل « دقة المعنى فى لفظة (على) ، وهى تستحق وقفة بحيث قال : ﴿ يُكَوِّرُ

﴿ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ [الزمر : ٥] بمعنى أنه يجعلهما يحيطان بالكرة الأرضية ولم يقل : يكور الليل ثم يكور النهار، وهذا دليل قاطع على وجودهما (أى الليل والنهار) دائمًا حول الكرة الأرضية ، والليل لا يغيب ، والنهار لا يغيب ، والعملية ناتجة عن دوران الأرض حول نفسها ، وما تظنه أنه قد غاب يكون موجودًا فى القسم الآخر من الكرة الأرضية ، ومن ثم فلو لم تكن الأرض كروية لما حصل هذا التكوير وهذا الوجود الدائم لليل والنهار ، ولو كانت مسطحة ومواجهة للشمس لاقتضى ذلك أن يكون هناك إما ليل دائم أو نهار دائم وانعدمت عند ذلك الحياة » .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ التكوير .　　٢ ـ كروية الأرض .

التل :

التل فى اللغة : مرتفع من الأرض دون الجبل. وفى التنزيل العزيز : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) ﴾ [الصافات] . قال قطرب : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) ﴾ أى : وضع جبينه على تل .

والتل hill فى الجيولوجيا : مرتفع طبيعى من الأرض لا يزيد ارتفاعه على ٣٠٠ متر فى العادة عما حوله ، ومحيطه دائرى تقريبًا . والتمييز بين التل والجبل يعتمد على طبيعة المنطقة المحيطة ، وما تعارف عليه السكان فى المنطقة .

والتل الجليدى Kame عبارة عن كومة من الرواسب الجليدية المؤلفة عادة من الرمل والحصى تكونت بفعل إرساب لمجرى مائى تحت ثلاجة جليدية نتيجة لذوبان الجليد . ويتراوح ارتفاع التل الجليدى ما بين بضعة أمتار ومائه متر أو أكثر .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الجبل .

التلميح :

وهو أن يشير فى ثنايا الكلام إلى قصة مشهورة ، أو مثل نادر ، أو حكمة سائرة ، إلى غير ذلك لتؤخذ منها العبرة لما نحن بصدده من الحديث .

ونظيره فى القرآن قوله تعالى فى معرض الحديث عن مدين وما فعلت بنبيها شعيب: ﴿ أَلا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾ [هود] ، وقوله فى الحديث عن عناد قريش: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) ﴾ [فصلت]. وقوله فى معرض الحديث عن موقف مشركى مكة من الدعوة ، ويوم العرض والندم والحساب على ما فات. . . إلى آخر ذلك إذ به يلوح بما وقع من عاد لنبيهم هود فيقول: ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) ﴾ [الأحقاف] .

ومنه قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) ﴾ [التوبة] . ففى وسط الموضوع الذى تعالجه الآية ذكر الله تلك المقولة المبثوثة حكمة وعدلاً وهى قوله : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ ليؤكد بها ما جاء فى الآية من أنه ليس على الضعفاء والمرضى والمحتاجين من حرج إذا قدموا النصح لله ولرسوله ، فهذا أقصى ما يملكون .

التمثيل :

وهو أعمق من التشبيه العادى ، وأكثر منه صنعة إذ يقوم على انتزاع أطرافه من أمور مجتمعة بتقييد البعض بالبعض ، فهو صورة بلاغية كبيرة ، ولوحة فنية متشعبة الأطراف ، فكلما بعد وجه الشبه ، واحتاج إلى غوص كان أكثر إجادة ، وأعلى درجة، ومنه فى القرآن كثير .

يقول الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) ﴾ [الجمعة]. فقد أوتى اليهود التوراة ، وفيها هدى ونور ، ولكنهم لم ينتفعوا بها ، وحرموا خيرها، فالجامع من أوتى خيرًا ولكنه لم ينتفع به لجهله وحمقه وقصر نظره ، فتكون الندامة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ

١٤/ ٥٣١/ ت

قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) ﴾ [يونس] . فوجه الشبه الجامع بين الأطراف الزينة والبهجة للوصول إلى الحالة التى تسر النفوس ، وتسعد العيون ، ثم يكون الهلاك والفناء، ونخلص منه إلى الاعتبار وأخذ الدروس المؤدية إلى العمل فى الدنيا كما أراد الله وللآخرة كما أراد الله .

ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) ﴾ [البقرة] . والجامع فى السير على الطريق الصحيح يؤتى ثماره من كل نوع وفى أى طريق ، بل ومن شتى السبل ، فمن ينفق ابتغاء مرضاة الله يلقى جزاءه وافيًا . ومنه قول الله مصورًا أعمال الكفار : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) ﴾ [النور] . فأعمال الكفار تظهر فى عيونهم زاهية جميلة ، ولكنها فى الحقيقة لا خير فيها ولا جدوى منها ، فأمل كبير ، ومطمع فى خير ، ثم نهاية مبكية ، وجزاء مؤلم .

ومن تصويرات القرآن لأعمال الكفار أيضًا قول الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ (١٨) ﴾ [إبراهيم]. فليس لأعمال الكفار غير الرماد الدقيق الذى لا يقوى على البقاء أمام الريح العاتية فى يوم شديد العواصف ، فهل لها من صمود؟! كذلك أعمال الكفار هباء لا يثبت ولا يستقر أمام عدل الله وحسابه الذى يجازى على مثقال الذرة ، وأنى لمن فقد الإيمان به ـ سبحانه ـ أن يكون له مطمع فى أجر أدنى أجر! ولا شك أن للتمثيل أثرًا فى النفوس إذ ينقلها من المعقول إلى المشاهد المحسوس، ومن المعانى إلى المدركات، لتعرف أنها على أى طريق، وواصلة إلى أية غاية، فتؤكد العمل أو تغيره حسبما تكون، وكيفما تكون.

التمزق :

التمزق : التشقق . ولم ترد هذه اللفظة فى القرآن الكريم ، وإنما وردت

كلمات أخرى تشترك معها فى الجذر اللغوى والدلالة ، مثل : (ممزق) . قال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [سبأ : ١٩] .

والتمزق Laceration هو جرح ينشأ من انفصام أنسجة الجسم . وهو إما خارجى وإما داخلى .

وأسباب التمزقات الخارجية كثيرة كضربة آلة غير حادة أو اصطدام بسيارة أو سقوط على سطح خشن ، وتحدث التمزقات الداخلية عند الضغط على عضو من الأعضاء بعنف أو تحريكه بعيداً عن مكانه ، فتحدث مثلاً من ضربة على الجلد غير نافذة ، ويتمزق الطحال من حادث سيارة أو ضربة على البطن أو سقطة ، ويتمزق الكبد بالطريقة نفسها ، ويتمزق الدماغ من ضربة لا تثقب الجمجمة ، ومن الأعضاء التى تتمزق أحيانًا : الرئتان ، وعنق الرحم والمهبل ، ويتمزقان فى أثناء الولادة ، والقلب ، والعين .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الجسم . ٢ ـ الجرح . ٣ ـ الجلد .

التمكين الحضارى :

التمكين أحد مستويات الاستخلاف فى التحضر له سنن وشروط لا يتحقق إلا وفقها ولا ينال إلا بمقتضاها ، وقد جاءت فى القرآن فيقول تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦) ﴾ [الأنعام] . والمعنى : أو لم يخبر أهل مكة فى القرآن كم أهلكنا واستأصلنا من الأمم قد ملكناهم وأمهلناهم فى الأرض ما لم نملككم ونمهلكم يا أهل مكة قدره، وأرسلنا عليهم مطرًا دريرًا كلما احتاجوا إليه جعلنا لهم بساتين وزروع وشجر : ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ بتكذيبهم بالأنبياء ، ﴿ وَأَنشَأْنَا ﴾ ، أى : خلقنا من بعدهم قومًا آخرين خيرًا منهم .

وفى الآية موقف تهديد يلفت المخاطبين إلى مصارع المكذبين من قبلهم وقد كانوا يعرفون أخبار ووقائع تلك الأجيال الغابرة ، وقد مكنها الله فى الأرض التى

يعيش عليها هؤلاء ، وأعطاهم من أسباب القوة والسلطان ما لم يعط مثله لقريش، ثم عصوا ربهم فظلموا أنفسهم فأخذهم الله بذنوبهم ، وأنشأنا من بعدهم جيلاً آخر ، ومضوا هم لم تحفل بهم الأرض ، فما أهون المكذبين المعرضين أصحاب القوة والتمكين من البشر حين الانحراف قال تعالى : ﴿ **فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ** ﴾ فالذنوب تهلك أصحابها . . . والمراد بالرؤية فى الآية الرؤية العلمية لا البصرية.

ومعنى الآية : أو لم ير هؤلاء المكذبون على مر الدهور ، كم أهلكنا بالحق من أقوام وأجيال ، وأمم أعطيناها من التمكين فى الأرض بأن جعلنا لها مكانًا بين الأمم الأخرى ، وقدرًا من التصرف فى شؤون الملك ، ويصدق هذا التمكين فى الآية على عاد وثمود وقوم فرعون وكثير غيرهم ، وهذا ما يفيد ما امتازت به تلك القرون الخالية على كفار قريش من الاستمتاع بخيرات الأرض ، والنعم الحضارية، حيث يقول الله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ** ﴾ ، ومع ذلك كانت عاقبتهم خسرانًا لما كثرت ذنوبهم .

وإن كان التمكين منًا وفضلاً من الله يؤتيه من يشاء لتحقيق أمرًا من أموره فى الخلق سبحانه وتعالى ، كما من الله على بنى إسرائيل بالتمكين فقد من على أهل مكة بالتمكين وغيرهم من الرسل والأنبياء والصالحين ، يوم أن كانوا أهلاً للتمكين كما فى قصة يوسف وذى القرنين ، كما قال الله تعالى على أهل مكة : ﴿ **أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا** ﴾ [القصص : ٥٧] . يعنى أن الله قد آتاهم ووعدهم بالتمكين ، ﴿ **يُجْبَىٰ** ﴾ بمعنى : تأتى إليهم الثمرات مع الحجاج والزوار من كل مكان رزقًا من عند الله .

أما عن تمكين الأفراد فنجد أولى الناس بالتمكين عند الله هم الرسل والأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل ، وقد يمكن الله لأهل الباطل وفق سنن خاصة كما فى قصة يوسف عليه السلام بعد أن عاش محنًا شتى فقال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ** ﴾ [يوسف : ٢١] . أى : جعلنا له مثوى كريمًا فى قلب العزيز ومنزلة . وجعلنا له تصرفًا بالأمر والنهى فى ملكه فى الأرض ووجاهة فى

أهلها ، ومحبة فى قلوبهم ، لتكون عاقبة ذلك تعليمه تأويل الرؤيا التى ستقع من الملك وتفضى لسيدنا يوسف إلى الرياسة والحكم .

وعن سؤال قد يواجهنا قائلاً : كيف مكن أهل الباطل والكفر فى حقب مختلفة من تاريخ الإنسانية إذا كان من سنن الله فى التمكين الإيمان العادل ؟ فنجد الجواب فى قوله تعالى : ﴿ **لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ (١٩٨)** ﴾ [آل عمران] .

الآية تبين سنة من سنن الاستدراج لأهل الباطل وهم الكفار ، فلا حجة للمنافقين الذين قالوا عند الشدة: ﴿**مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً (١٢)** ﴾ [الأحزاب]، وفى الآية نهى عن الاغترار بواقع الكفار ، وبما هم فيه من نعيم ومتاع ، وهو متاع سيذهب بعد قليل .

ومضت سنة الله فى أن تظل الأرض عامرة بالأكثر صلاحية لاستعمارها ، وأنه لا يمكن التمكين للمستضعفين من المؤمنين لمجرد كونهم كذلك ، أو لكونهم يعبدون الله عبادة مجردة عن التأثير فى النفس والمجتمع .

التناسل :

التناسل : التوالد. يقال : تناسل القوم: إذا توالدوا، وأنسل بعضهم بعضًا ، والكلمة مأخوذة من النسل بمعنى : الولد والذرية ، قال تعالى : ﴿**وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ** ﴾ [البقرة : ٢٠٥] .

والتناسل ـ كمصطلح ـ هو عملية إنتاج الخلف . وهو يبدأ عندما تتحد خليتان جرثوميتان : الحيوان المنوى والبويضة ، وتبدأ القدرة على التناسل عند البلوغ فى العقد الثانى من العمر ، وذلك عندما تأخذ الفتاة فى الحيض بانتظام، ويأخذ الفتى فى قذف سائل منوى ، وعندما تقف دورات الحيض تنتهى القدرة على الإنجاب . ويختلف الأمر فى الذكر فلا يفقد خصوبته فجأة كالأنثى ، بل قد يدوم على إنتاج الحيوانات المنوية من وقت البلوغ إلى آخر حياته .

وتمر البويضة المخصبة بعدة مراحل هى: النطفة الأمشاج، والعلقة، والمضغة،

ثم مرحلة العظام واللحم ، ثم مرحلة النشأة (الجنين) fetus ، وينمو الجنين بسرعة كبيرة فى أول الحمل ، ويتغير جسم الأم تغيراً كاملاً ليمد المخلوق الجديد بكامل حاجته ، فإذا اقترب موعد الولادة أفرزت الغدة النخامية هرمونًا يسبب انقباضات الرحم ، وتشارك هرمونات أخرى فى إنتاج اللبن للرضاعة .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الأنثى .	٢ ـ البلوغ .	٣ ـ الحمل .
٤ ـ الذكر .	٥ ـ الرضاعة .	٦ ـ العلقة .
٧ ـ النطفة .	٨ ـ المضغة .	٩ ـ الولادة .

تنجيم القرآن :

أُنزل القرآن الكريم على النبى ﷺ منجمًا ، ولم ينزل دفعة واحدة . وكان نزوله منجمًا مثار اعتراض المشركين ، ومحاولة منهم للتشكيك فى رسالة سيدنا محمد ﷺ ، ذلك أنه خالف سنن الكتب السماوية السابقة قبله ، والتى كانت تنزل دفعة واحدة. فكانوا يقولون: إن كان محمد صادقًا فيما يقول، فما بال القرآن الذى جاء به نزل مفرقًا ولم ينزل دفعة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى؟ وحكى عنهم القرآن ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً** ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

وكان نزول القرآن منجمًا لحكم من الله تعالى أهمها :

١ ـ تثبيت قلب النبى ﷺ :

لما بُعث النبى ﷺ ودعا قريشًا إلى عبادة الله وحده وترك ما عداه من شركائهم لاقى من العناء والمشقة والإيذاء ما لاقى ، حتى من أقربائه ـ عمه أبى لهب الذى كان يؤلب الناس عليه ـ ووقف أكابر قريش وزعماؤها ضده .

كان من الطبيعى لأى إنسان فى ظل هذه الظروف القاسية المحيطة به أن يفتر عزمه وتضعف عزيمته ، إلا أن تكرار نزول الوحى بالقرآن كان يشد أزر النبى ويثبت فؤاده . قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ** ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

٢ ـ تيسير حفظه على المسلمين :

لاقى المسلمون الأوائل الكثير من الظلم والاضطهاد،وكانوا أميين لا يعرفون القراءة والكتابة إلا القليل منهم ، فكان من العسير عليهم فى ظل هذه الظروف ـ الاضطهاد والأمية ـ أن يستطيعوا حفظ القرآن لو أنزل جملة واحدة، خاصة أنهم كانوا لا يحفظون آيات جديدة حتى يعملوا بالسابقة ويطبقوها ، كما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ويعمل بهن . إضافة إلى أن الشيء إذا نزل جزءًا جزءًا سهل حفظه وتدبر معانيه ، أما إذا نزل دفعة واحدة ـ مع عظم شأنه وطوله ـ صعب على النفس حفظه وتدبره .

٣ ـ أبلغ فى تحدى المشركين وإظهار إعجازه :

نزل القرآن الكريم على أرباب الفصاحة والبلاغة ، الذين لا يشك أحد فى أن البلاغة طوع أمرهم ، فقد ملكوا زمامها وأحاطوا بدقائقها وأسرارها . وجاء القرآن ببلاغته ورصانة أسلوبه وانتظام حروفه وتناسق جُمله وآياته ، فعرفوا أنه ليس من كلام البشر وأنه فوق قدرتهم اللغوية، وذلك باعترافهم أنفسهم ، حيث قال الوليد بن المغيرة: وما هو بقول بشر .

لكن منعهم كبرهم وعنادهم من الإيمان بالله ، فتحداهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور ، أو حتى بسورة واحدة من مثله فلم يستطيعوا . ونزول القرآن منجمًا أبلغ فى التحدى ؛ إذ إن نزول آية أو آيات يظهر عجزهم عن الإتيان بمثله ، فلو أنه نزل جملة واحدة لقالوا : إنما عجزنا عن الإتيان بمثله لطوله ، فصُرفت نفوسنا عن الإتيان بمثله ، وليس بسبب عجزنا عنه .

فكانت إذا نزلت الآية أو الآيات قال لهم النبى : لن تستطيعوا الإتيان بمثلها، فكانت تثور فيهم الحمية ، لكن الفشل يكون حليفهم .

٤ ـ مسايرة الحوادث التى تقع :

كانت هناك بعض الحوادث والأمور التى تقع فى عهد التشريع ولا يعرف

المسلمون حكمها ، أو تُوَجَّه بعض الأسئلة للنبى ﷺ لم ينزل بها التشريع بعد، أو الرد على المشركين ، أو فضح المنافقين وتحذير المسلمين منهم ، إلى غير ذلك مما كان يقع فى المجتمع الإسلامى فى بدايات الدعوة .

كانت هذه الأشياء تحدث فى أوقات مختلفة وأزمنة متغايرة ، وكان كلما حدث شىء من ذلك نزل الوحى بآيات كريمات تبينه وتوضح حكمه .

٥ ـ التدرج فى تربية الأمة وتهذيب أخلاقها :

بُعث النبى ﷺ وقد فسدت الأخلاق فى الجزيرة العربية إلى حد بعيد ، وشاعت بينهم الخرافات وساءت المعتقدات . فكان تغيير حالهم دفعة واحدة أمر محال ، فيجب التدرج معهم حتى يستقيم حالهم ويعود الأمر إلى نصابه الحق ؛ لذلك جاء القرآن متدرجًا معهم فى بيان الأحكام ؛ لتصحيح أوضاعهم وتقويم حياتهم ، فكان أول تكليف لهم ، الإيمان بالله والنظر إلى مخلوقاته للاستدلال على وجوده ، ثم نعى عليهم عبادتهم للأصنام وبين أنها لا تضر ولا تنفع ، ثم انتقل بهم إلى بيان العبادات .

وكذلك حينما بدأ تحريم الخمر ، لم يقرر تحريمها مرة واحدة ، وذلك لانغماسهم فيها. فبدأ الأمر ببيان أنها ليست من الرزق الحسن، قال تعالى: ﴿ **وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا** ﴾ [النحل : ٦٧] . ثم بين أن فيها إثمًا وأن الامتناع عنها أفضل ، قال تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾ [البقرة : ٢١٩] . ثم النهى عن شربها قبل الصلاة : ﴿ **لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** ﴾

[النساء : ٤٣]

وهكذا بدأت نفوسهم تأنس للبعد عنها والامتناع من شربها ، فجاء التحريم لها نهائيًا : ﴿ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)** ﴾ [المائدة] .

ولم يكن هذا التدرج ليحدث لو أنزل القرآن جملة واحدة .

٦ ـ وجود الناسخ والمنسوخ :

كانت بعض الآيات تنزل ببعض الأحكام الشرعية ، ثم تنزل آيات أخرى بعدها تنسخها حسب حاجة الأمة وتغير ظروفها .

التنزيل :

التنزيل من قوله : نزّله : (بتشديد الزاى) تنزيلاً فتنزل ، أى نزل فى مهلة، والتنزيل لغة : الترتيب ، واصطلاحًا : يقصد به نزول القرآن نجومًا على النبى ﷺ على حسب الحوادث والمناسبات ، أو يقصد به القرآن نفسه ، وقد وردت كلمة التنزيل بهذا المعنى فى خمسة عشر موضعًا من القرآن ، قال تعالى : ﴿ **تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٢)** ﴾ [السجدة] ، ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦)** ﴾ [الإسراء] .

والفرق بين الإنزال والتنزيل أن الإنزال يستعمل فى الدفعة، والتنزيل يستعمل فى التدريج .

التنفس :

التنفس فى اللغة : هو دخول النفس إلى الرئتين وخروجه منهما . وتنفس النهار عبارة عن توسعه . ولم ترد لفظة (التنفس) فى القرآن الكريم ، وإنما ورد فعلها . قال تعالى : ﴿ **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩)** ﴾ [التكوير] .

والتنفس Respiration هو العملية التى يمكن للإنسان والكائنات الحية الأخرى بواسطتها الحصول على الأكسيجين واستعماله . ويشمل التنفس كذلك إخراج غاز ثانى أكسيد الكربون الذى ينتج من استعمال الخلية للأكسيجين ، وتستمر عملية التنفس بدون انقطاع طيلة حياة الإنسان ، وهى تنتظم بوساطة منطقة فى المخ تسمى مركز التنفس ، وهو مجموعة من الخلايا العصبية ، وترسل هذه الخلايا كل عدة ثوان دفعات من المنبهات إلى العضلات التنفسية (التى من أهمها الحجاب الحاجز) الضالعة فى عملية الشهيق ، وتحدد هذه المنبهات معدل عملية التنفس وعمقها ، وهناك مجموعة أخرى من الخلايا تسمى المستقبلات الكيميائية تتحسس مستوى الأكسيجين وثانى أكسيد الكربون فى الدم والسائل المخى

النخاعى المحيط بالدماغ ، وترسل هذه المستقبلات نبضات إلى مركز التنفس لإسراع معدل التنفس أو إبطائه ، وبهذه الطريقة تتم المحافظة على المستوى الطبيعى للأكسيجين والحموضة فى الجسم (وهذه الحموضة مرتبطة بنسبة ثانى أكسيد الكربون فى الدم) .

ويتكون التنفس من عمليتى الشهيق (النَّفَس للداخل) والزفير (النَّفَس للخارج) ، ويتحكم الحجاب الحاجز وعضلات ما بين الضلوع بتنظيم هاتين العمليتين على التوالى ، فحينما ينخفض الحجاب الحاجز وينسطح ، ويقترن ذلك برفع الأضلاع إلى أعلى وإلى خارج بواسطة العضلات التى بين الضلوع ، فإن التجويف الصدرى يتسع ، فيمكن ذلك الرئتين من أن تتسعا وتستوعبا الهواء إلى داخلهما ، وعندما تنبسط تلك العضلات تعود الرئتان بصفة طبيعية إلى حالتهما غير المتسعة فتطرد الهواء إلى الخارج .

والتنفس الصناعى هو أحد التدابير المستخدمة لإدخال الهواء إلى رئة شخص توقف عن التنفس وكذلك إخراجه ، وكثيرًا ما يستخدم لإنعاش شخص أشرف على الغرق ، كما يستخدم فى حالات التسمم والصدمات .

وفى العلم يعرف التنفس: بأنه عملية إدخال الأكسيجين إلى الجسم وإخراج ثانى أكسيد الكربون منه، واستعمال الأكسيجين لأكسدة المواد العضوية والانتفاع بطاقتها الكامنة فى الأعمال الحيوية كحركة العضلات وإفراز الغدد. والتنفس فى الإنسان والثدييات وبعض الحيوانات الأخرى قسمان: خارجى وداخلى . ويحدث التنفس الخارجى فى الرئتين حيث يكتسب الدم الأكسيجين ويفقد ثانى أكسيد الكربون.

أما التنفس الداخلى فيحدث فى الأنسجة ، حيث يفقد الدم الأكسيجين الذى يقوم بأكسدة المواد العضوية بوساطة سلسلة من الإنزيمات ، ويكتسب الدم ثانى أكسيد الكربون ليحمله إلى الرئتين ويخرج مع الزفير . ويتجدد هواء الرئتين بصفة مستمرة نتيجة الانقباض المنتظم لعضلات التنفس ، وأهمها عضلة الحجاب الحاجز فى الإنسان ، التى تفصل بين تجويف الصدر والبطن والعضلات بين الضلوع . وتتم عملية الشهيق والزفير فى الإنسان نحو ١٤ إلى ١٦ مرة فى الدقيقة الواحدة فى وقت الراحة .

والتنفس ضرورى لحياة كل حيوان ، حيث من خلاله يحصل جسم الحيوان على مدد مستمر من الأكسيجين اللازم لإنتاج الطاقة اللازمة لحياته . ولدى معظم الحيوانات تراكيب خاصة فى أجسامها تقوم بأخذ الأكسيجين من البيئة التى تعيش فيها ، وتحصل الحيوانات المائية على الأكسيجين من الماء ، فى حين تحصل عليه الحيوانات البرية من الهواء ، وتستخدم كل الحيوانات ـ ما عدا أنواع قليلة منها ـ نوعا من التنفس وذلك بأخذ الأكسيجين وطرح ثانى أكسيد الكربون خارجًا . وهناك أنواع من الحيوانات ، تضم الديدان الشريطية والطيفليات المعوية الأخرى ، تعيش فى أماكن لا يوجد فيها الأكسيجين مطلقًا بصورة طليقة ، وعليه تعتمد تلك الحيوانات على طريقة هضمية خاصة تمكنها من الحصول على الأكسيجين من غذائها . وتتنفس معظم الفقاريات المائية عن طريق الخياشيم، ومعظم البرية منها عن طريق الرئات. وتدخل السمكة الماء عبر فمها ليغمر الخياشيم التى تستخلص الأكسيجين منه ثم تطرحه للخارج عبر فتحات بين الخياشيم . ولدى الحيوانات ذوات الدم الحار عضلات وأعضاء تنفس خاصة تمكنها من الحصول على كميات كبيرة من الأكسيجين.

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الأنف .	٢ ـ الزفير .	٣ ـ الشهيق .
٤ ـ الهواء .	٥ ـ الحاجز .	٦ ـ الحجاب .

تنفس الصبح :

يقال فى اللغة : تنفس الصبح ، أى : تبلّج وظهر . وأصل التنفس : خروج النفس من الجوف ، فجُعل الرَّوْح والنسيم الذى يقبل بإقبال الصبح نفسًا له . وعلى هذا فالتنفس استعارة لانبلاج نور الصباح . وثمة ظواهر ضوئية تحدث فى السماء حين يتنفس الصبح مثل تشتت الضوء فى الأفق .

ومما سبق يمكن أن يستخدم مصطلح (تنفس الصبح) للدلالة على ظهور الضياء فى بداية فترة الصباح .

التنقيب :

التنقيب: مصدر الفعل (نقّب) بمعنى : فتش. وفى التنزيل العزيز: ﴿ فَنَقَّبُوا

فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) ﴾ [ق]، والتنقيب Exploration فى علم الجيولوجيا: هو البحث عن الخامات والمصادر ذات الجدوى الاقتصادية كالحديد والنحاس والبترول والغاز الطبيعى والمياه الجوفية وغيرها . ويشمل استخدام وسائل الاستطلاع الجيولوجى ، والاستشعار عن بعد ، والجيولوجيا التصويرية ، والطرق الجيوفيزيائية (الجاذبية ، البحث السيزموغرافى أو الزلزالى ، المغناطيسية ، الإشعاع) والطرق الجيوكيميائية ، بالإضافة إلى الطرق الجيولوجية السطحية وتحت السطحية (الحفر) كخطوة سابقة على تنمية الخام المستكشف .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الاستكشاف .　　٢ ـ البحث .

التنكيس :

التنكيس فى العمر : هو الحياة حتى أرذل العمر إلى أن يعود المرء إلى حال كحال الطفولة فى الضعف والعجز . وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ [يس : ٦٨] . ويمكن استخدام كلمة (التنكيس) كمصطلح للدلالة على الهرم والشيخوخة المتأخرة .

التهشم :

التهشم فى اللغة هو: التكسر. ولم ترد هذه اللفظة فى القرآن الكريم ، وإنما وردت لفظة الهشيم التى تشترك معها فى الجذر اللغوى. قال تعالى: ﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ [الكهف : ٤٥] . والتهشم Brittleness هو خاصية تتصف بها المعادن أو الصخور التى تتفتت بالطرق أو بعوامل التجوية .

التوازن :

التوازن : هو الاعتدال والتساوى كما فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) ﴾ [الحجر] ، إشارة إلى ما خلقه الله تعالى ، وأنه خلق باعتدال، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) ﴾ [القمر] . ولم ترد هذه اللفظة فى القرآن الكريم ، وإنما وردت بعض الألفاظ الأخرى المشتركة معها فى الجذر اللغوى مثل الميزان ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) ﴾ [الرحمن] . وموزون ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا

رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحجر] . والتوازن Balance فى علم الجيولوجيا : هو حالة الاستقرار التى توجد عليها مكونات البيئة من صخور وهواء وماء وغيرها . وتوازن الطبيعة Balance Of Nature هو حالة الاتزان الموجودة فى الطبيعة نتيجة التفاعل الثابت والمتواصل بين مجموعة الكائنات والبيئة المحيطة بها . وتوازن القشرة الأرضية Isostasy هو اتزانها نتيجة لقلة كثافة الصخور فى مرتفعاتها عنها فى منخفضاتها كاتزان الجبل بقاع المحيط .

والتوازن ـ كمصطلح ـ هو حالة الاستقرار، والتوازن إما فيزيائى أو كيميائى. ومن أمثلة التوازن الفيزيائى : ثبات المرء أثناء مشيه أو وقوفه أو جلوسه فلا يقع . ومن أمثلة التوازن الكيميائى : احتواء أنسجة الجسم على النسب الصحيحة من مختلف الأملاح والماء ، وتضم أعضاء التوازن الفيزيائى : العضلات ، والأذن ، والعين ، والمفاصل .

ويعد محمد بن الحاسب الكرخى (الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى) من أوائل العلماء الذين تحدثوا عن فكرة التوازن الأرضى وذلك فى كتابه (إنباط المياة الخفية) ، ويتمثل ذلك فى قوله : (فى الأرض حركات دائمة ، منها طلب الأبنية للوقوع والانهدام والميل عن سمت الاستقامة ، وكذلك الجبال والتلاع تنهار قليلاً وتتفتت طلبًا للمركز ، والأرض الرخوة فى تربتها حركة دائمة ، وهى طلب أجزاؤها الصلابة باعتماد بعضها على بعض . وأعظم هذه الحركات المذكورة انتقال المياة العظيمة وجريان الأودية القوية من أرض إلى أرض فى الأزمنة الطويلة ، فإذا اجتمعت موادها فى ناحية من نواحيها وارتفعت حتى بعد سطحها من المركز وساوى ذلك بعد الموضع المحاذى له الذى يقابله ، ثم بعد المساواة زاد عليه ، تحركت الأرض طلبًا للمعادلة المذكورة) .

وتعد نظرية التوازن من النظريات التى أصبحت اليوم فى حكم القوانين الجيولوجية. وترى هذه النظرية أن هناك توازنًا بين التضاريس الموجبة والتضاريس السالبة فى القشرة الأرضية ، وأن الكتل القارية القليلة الكثافة تطفو فوق الصخور الكثيفة التى تتألف منها قيعان المحيطات .

مصطلحات ذات صلة :

١ ـ الاتزان . ٢ ـ الجبل . ٣ ـ الصخرة .

التوافق :

التوافق فى اللغة : هو التناسب والمطابقة والمساواة . ولم ترد هذه اللفظة فى القرآن الكريم، وإنما وردت بعض الألفاظ التى تشترك معها فى الجذر اللغوى، مثل (وفاق)، قال تعالى: ﴿**جَزَاءً وِفَاقًا** (٢٦)﴾ [النبأ]. و(توفيق)، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا** (٦٢) ﴾ [النساء] . والتوافق Conformity فى علم الجيولوجيا : هو تماثل سلسلة من الطبقات المتتالية التى يعلو بعضها بعضًا ولا يفصل بين مجموعتين منها فاصل زمنى يدل على انقطاع مؤقت فى الترسيب .

ويتميز التوافق الطبقى للصخور الرسوبية بوجود طبقات من الصخور الرسوبية تكون فيها هذه الطبقات قد تكونت واحدة تلو الأخرى، وتكون متوازنة ومنتظمة، دون وجود أسطح تعرية .

التورية :

هى استخدام لفظ مشترك بين معنيين ، أحدهما قريب غير مراد ، والآخر بعيد مراد، وإيهام السامع بإرادة القريب. ومن ذلك فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ** (٦) ﴾ [الرحمن] . فللنجم معنيان ؛ القريب غير المراد هو الكوكب ، والبعيد المراد هو النبات الذى لا ساق له ، وفى السياق ما يوهم بإرادة القريب وهو ذكر السورة للشمس والقمر فى الآية السابقة على هذه الآية مباشرة .

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ** (٨) ﴾ [الغاشية] . فالمعنى القريب لكلمة ناعمة من النعومة ، والبعيد من النعمة والكرامة وهو المراد . ومنه قوله تعالى : ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ** ﴾ [الإنسان : ١٩] . فالمعنى القريب غير المراد لكلمة مخلدون هو من الخلود ، ويرشح ذلك نعيم الجنة الموسوم بالخلود ، أما المعنى البعيد المراد فهو يتحلون فى آذانهم بأقراط (مفردها قرط) ويطلق عليه الخلدة ، ومن لبس القرط يطلق عليه مخلد ، ومنه لفظ الآية .

التوكل :

التوكل : توكل لفلان : تولى الأمر له نائبًا عنه فيه ، والتوكل عليه : الاعتماد عليه، ومنه: التوكل على الله: الاعتماد عليه وإسناد الأمر له، وفى التنزيل : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) ﴾ [المائدة] . ولا يكمل التوكل على الله إلا بالثقة الكاملة فى قدرته على كل شىء، والإيمان بعلمه لما ظهر وما بطن، وما حضر وما غاب، وما كان وما يكون ، وكمال إحاطته بكل شىء ، بالإضافة إلى الاعتماد التام عليه اعتماداً لا يشوبه شك ولا يتطرق إليه ريب، ﴿ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) ﴾ [آل عمران]، ﴿ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [يونس]

كما أنه لايصح التوكل قبل العمل وبذل الجهد ، واتخاذ الأسباب ، مع اليقين بأن الفاعل الحقيقى هو الله ، ومن قصر فى اتخاذ الأسباب وادعى أنه متوكل على الله فقد خدع نفسه ، وأجرم فى حق دينه ، وعليه تصحيح عقيدته ، لأن الأسباب مخلوقة لنا بقدرة الله ، ومسخرة لنا بإرادته سبحانه ، وعلينا أن نستفيد منها ، فإن قصرت أو عجزنا فالله يمدنا بعد إفراغ الجهد بقدرته ، وأما قبله فالخلل فى إيماننا ، وقد حسم رسول الله الأمر بقوله: « قيدها وتوكل » رواه الطبرانى ، والسعى عمل والعمل عبادة، وهو طاعة لله ولرسوله ، وكما قال بعضهم : الجوارح تعمل ، والقلوب تتوكل ، فالعمل شأن الجوارح ، والتوكل شأن القلب.

والأمر واضح فى التنزيل ، وقد أمرنا فيه بالسعى والعمل والمشى فى مناكب الأرض لتحصيل الرزق ، وإعداد العدة للدفاع عن النفس والعرض والوطن . . . وبعد هذه الرحلة الطويلة نعلق قلوبنا بالتوكل على من بيده الأسباب سبحانه : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾[آل عمران]

ثم إن التوكل منهج الأنبياء والمرسلين أمروا به ، وهم قدوتنا ، وقد مر قول موسى لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) ﴾ [يونس] ،

وهـذا نـوح يقـول لقومـه : ﴿ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [يونس : ٧١] ، وقال خليل الله إبراهيم متضرعًا إليه سبحانه : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) ﴾ [الممتحنة : ٤] ، وقال شعيب لقومه : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾ [هود] ، وقال يعقوب عليه السلام لبنيه : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) ﴾ [يوسف] ، وقال الحق لنبيه ومصطفاه محمد : ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) ﴾ [الرعد] ، وصدق الله : ﴿ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً (٢) ﴾ [الإسراء] .

نقول : وكَّلتُه توكيلاً ، والتَّوكُّل : إظهار العجز والاعتماد على غيرك والاستسلام له، والاسم منه: التُّكْلان، وتوكّل واتَّكل على فلان فى أمر ، اعتمد عليه فيه ووثق به ، وتوكَّل بالأمر : ضمن القيام به ، والوكيل بمعنى مفعول لأنه موكول إليه ، ويكون بمعنى فاعل إذا كان بمعنى الحافظ ، ومنه حسبنا الله ونعم الوكيل ، وهو من أسماء الله الحسنى لأنه الكفيل بأرزاق العباد وشؤونهم ، والجمع وكلاء ، وتواكل القوم تواكُلاً : اتكل بعضهم على بعض ، ووكَلَ إليه الأمرَ يَكِلُه ، فوَّضه إليه ، وكذا وكَّله فيه ، والعبدُ مُتَوَكّلٌ على الله راكنٌ إليه ، ورجلٌ وَكَلٌ ووُكَلَةٌ : ضعيف كثير الاتّكال على غيره .

التَّوبة :

التَّوبَةُ : تركُ الذنب تركًا حميدًا ، وهى خُلةٌ يحبها الله ويحب أصحابها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾ [البقرة] ، والتواب كثير التوبة ، فهى صيغة مبالغة ، إما أنهم يُكثرون من الندم ، وإما أنَّهم يكررون التوبة كلما ذكروا ذنوبهم ، أو أنهم يجددون التوبة كلما أحسوا بارتكابهم أية مخالفة ، وعلى أى حال فاستعظام الإنسان لذنبه إكبارًا لخالقه ، وندمًا على مخالفته ، مؤشرٌ على صدق توبته على شرط ألا يصل به إلى درجة القُنُوط . وإن التوبة طريق الفلاح كما أشار القرآن فى قوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾ [النور] .

والتوبة النصوح سبيل لمحو الذنوب مهما كبرت ، فعندما تعرضت آيات عباد الرحمن لأهم الكبائر وهى الشرك بالله والقتل والزنا ، وذكرت الآيات أن مرتكبى هذه الكبائر مخلدون فى النار ويُضاعف له العذاب يوم القيامة استثنى من هؤلاء من تاب؛ بأن أقلع عن الذنب وأتبعه بالعمل الصالح تكفيرًا لما اقترف، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)** ﴾

[الفرقان]

ولا تتم التوبة إلا بشروط استنبطها العلماء من القرآن الكريم ، منها :

١ ـ الإقلاع عن الذنب بعد الاعتراف يقينًا بقبحه .

٢ ـ الندم على ما فرَط منه كلما تذكر ذنبه اعترافًا بخطئه .

٣ ـ العزم الأكيد على عدم العودة إلى ذلك الذنب .

٤ ـ الإكثار من الصالحات لتدارك ما فات .

٥ ـ الإيمان يقينًا بأن له ربا يُخشى ويُرجى ويقبل التوبة ويستأهِل الطاعة .

٦ ـ ثم إذا كان الذنب فى حق العباد فيجب عليه رد الحقوق إن أمكن ردُّها، أو طلب العفو منهم إن أمكن ، وإلا فعليه بكثرة الاستغفار والله يتولاه ويقبل منه .

ولا تتم التوبة إلا بتوفيق من الله ، بعد أن يمتلئ قلبُ العبد بالندم بصدق نية وإخلاص ، وهنا يفتح له باب القبول ويلهمه التوبة فيتوب ، قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)** ﴾ [التوبة] ، ونلاحظ أن الله يصف نفسه سبحانه بأنه توَّاب بصيغة المبالغة، وذلك لكثرة التائبين وقبوله لتوبتهم جميعًا، أو لسعة رحمته وشمول فضله على خلقه ، أو لعظم ذنوب العُصَاة من عباده عظمًا لا يُمْحِيْها إلا توَّاب يتجاوز عن منكراتها ، ويعفو عن شنيع قبحها ، ﴿ **فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)** ﴾ [البقرة] .

ولأهمية التوبة فى حياة الفرد والجماعة ذكرت فى القرآن أكثر من ثمانين مرة باشتقاقاتها المختلفة ؛ إذ لو أُغلق باب التوبة أمام العصاة لكثرت الجريمة ، واشتد خطر المذنبين ، وأفسدوا فى الأرض ، وخرَّبوا البلاد ، وأفزعوا العباد ، بعد أن فقدوا الأمل فى رحمة الله فى غمرة ذنب ارتكبوه .

إلا أن الله بحكمته ورحمته ، وفيض حلمه ، وسعة علمه ، وكمال حكمته فى خلقه، فتح لهم باب الرجاء والأمل، وجعل باب التوبة مفتوحًا ليعود من غلبه شيطانه، وضعُف فى لحظات من عمره ، فيسعد بحياة إسلامية جديدة، ويسعد به مجتمعه بعد أن شقى به يومًا، ويلبى نداء الله: ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)** ﴾ [الزمر] ، وكلما تذكر المخطئ ذنبه أكثر من الصالحات ليؤكد توبته، فيكون ذلك نفعًا له وللناس ، ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤)** ﴾ [النساء] .

نقول : تاب العبدُ إلى الله يتوب توْبًا وتوبةً ومتابًا ، وتاب اللهُ على عبده ، واسْتتابه : عرض عليه التوبةَ والندم على ما فرَط منه ، وسأله أن يتوب ، والتَّوب جمع توْبة ، ورجل توَّاب : تائب إلى الله ، والله تواب على عباده بفضله إذا تابوا من ذنوبهم .

التين :

يطلق لفظ (التين) فى اللغة على شجر من الفصيلة التوتية، وعلى ثمر ذلك الشجر ورطبه النضيج. وفى التنزيل العزيز وردت سورة التين، وجاء فى مستهلها: ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)** ﴾ [التين] . وقد وردت أقوال كثيرة فى المراد بالتين فى هذه السورة الكريمة، ويرى الطبرى أن الصواب فيها هو قول من قال : هو التين الذى يؤكل. وهو قول مجاهد.

وذكر الإمام ابن القيم : أن الله سبحانه وتعالى أقسم بالتين لكثرة منافعه وفوائده. فهو يجلو الرمل عن الكلى والمثانة ، ويؤمن من السموم ، وهو أغذى من جميع الفواكه .

والاسم العلمى لشجر التين هو Ficus Carical . وتتصف هذه الشجرة بجذوعها القوية وعقدها الكثيرة ، ويبلغ ارتفاعها نحو خمسة أمتار ، على حين أن أغصانها ليست قوية بحيث تسمح للعمال الذين يجنون ثمارها باعتلائها . وتنمو هذه الشجرة فى البلاد المعتدلة ، وهى ذات أوراق صغيرة جلدية قلبية الشكل، وثمرتها مركبة تتكون من جزء لحمى غليظ ، ويبطنه مجموعة من الأزهار الأنثوية، وهى تنمو على الفروع من بنية تشبه قرون البازلاء ، تحتوى على مئات من الزهور الصغيرة . وفى أثناء نمو الثمرة تكبر هذه البنية وتصبح ذات لب.

وتطرح أشجار التين محصولها مرتين أو ثلاث مرات سنويًا . وثمار التين صغيرة ، وهى إما مستديرة أو على شكل الكمثرى . ولقشرتها ألوان مختلفة ، إما خضراء أو صفراء أو وردية أو أرجوانية أو بنية أو سوداء ، وذلك تبعًا لنوع الثمرة، والتين الناضج يتلف بسرعة، ومن الصعب شحنه لمسافات بعيدة لتسويقه، ولهذا السبب يقوم معظم المزارعين بتجفيفه إما فى الشمس أو فى الأفران.

ويوجد أربعة أنواع رئيسية من التين :

١ ـ التين البرى ، وهو نادرًا ما يثمر فاكهة صالحة للأكل .

٢ ـ تين أزمير ، وهو يحتاج إلى لقاح من التين البرى لكى تطرح أشجاره ثمارها.

٣ ـ تين سان بدرو ، وهو يطرح نوعين من محاصيل التين سنويًا ، أحدهما فى أوائل الصيف ولا يحتاج إلى تلقيح ، والآخر ينضج فى أواخر الصيف ولابد أن تلقحه الزنابير باللقاح الذى تحمله معها من الزهور .

٤ ـ التين الشائع أو الأدرياتيكى ، وهو لا يحتاج إلى تلقيح .

ويحصل المزارعون على أشجار تين جديدة عن طريق غرس فروع مقطوعة من شجرة التين. وتؤكل ثمار التين لقيمتها الغذائية العالية . وتحتوى الثمار الجافة على ٧٣٪ من المواد الكربوهيدراتية ، ٣١٪ بروتينات ، ٢,٠٪ دهون . وتعطى كل مائة جرام من الثمار عند تناولها ٢٧٠ سعرة حرارية . والتين غنى بفيتامينات أ ، ب ١ ، ب ٢ . وبه كمية بسيطة من فيتامين ج ، فى حين يحتوى على نسبة عالية من فيتامين ك الذى يفيد فى إيقاف النزيف .

وترجع القيمة الغذائية لثمرة التين لما تحتويه من نسبة عالية من المواد السكرية وعنصرى الكالسيوم والحديد ، وغير ذلك من الأملاح المعدنية المفيدة مثل الصوديوم والبوتاسيوم والماغنسيوم والنحاس والفوسفور والكلور ، بالإضافة إلى احتوائه على العديد من الأحماض العضوية وبخاصة الليمونيك والماليك .

وكانت زراعة التين منتشرة فى مصر من قديم الزمان ، وقد جلبها الفراعنة من بلاد العرب ، وكانوا يسمونها (تون). وكان المصريون القدماء يأكلون الثمار طازجة لصفاتها الملينة والمرطبة ولأهميتها فى علاج أمراض الكبد. وكانوا يستخدمون المادة اللبنية التى تستخرج من لحاء الشجرة فى القضاء على ديدان المعدة. وكانوا يعملون من اثمار لزقة على الصدر لعلاج الرئة ونزلات البرد والتهابات الفم والزور ، وكانوا يستخدمون مغلى الثمار لإذابة حصى الكلى .

وقد أفاض داود الأنطاكى فى ذكر الفوائد الطبية للتين ، حتى أنه جعله علاجًا لكل الأمراض . كما أطال ابن سينا فى ذكر هذه الفوائد . ويوصف التين لعلاج الجروح والقروح (بتثبيت الثمار بعد غليها عليها) والإمساك وكسل الأمعاء . كما يفيد مغلى أوراقه فى علاج السعال واضطراب الحيض وإدرار الطمث . ويساعد منقوع التين الجاف على إدرار البول واللبن .